



جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كلية الدراسات العليا

قسم اللغة العربية

العلة الصوتية في كتاب الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي
دراسة وصفية تحليلية

**The Vocal Justification in Syntactic Book Entitled
al-Ashbah wa al – Nathair by al-Ssuyuti
analytical descriptive study**

إعداد

بيان محمد يوسف صالح

إشراف

أ.د ناصر إبراهيم صالح النعيمي

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لِمُتطلبات درجة الماجستير في الدراسات اللغوية في جامعة
العلوم الإسلامية العالمية

عمان - ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م



جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كلية الدراسات العليا

قسم اللغة العربية

العلة الصوتية في كتاب الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي دراسة وصفية تحليلية

إعداد

بيان محمد يوسف صالح

إشراف

أ.د ناصر إبراهيم صالح النعيمي

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لِمُتطلبات درجة الماجستير في الدراسات اللغوية في جامعة
العلوم الإسلامية العالمية

عمان - ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨

The World Islamic Sciences University
Faculty of Graduate Studies
Arabic Department



**The Vocal Justification in Syntactic Book Entitled
al-Ashbah wa al – Nathair by al-Ssuyuti
analytical descriptive study**

By

Bayan Mohammed Yousuf Saleh

Supervisor

Dr. Naser Ibrahim Saleh al Nuaimi

**"Thesis Submitted in Partial Fulfillment of the
Requirements for the Degree of Master of Art in Linguistic
Studies at The World Islamic Sciences and Education
University"**

Amman 1438H / 2018 AD

تفويض

أنا الموقع أدناه/ بيان محمد يوسف صالح، أفوض جامعة العلوم الإسلامية العالمية بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص، عند طلبهم، بحسب التعليمات النافذة في الجامعة.

الاسم: بيان محمد يوسف صالح

التوقيع: 

التاريخ: ٢٠١٨/١٢/٢٠ م

العلة الصوتية في كتاب الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي
دراسة وصفية تحليلية

The Vocal Justification in Syntactic Book Entitled
"al-Ashbah wa al – Nathair" by al-Suyuti"
analytical descriptive study

إعداد

بيان محمد يوسف صالح

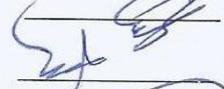
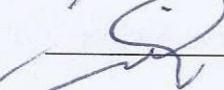
إشراف

أ.د ناصر إبراهيم صالح النعيمي

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ: ٢٨ / ١١ / ٢٠١٨ م

أعضاء لجنة المناقشة:

التوقيع الجامعة

| | | | |
|---|---------------------------------|-------------------|---|
|  | جامعة العلوم الإسلامية العالمية | (مُشرفًا ورئيسًا) | الأستاذ الدكتور ناصر إبراهيم صالح النعيمي |
|  | جامعة العلوم الإسلامية العالمية | (غُضوًا) | الدكتور محمود مبارك عبدالله عبيدات |
|  | جامعة العلوم الإسلامية العالمية | (غُضوًا) | الدكتور حسين مصطفى حسين غوانمة |
|  | الجامعة الهاشمية | (غُضوًا) | الأستاذ الدكتور مُنير تيسير منصور شطناوي |

الإهداء

إلى مَنْ يترنّم الوجود لوجودهم إلى مَنْ أعرف رأي العين أني جزءٌ منهم
إلى مَنْ يستحقّون أن أُسَطّر من أجلهم هذا الإهداء
أبي أمي زوجي

أجمل أنغام حياتي (أبنائي): باشق، أميرة، بسنت
الذين حملوا قلبي على أكفّ السعادة ليُبهجوا زماني
الذين ساروا معي خطوة بخطوة وتحملوا معي الأشواك
جنّتي في الأرض ووطني الفسيح الذي لا أجد عنه بديلاً

جزاكم ربي خيراً

شُكر وتقدير

أشكر الله عزّ وجلّ شكراً ما بعده شكر، الذي أكرمني بإنارة طريقي لتقديم هذا العمل، كما يطيب لي أن أسطر شكري وتقديري إلى أسرتي في جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الذين قدّموا لي يد العون والمُساعدة، ودعموني في مشروع رسالتي، بكلمات نابغة من أصدق مشاعري وأحاسيسي.

فأتقدّم بالشُكر الجزيل والاحترام والتقدير للدكتور الفاضل الذي تشرفت بإشرافه على رسالتي (أ.د ناصر إبراهيم صالح النعيمي) وعوّلت عليه بعد الله في جُلّ خطواتي، وقد سبرت وثيقة به وبإشرافه الطيّب وعلمه المبارك العزيز، ودعمه المتواصل، ومُتابعته الحثيثة الرّاقية التي لمست في ترجمتها خصال الغلماء.

والشُكر والتقدير إلى الدكتور الفاضل الذي يعزّ نظيره (د. محمود مبارك عبدالله عبيدات) صاحب الفضل عليّ بعد الله سبحانه وتعالى في تعلّم علم الأصوات من البذرة وحتى الثمرة، ومصدر التشجيع الذي يدعوني لإكمال المسير كلّما ساورني الضّعف، ودائرة الأُنس لأفكاري، الذي أراه فأقتبس النور لمساري.

والشُكر موصول إلى نسيم الندى ونجم المُنَى، مَنْ نترنّم له بالإخلاص ما حيينا، وأينما تلاطمتنا الأمواج (أ.د مُنير تيسير منصور شطناوي) على ما قدّمه لي من علم عميق ودعم خالص في دراستي ورسالتي.

كما أرسل أزكى التحيّات، وأخلص الشُكر إلى صاحب التميّز والأفكار النيرة، الذي نسعد بلمعان نجمه في سماء الدّراسات اللّغويّة (د. حسين مصطفى حسين غوانمة).

ويسرّني أن أتقدّم بالشُكر للثلة المباركة (أ.د نهاد ياسين محمود الموسى (د. مصطفى طاهر أحمد الحيادة) (د. أحمد غالب النوري الخرشة). (أ.د عيسى نوري قويدر العبادي) على كرمهم عليّ بوافر العلم وجميل التّواصل وطيّب النّصائح إلى أن وصلت إلى تسطير رسالتي.

ومسك الشُكر أهديه للأستاذ الفاضل (أ. إسماعيل محمّد محمود أبو دريع) مدير صرح مدرسة و روضة السّلط الحديثة، و مدرسة و روضة المدينة الفاضلة الدوليّة ، صاحب المُثُل والقيم التّربويّة والعلميّة التي يُحتذى بها، منك تعلّمنا يا أبي معنى العزيمة والإصرار، ومعك نتعلم كيف يجب أن يحيا الإنسان.

بيان محمد يوسف صالح

الرموز الصوتية للألفباء الصوتية

| الرمز الصوتي | الرمز العربي | الرقم |
|--------------|------------------|-------|
| b | ب | -١ |
| m | م | -٢ |
| w | و | -٣ |
| f | ف | -٤ |
| t̪ | ث | -٥ |
| ɗ | ذ | -٦ |
| ɟ | ظ | -٧ |
| d | د | -٨ |
| ɗ | ض | -٩ |
| t | ت | -١٠ |
| T | ط | -١١ |
| s | س | -١٢ |
| ʂ | ص | -١٣ |
| z | ز | -١٤ |
| l | ل | -١٥ |
| r | ر | -١٦ |
| n | ن | -١٧ |
| ʃ | ش | -١٨ |
| g | ج | -١٩ |
| ɣ | ي | -٢٠ |
| k | ك | -٢١ |
| ɣ | غ | -٢٢ |
| x | خ | -٢٣ |
| q | ق | -٢٤ |
| ʕ | ع | -٢٥ |
| ħ | ح | -٢٦ |
| ʔ | ء (للوصل والقطع) | -٢٧ |
| h | هـ | -٢٨ |

الرموز الصوتية للصوائت القصيرة والطويلة

| الرمز الصوتي الطويل | الرمز الصوتي القصير | الصائت | الرقم |
|---------------------|---------------------|--------|-------|
| a: = الألف المدية | a | الفتحة | -١ |
| u: = الواو المدية | u | الضمة | -٢ |
| i: = الياء المدية | i | الكسرة | -٣ |

قائمة المحتويات

| الرقم | الموضوع | الصفحة |
|-------|---|--------|
| ١- | تفويض | |
| ٢- | قرار لجنة المناقشة | ب |
| ٣- | الإهداء | ج |
| ٤- | الشكر والتقدير | د |
| ٥- | الرّموز الصّوتية | ح |
| ٦- | قائمة المحتويات | هـ |
| ٧- | المُلخّص باللّغة العربيّة | ط |
| ٨- | المُلخّص باللّغة الإنجليزيّة | ي |
| ٩- | المُقَدِّمة | ٣-١ |
| ١٠- | التمهيد | ١٠-٤ |
| ١١- | نبذة عن المؤلّف والمؤلّف | ٤ |
| ١٢- | المبحث الأوّل: جلال الدين السيوطي (٨٤٩هـ-٩١١هـ) | ٧-٥ |
| ١٣- | المطلب الأوّل: اسمه، مولده، نسبه، أهم مراحل حياته ووفاته | ٥ |
| ١٤- | المطلب الثاني: ملامح عصره السياسي والاجتماعية والدينية والثقافية | ٦ |
| ١٥- | المطلب الثالث: آثار السيوطي | ٧ |
| ١٦- | المبحث الثاني: الأشباه والنظائر في النحو | ٨ |
| ١٧- | المطلب الأوّل: أسلوبه في النّقل والترتيب وعرض الأفكار | ٨ |
| ١٨- | المطلب الآخر: منهجه وما اشتمل عليه من موضوعات | ٨ |
| ١٩- | المبحث الثالث: السيوطي وملامح تفكيره الصّوتيّ | ١٠-٩ |
| ٢٠- | المطلب الأوّل: تنافر الأصوات اللغوية | ٩ |
| ٢١- | المطلب الآخر: فصاحة الكلام | ١٠ |
| ٢٢- | الفصل الأوّل: مُقدِّمة في الدّرس الصّوتيّ العربيّ | ٣٣-١١ |
| ٢٣- | المبحث الأوّل: مخارج أصوات اللّغة العربيّة في الدّرس الصّوتيّ العربيّ الحديث | ١٦-١٣ |
| ٢٤- | المطلب الأوّل: عدد أصوات اللّغة العربيّة ومخارجها في الدّرس الصّوتيّ العربيّ الحديث | ١٤-١٣ |
| ٢٥- | المطلب الآخر: الجهاز النّطقي في الدّرس الصّوتيّ العربيّ الحديث | ١٦-١٥ |
| ٢٦- | المبحث الثاني: صفات أصوات اللّغة العربيّة في الدّرس الصّوتيّ العربيّ الحديث | ٢٣-١٧ |
| ٢٧- | المطلب الأوّل: الصّفات المُتضادّة | ١٩-١٧ |
| ٢٨- | المطلب الآخر: الصّفات غير المُتضادّة | ٢١-٢٠ |
| ٢٩- | جدول مخارج وصفات أصوات اللّغة العربيّة | ٢٢ |
| ٣٠- | مقارنة تقريبيّة لوصف مخارج صوامت اللّغة العربيّة بين المتقدمين والمحدثين | ٢٣ |
| ٣١- | المبحث الثالث: المقطع في الدّرس الصّوتيّ العربيّ الحديث | ٢٥-٢٤ |
| ٣٢- | المبحث الرابع: الفونيم في الدّرس الصّوتيّ | ٣٣-٢٦ |
| ٣٣- | المطلب الأوّل: الفونيمات الرّئيسة أو التّركيبية أو التّمييزية | ٢٨-٢٦ |
| ٣٤- | المطلب الآخر: الفونيمات الثّانوية أو فوق التّركيبية أو التّطريزية | ٣٣-٢٩ |
| ٣٥- | الفصل الثاني: أصول التّعليل الصّوتيّ | ١٠٩-٣٤ |

| | | |
|---------|--|-----|
| ٤٠-٣٦ | المطلب الأول: التعليل الصوتي في مُقدّمة العين للفراهيديّ (ت ١٧٠هـ) | -٣٧ |
| ٤٦-٤٠ | المطلب الثاني: التعليل الصوتي في كتاب الكتاب لسبويه (ت ١٨٠هـ) | -٣٨ |
| ٤٨-٤٧ | المطلب الثالث: التعليل الصوتي في كتاب المُقتضب للمُبرد (ت ٢٨٦هـ) | -٣٩ |
| ٥٠-٤٩ | المطلب الرابع: التعليل الصوتي في كتاب الأصول في النحو لابن السراج (ت ٣١٦هـ) | -٤٠ |
| ٥٢-٥١ | المطلب الخامس: التعليل الصوتي في كتاب الجمل في النحو للزجاجي (ت ٣٤٠هـ) | -٤١ |
| ٥٤-٥٣ | المطلب السادس: التعليل الصوتي في كتاب الواضح للزبيدي (٣٧٩هـ) | -٤٢ |
| ٥٧-٥٥ | المطلب السابع: التعليل الصوتي في كتاب سر صناعة الإعراب لابن جنّي (ت ٣٩٢هـ) | -٤٣ |
| ٥٩-٥٨ | المطلب الثامن: التعليل الصوتي في كتاب المُفصل في صنعة الإعراب للزمخشري (٥٣٨هـ) | -٤٤ |
| ٦١-٦٠ | المطلب التاسع: التعليل الصوتي في كتاب الشافية في علم التصريف لابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) | -٤٥ |
| ٨٩-٦٢ | المبحث الثاني: التعليل الصوتي في كُتب علماء التّجويد | -٤٦ |
| ٧٢-٦٤ | المطلب الأول: التعليل الصوتي في كتاب الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لمكي بن أبي طالب القيسيّ (ت ٤٣٧هـ) | -٤٧ |
| ٧٤-٧٣ | المطلب الثاني: التعليل الصوتي في كتاب التّحديد في الإتقان والتّجويد لأبي عمرو عثمان الداني (ت ٤٤٤هـ) | -٤٨ |
| ٨٥-٧٥ | المطلب الثالث: التعليل الصوتي في كتاب الموضّح في التّجويد لعبد الوهاب الفرطبيّ (ت ٤٦١هـ) | -٤٩ |
| ٨٩-٨٦ | المطلب الرابع: التعليل الصوتي في كتاب التّمهيد في علم التّجويد لابن الجزريّ (ت ٨٣٣هـ) | -٥٠ |
| ١٠٩-٩٠ | المبحث الثالث: التعليل الصوتي في كُتب علم الأصوات العربيّة الحديثة | -٥١ |
| ١٠٠-٩١ | المطلب الأول: التعليل الصوتي في كتاب الأصوات اللّغويّة لإبراهيم أنيس | -٥٢ |
| ١٠٢-١٠١ | المطلب الثاني: التعليل الصوتي في كتاب مناهج البحث في اللّغة لتمام حسان | -٥٣ |
| ١٠٤-١٠٣ | المطلب الثالث: التعليل الصوتي في كتاب علم اللّغة مُقدّمة للقارئ العربيّ امحمود السّعران | -٥٤ |
| ١٠٩-١٠٥ | المطلب الرابع: التعليل الصوتي في كتاب علم الأصوات لكمال بشر | -٥٥ |
| ١٥٢-١١٠ | الفصل الثالث: العلة الصوتيّة في شواهد الأشباه والنظائر | -٥٦ |
| ١١٣-١١١ | المبحث الأول: العلة الصوتيّة في الدرس الصوتي العربيّ | -٥٧ |
| ١١١ | المطلب الأول: مفهوم العلة الصوتيّة | -٥٨ |
| ١١٣-١١٢ | المطلب الآخر: العوامل المرتبطة بالعلة الصوتيّة | -٥٩ |
| ١١٧-١١٤ | المبحث الثاني: التّغيرات الصوتيّة التي تعترى البنية اللّغويّة | -٦٠ |
| ١١٥-١١٤ | المطلب الأول: مفهوم التّغيرات الصوتيّة وخصائصها | -٦١ |
| ١١٧-١١٦ | المطلب الآخر: أقسام التّغيرات الصوتيّة | -٦٢ |
| ١٢٨-١١٨ | المبحث الثالث: علة المماثلة الصوتيّة | -٦٣ |

| | | |
|---------|--|-----|
| ١١٨-١١٩ | المطلب الأول: مفهوم علة المماثلة الصوتية | -٦٤ |
| ١٢٠ | المطلب الثاني: أشكال علة المماثلة الصوتية | -٦٥ |
| ١٢١-١٢٨ | المطلب الثالث: تطبيقات علة المماثلة الصوتية في شواهد الأشباه والنظائر | -٦٦ |
| ١٢٩-١٣٦ | المبحث الرابع: علة المخالفة الصوتية | -٦٧ |
| ١٣٠-١٣٢ | المطلب الأول: مفهوم علة المخالفة الصوتية | -٦٨ |
| ١٣٣-١٣٦ | المطلب الآخر: تطبيقات علة المخالفة الصوتية في شواهد الأشباه والنظائر | -٦٩ |
| ١٣٧-١٤٠ | المبحث الخامس: علة الإبدال الصوتي | -٧٠ |
| ١٣٧-١٣٨ | المطلب الأول: مفهوم علة الإبدال الصوتي | -٧١ |
| ١٣٩-١٤٠ | المطلب الآخر: تطبيقات علة الإبدال الصوتي في شواهد الأشباه والنظائر | -٧٢ |
| ١٤١-١٤٧ | المبحث السادس: علة الحذف الصوتي | -٧٣ |
| ١٤٢-١٤٤ | المطلب الأول: تطبيقات علة الحذف للتخفيف في شواهد الأشباه والنظائر | -٧٤ |
| ١٤٥-١٤٦ | المطلب الثاني: تطبيقات علة الحذف للالتقاء الساكنين في شواهد الأشباه والنظائر | -٧٥ |
| ١٤٧ | المطلب الثالث: تطبيقات علة الحذف لكثرة الاستعمال في شواهد الأشباه والنظائر | -٧٦ |
| ١٤٨-١٥٠ | المبحث السابع: علة أمن اللبس الصوتي | -٧٧ |
| ١٤٨-١٤٩ | المطلب الأول: مفهوم علة أمن اللبس الصوتي | -٧٨ |
| ١٤٩-١٥٠ | المطلب الآخر: تطبيقات علة أمن اللبس الصوتي في شواهد الأشباه والنظائر | -٧٩ |
| ١٥١-١٥٢ | المبحث الثامن: علة القلب المكاني | -٨٠ |
| ١٥١ | المطلب الأول: مفهوم علة القلب المكاني | -٨١ |
| ١٥٢ | المطلب الآخر: تطبيقات علة القلب المكاني في شواهد الأشباه والنظائر | -٨٢ |
| ١٥٣ | الخاتمة | -٨٣ |
| ١٥٤-١٥٩ | المصادر والمراجع | -٨٤ |

العلة الصوتية في كتاب الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي

دراسة وصفية تحليلية

إعداد الباحثة

بيان محمد يوسف صالح

إشراف

أ.د ناصر إبراهيم صالح النعيمي

المُلخَص

يُسلط هذا البحث الضوء على الدرس الصوتي العربي بشكل عام، والعلة الصوتية بشكل خاص، لا سيما العِلل الصوتية المُستنبطة من شواهد المُجلد الأول من كتاب الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي؛ بهدف دراستها وتعليلها، وإثراء درس العلة الصوتية مزيداً من الشواهد اللغوية.

وتتبع الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي بدأ بعرض مُقدمة في الدرس الصوتي العربي، ودراسة أصول التعليل الصوتي لدى المُتقدمين وعلماء التجويد والمُحدثين، وصولاً إلى تقديم دراسة مُتخصصة لمفهوم العلة وعواملها وأنواع التطورات اللغوية؛ تمهيداً لاستخلاص العِلل من شواهد كتاب الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي وتحليلها.

ومن أبرز نتائج البحث أن التعليل الصوتي والعلة الصوتية سنة مُلازمة للدرس اللغوي، تدور في فلك تفسير البنية اللغوية، على المستويين: السطحي والعميق. وقد تعرّض له المُتقدمون لغاية تفسير الظواهر اللغوية، أما المُحدثون فقد درسوا العلة الصوتية لغاية الدرس الصوتي المُتخصص. وقد استطاعت الدراسة رصد عدد من العِلل الصوتية المُستقاة من شواهد كتاب الأشباه والنظائر في النحو وتحليلها، نحو علة المُماثلة وعلة المُخالفة وعلة الإبدال وعلة الحذف وعلة أمن اللبس وعلة القلب المكاني، التي تهدف لتحقيق الانسجام الصوتي والتقليل من الجهد العضلي، وإثبات عدم عشوائية اللغة العربية في تغيراتها.

وختمت الباحثة الدراسة ببيان أبرز النتائج المُتعلقة بالتعليل الصوتي والعلة الصوتية.

**THE VOCAL JUSTIFICATION IN SYNTACTIC BOOK
ENTITLED
"AL-ASHBAH WA AL – NATHAIR" BY AL-SUYUTI
BY
BAYAN MOHAMMED YOUSUF SALEH
SUPERVISOR
DR. NASER IBRAHIM SALEH AL NUAIMI
ABSTRACT**

This research sheds light on the Arabic vocal lesson in general and the phonetic problem in particular, especially the phonological justification derived from the evidences of the first volume of "al-Ashbah wa al-Nathair" book in the syntax of Siyooti, in order to study and explain it, and to enrich the lesson of the phonetic voice with more linguistic evidences. The study follows the analytical descriptive method which began with an introductory presentation in the Arabic vocal lesson. It also dealt with the study to the origins of the vocal reasoning among the formers, the scholars of recitation and the modernists to provide a specialized study of the concept of the Justification and its factors and types of linguistic changes, As a prelude to extract the Justification from the evidences of "al-Ashbah wa al-Nathair" book in syntax and analyzing it.

One of the most prominent results of the research is that the vocal reasoning and justification are accompanied with the linguistic lesson, which revolves around the interpretation of the linguistic structure, both surface and deep. The formers were exposed to the interpretation of linguistic phenomena, while the modernists studied the vocal Justification until the specialized voice lesson. The study has been able to record a number of vocal justifications derived from the evidences of "al-Ashbah wa al_Nathair" book in syntax and analyzing it, such as the justifications of assimilation, dissimilation, substitution, omission, avoiding ambiguity and metathesis, which aims to achieve vocal harmony and reduce the effort of muscle strain. It also proves the nonrandom structure of language in its changes.

The researcher concluded the study with a statement of the most important results related to vocal reasoning and vocal justification.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وبه أستعين، أحمذك اللهم يا من تنزهت في صفاتك وكمالك عن الأشباه والنظائر، وعلوت حتى تفضلت علينا بغفرانك للصغائر والكبائر، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدك ورسولك، المُجتبى من خير أمة لإحياء خير الشعائر، أما بعد:

فقد حظيت العلة الصوتية بأهمية واضحة في الدرس اللغوي العربي، انطلاقاً من اجتهادات علماء اللغة العربية في تفسير التغيرات التي تطرأ على البنية اللغوية؛ حيث تناول علماء اللغة العربية المتقدمون وعلماء التجويد وعلماء اللغة العربية المحدثون، موضوع التعليل الصوتي والعلّة الصوتية في مُصنّفاتهم، وجعلوه دليلاً يُفسر التغيرات اللغوية، إلا أن تناولهم لم يكن على درجة واحدة من التخصص.

وتأتي هذه الدراسة حلقة من حلقات الدرس اللغوي المهتم بأثر العلة الصوتية في شواهد اللغة العربية، ذلك بالوقوف على عدد من الشواهد اللغوية في كتاب الأشباه والنظائر للسيوطي، الذي اجتمعت لمُصنّفه ظروف خاصّة، جعلته يهتم بالإلمام والشمول لعدد كبير من الشواهد اللغوية، فجاء عنوان البحث: (العلّة الصوتية في شواهد الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي).

ويمكن القول بأنّ مشكلة الدراسة تتمثل في تفاوت موقف علماء اللغة العربية من التعليل الصوتي بشكل عام، ومن العلة الصوتية بشكل خاص، إذ لا ترتسم لهما حدود واضحة مقارنة مع العلة النحوية، ولا سيما أن التعليل الصوتي لم تكن بداياته على سبيل الدرس الصوتي المُتخصّص، وإنما جاءت مُختلطة بأمانت مصنّفات اللغة العربية.

ولعلّ من أبرز مظاهر الصعوبة التي تتعلق بالمُصنّف المدروس ما يأتي:

- ١- خلط السيوطي ظواهر اللغة العربية مع بعضها، حيث رتبها حسب حروف المعجم؛ الأمر الذي تتطلب سبراً عميقاً للشواهد اللغوية بحثاً عن العلة الصوتية فيها.
- ٢- أسلوبية السيوطي في البحث المعتمدة على التلقين لا التعليل، مما أفقد الدراسة ميزة السبق في تناول الفكر الصوتي الخاص بالمُصنّف.
- ٣- استطراد السيوطي وإسهابه في مواطن، واختصاره في مواطن أخرى.

ولكي تبتعد الدراسة عن التقليد في المنهجية والغرض؛ فهي تتّجه إلى معالجة الشواهد اللغوية، من خلال استغلال شواهد لغوية يُمكن أن تكون جديدة على الدرس الصوتي؛ بغيّة إثراء العلة الصوتية مزيداً من الشواهد التي من شأنها بناء الصورة المتكاملة للعلّة الصوتية.

ولعلّ هذا الاتجاه في التفكير الصوتي، يُمثّل مرحلة جديدة في استيعاب الدرس الصوتي والعلّة الصوتية؛ حيث عُيّنت الدراسة بتقديم صورة متكاملة للدرس الصوتي، من شأنها الإعانة في بناء فهم العلة الصوتية، بأسلوب مباشر مُبسّط. كما عُيّنت بدراسة المُصنّفات اللغوية المتقدمة والمعاصرة، بالإضافة إلى الأصول من كتب التجويد التي من طبيعة دراستها الاهتمام بالدرس الصوتي؛ لغاية التسلسل في بدايات التعليل الصوتي

والعلة الصوتية، من الأصول إلى الزمن المعاصر، ولغاية تشكيل صورة متكاملة لعلم الأصوات في الدرس اللغوي العربي في ذهن القارئ.

وبذلك تكون الدراسة قد جمعت بين الأصالة والمعاصرة في الشكل والمضمون. وعلى ضوء هذه الحقائق، تسعى الدراسة في سبيل تحقيق الأهداف المرجوة منها - بإذن الله تعالى- إلى اتباع المنهج الوصفي التحليلي في الدراسة، الذي يقوم على استقراء الشواهد اللغوية، وتصنيفها وفق العِلل الصوتية التي تدرج تحتها، ومن ثم تحليلها تحليلًا من شأنه بيان مسوغ العلة الصوتية فيها.

وقد وقفت الدراسة في معرض البحث عن الدراسات السابقة لهذا الموضوع على دراسة معاصرة مُتخصّصة في العلة الصوتية، لاقت قبولاً بين الدراسات التي لحقتها مما جعلها مرجعاً لعدد من الأبحاث والمُصنّفات، هي: دراسة (التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه) لرمضان عبد التّواب، الذي اشتمل على الكثير من التعليلات اللغوية لبعض مظاهر التطور اللغوي، من منطلق عدم ترك الحبل على الغارب للعربية الفصحى للتفاعل مع العامية، ولا سيما ارتباطها بالقرآن الكريم، وتدوينها للتراث العربي الضخم.

وقد تميّزت الدراسة بتخصّصها بالعلة الصوتية، وبالمصطلحات الخاصة التي اشتملت عليها، كالحذقة وبلى الألفاظ والفصل الخاطئ والاشتقاق الشعبي وانكماش الصوت المركّب وغيرها. ومما كان مُتوقّعا معالجة العِلل الصوتية وعرضها بشكل رياضي موسّع، إلا أنها اعتنت بتصنيف التعليلات بشكل يفوق تحليلها.

أما عن مخطط سير الدراسة فقد قام وفق النسق الآتي:

- التمهيد (نبذة عن المؤلف والمؤلف)
- المبحث الأول: جلال الدين السيوطي (٨٤٩هـ-٩١١هـ).
- المبحث الثاني: الأشباه والنظائر في النحو.
- المبحث الثالث: السيوطي والتفكير الصوتي.
- الفصل الأول: مُقدمة في الدرس الصوتي العربي
- المبحث الأول: مخارج أصوات اللغة العربية في الدرس الصوتي العربي الحديث.
- المبحث الثاني: صفات أصوات اللغة العربية في الدرس الصوتي العربي الحديث.
- المبحث الثالث: المقطع في الدرس الصوتي العربي الحديث.
- المبحث الرابع: الفونيم في الدرس الصوتي.
- الفصل الثاني: أصول التعليل الصوتي
- المبحث الأول: التعليل الصوتي في كُتُب اللغوية التراثية.
- المبحث الثاني: التعليل الصوتي في كُتُب علماء التجويد.
- المبحث الثالث: التعليل الصوتي في كُتُب علم الأصوات العربية الحديثة.
- الفصل الثالث: أثر العلة الصوتية على البنية اللغوية في شواهد الأشباه والنظائر
- المبحث الأول: العلة الصوتية في الدرس الصوتي العربي.

- المبحث الثاني: التغيرات الصوتية التي تعترى البنية اللغوية.
- المبحث الثالث: علة المماثلة الصوتية.
- المبحث الرابع: علة المخالفة الصوتية.
- المبحث الخامس: علة الإبدال الصوتي.
- المبحث الخامس: علة الحذف الصوتي.
- المبحث السادس: علة أمن اللبس الصوتي.
- المبحث السابع: علة القلب المكاني.

وأخيراً عرضت الباحثة خلاصة النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وفي الختام، أسأل الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت في عملي هذا، وحققت المراد بتحقيق هذه الدراسة الفائدة للغة العربية وطلبتها، إن الله سميع قريب مجيب الدعوات.

والله ولي التوفيق

التّمهيد

(نبذة عن المؤلّف والمؤلّف)

- **المبحث الأوّل: جلال الدين السيوطي (٨٤٩هـ - ٩١١هـ).**
 - المطلب الأوّل: اسمه ومولده ونسبه وأهم مراحل حياته ووفاته.
 - المطلب الثّاني: ملامح عصره السّياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة والثقافيّة.
 - المطلب الثّالث: آثار السيوطي.
- **المبحث الثّاني: الأشباه والنظائر في النّحو.**
 - المطلب الأوّل: أسلوبه في التّقل والتّرتيب وعرض الأفكار.
 - المطلب الآخر: منهجه وما اشتمل عليه من موضوعات.
- **المبحث الثّالث: السيوطي والتّفكير الصّوتيّ.**
 - المطلب الأوّل: تنافر الأصوات اللّغويّة.
 - المطلب الآخر: فصاحة الكلام.

● **المبحث الأول: جلال الدين السيوطي (٨٤٩ هـ - ٩١١ هـ).**

- **المطلب الأول: اسمه ومولده ونسبه وأهم مراحل حياته ووفاته.**

اسمه عبد الرحمن بن الكمال بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيرى الأسيوطي. سمّاه والده عبد الرحمن، ولقبه بجلال الدين ثم عرضه على شيخه قاضي القضاة عز الدين أحمد الكنائى فيما بعد فكناه بأبي الفضل. أما مولده فقد ولد في نهاية النصف الأول من القرن التاسع، ليلة الأحد مُستهلّ رجب عام ٨٤٩ هـ.

وينتهي نسبه من جهة أبيه إلى أصل أعجمي، وقد رجح ذلك حين ذكر أنّ جدّه الأعلى كان أعجمياً. ولم يذكر السيوطي في ترجمته لنفسه شيئاً عن أمّه، في حين ذكر السخاوي معاصره أنها أمة تركية، وقد تابعه في ذلك بعض المترجمين للسيوطي. وترجع نسبه إلى أسيوط لاستقرار أجداده بها، وقد ولد أبوه كمال الدين بها، وكان جدّه الأعلى همام الدين مُتصوّفاً، ومن دونه من آبائه كانوا من ذوي الوجاهة والرئاسة بأسيوط، ومنهم من كان صاحب ثروة، أما والده فقد كان من المُشتغلين بالعلم^١.

وبالنظر إلى أهمّ مراحل حياته يُمكن الكشف عن سرّ كثرة عدد مؤلفاته، فقد أُجيز بتدريس اللّغة العربيّة منذ وقت مبكّر (عام ٨٦٦ هـ) إذ لم يكن قد أتمّ السابعة عشرة، وقد ابتدأ التّأليف منذ ذلك الوقت، ولهذا دلالاته على قدرته الفارقة وتبوعه المُبكر. وقد حصل السيوطي على إجازة بالتّدريس والإفتاء من شيخه البلقيني عام (٨٧٦ هـ)، وكانت سنه آنذاك تقترب من السابعة والعشرين، وهي سنّ صغيرة لمن يتصدّى لمثل ذلك. كما تولى السيوطي تدريس الحديث ومشیخة التّصوف وظلّ يتولّى المناصب حتى بلغ الأربعين من عمره. فمال إلى الاعتكاف والهدوء والزّهد في الدّنيا لمُدّة أشهر معدودة إلى أن تولّى منصب مشیخة عالٍ في الدّولة لمُدّة خمسة عشر عامًا. وقد حاول الاعتزال أكثر من مرّة لعدم تحمّله أوجه الفساد في الدّولة، كما تعرّض لبطش عدد كبير من الأعداء ومحن وفتن كبيرة. وفي آخر مِحنة واجهها عام (٩٠٦ هـ) وهو في السابعة والخمسين من عمره، اتّجه إلى الاعتكاف وابتعد عن المُشاركة في الحياة العامّة، مُنقطعاً للعبادة والتّأليف بمنزله حتى كانت وفاته سحر ليلة الجمعة التاسع عشر من جمادى الأولى عام (٩١١ هـ). وكان مرضه سبعة أيام بورم شديد في ذراعه اليسرى، وقد استكمل من العمر اثنتين وستين سنة^٢.

^١ انظر: حمودة، طاهر سليمان: جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي، المكتب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٨٩م، ص٩١-٩٣.
^٢ انظر: المرجع نفسه، ص١٠٤-١٢٠.

- **المطلب الثاني: ملامح عصره السياسي والاجتماعية والدينية والثقافية**

لا بدّ لدى الحديث عن حياة السيوطي وآثاره من تناول الحديث عن **الملامح السياسية** في البيئة المصرية التي عاش فيها السيوطي في عهد المماليك. والرّجوع قليلاً عبر السنين للتنبية على حادثة هزّت كيان العالم الإسلامي كلّهُ، وهي سقوط بغداد على أيدي التتار الذين اجتاحت غزوهم العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري، حيث اتّخذت الغزوات المغولية طابعاً وحشياً يُدمر كلّ ما يجد من حضارات، وكان مما تبعه انتقال الخلافة إلى القاهرة، وقد كان لهذه الحوادث أثر بعيد في توجيه الحياة في البيئة المصرية طيلة عصر المماليك، سيّما الفترة التي عاشها السيوطي التي توصف بالقلقة والافتقار إلى الهدوء والسكينة، بل كثيراً ما تأثرت المدينة وأسواقها بعوامل سياسية أو اقتصادية أو اعتبارات أمن أدت إلى اضطراب الأحوال فيها^١.

وعن **الملامح الاجتماعية** فالمجتمع في عصر المماليك مُجتمع طبقيّ تتضح فيه الفروق بين الطبقات، وأكثر فئات المجتمع تميّزاً عن غيرها هي فئة المماليك التي كانت تُمثّل طبقة عسكرية مُمتازة تسنأثر بالحكم وبشؤون الحرب. ثمّ طبقة أرباب القلم، ومنهم السيوطي، وهذه الطبقة كانت تضمّ أرباب الوظائف الديوانية والفُهاء والعُلماء والأدباء والكتّاب^٢.

وعن **الملامح الدينية** فقد عرفت البيئة المصرية التّصوّف إلى جانب المذهب السنّي، وقد ظهر بها كثير من المُتصوّفة. ويقال إنّ انتشار الفقر وسوء الأحوال الاجتماعية قد حدا بكثير من النّاس إلى أن ينتظموا في سلك الصّوفيّة دون استعداد حقيقيّ. وقد تمتع الصّوفيّة في هذا العصر بنفوذ كبير بين جميع فئات المُجتمع، وقد كان السيوطي أحد هؤلاء العلماء الذين مالوا إلى التّصوف وانتظموا في سلكه وناقحوا بأقلامهم عن أعتابه^٣.

وعن **الملامح الثقافية** فقد خلف المماليك بني أيوب في حكم مصر ولم يكونوا أقلّ تحمّساً للعلم وأهله من أسلافهم، لذلك دأب ملوكهم على إنشاء المساجد والمدارس ووقفوا عليها الأوقاف السخية التي تمدّها بما تحتاج إليه من الأموال، حتى قيل إنّ مدارس مصر منذ القرن الثامن - وهو القرن السّابق للقرن الذي عاش فيه السيوطي - لا يُحيط أحد بحصرها لكثرتها. وكان إلى جانب هذه المدارس مكاتب صغيرة مُلحقة بها تعنى بتعليم الصّبية مبادئ القراءة والكتابة. أما العلوم الأساسية التي كانت تُدرّس في هذه المدارس فقد ارتبطت بأصول الدّين كالفقه والحديث والتّفسير، والعلوم اللّغوية وما يتّصل بها كالنحو والصّرف والبيان، فضلاً عن الدّراسات العقليّة كالفلسفة والمنطق أو العلوم العمليّة كالفلك والكيمياء والطّب.

ولعلّ أهم مظاهر النّشاط العلميّ ونتائجه، هي إنتاج علماء هذه الحقبة الآلاف من الكتب في مختلف ألوان المعرفة، وقد عُرف عن بعضهم أنّه ألّف وحده مئات من الكتب مثل السيوطي الذي وصلت مؤلّفاته نحو ستمائة مؤلّف^٤.

^١ انظر: حمودة، طاهر سليمان: جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي، المرجع السابق، ص ١٧-٢٨.

^٢ انظر: المرجع نفسه، ص ٣٤-٣٨.

^٣ انظر: المرجع نفسه، ص ٤٩-٥٢.

^٤ انظر: المرجع نفسه، ص ٥٥-٧٤.

- المطلب الثالث: آثار السيوطي

عُرف السيوطي بكثرة مؤلفاته، التي أعانه على القيام بتأليفها ما طُبِع عليه من حُبِّ للتأليف وصبر عليه، وما عُرف عنه من سرعة الكتابة، فقد روى عنه تلميذه شمس الدين الداودي (ت ٩٤٥هـ) أنه عاين أستاذه وقد كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفاً وتحريراً^١.

وإحصاء مؤلفاته متفاوت بين من حاولوا إحصاءها، فالسيوطي قد ذكر في ترجمته لنفسه نحو ثلاثمائة مُصنّف، بيد أنّ قائمة الكتب التي سردها ليست الفيصل في آثاره التي خَلَفها إذ يبدو أنه قد أَلْف بعد كتابتها الكثير من الكتب التي لم يذكرها فيها. كما يبدو أن هذه القائمة قد سقط منها على أيدي النُسخ أسماء بعض الكتب، أو نسي هو ذكره، كما تغافل عن ذكر بعض الكتب التي قال إنه رجع عنها، ومما يؤكد هذه الفكرة أنه لم يذكر بين قائمة كتبه كتاباً يُعدّ من أهمّها هو كتاب المزهري، وليس هناك أدنى شك في نسبة الكتاب إليه^٢.

ومن أشهر مؤلفاته: إعراب القرآن وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع وعقود الجمان في علم المعاني والبيان والمزهر في علوم اللّغة وأنواعها والافتراح في علم أصول النّحو وشرح شواهد المغني والفتح القريب على مغني اللبيب والشمعة المضية في علم العربية والموشح في علم النحو ورسائل الحاوي وبُغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة والأشباه والنظائر في النّحو الذي بين يدي الدراسة وغيرها كثير^٣.

على أن فحص هذه الكثرة الكاثرة من الآثار يُبين إلى حدّ بعيد غلبة الطّابع النّقلي على منهج السيوطي، وذلك لا ينفي الجهود التي بذلها في التّرتيب والتنسيق والجمع، ولا ينفي بعض ابتكاراته المهمّة، التي تكشف عقلية الواعية ودرايته بما يتعرض له من موضوعات.

ويمكن القول بأنّ اتّجاه السيوطي في التّأليف يوسم بالاتّجاه الموسوعيّ، حيث يستطرد في كثير من الموضوعات مُعتنياً بالجمع. مما يدلّ على سعة علمه ومقدار اطلاعه وصبره على التّدوين والتنسيق^٤. ولعلّ الدّافع من اتّجاه السيوطي الموسوعيّ هو الإحساس بالمسؤوليّة تجاه النّقافة العربيّة والإسلاميّة سيما بعد الغزو المغوليّ المُدمّر وما خَلَفه من تراجع حضاريّ، والاضطرابات السياسيّة في البيئّة المصريّة آنذاك. ورُبّما ساعده على الاعتناء بالتّأليف أكثر ميله إلى الانعزال في حياته الذي استمدّه من صوفيّته كما مرّ سابقاً.

وإذا كان يُؤخذ على طريقة السيوطي الموسوعيّة خلط العلوم وقلة العناية بالتّقسيم، فإنه لا يُنكر ما لها من فوائد في حفظ العلوم والأفكار من الضّياع، ولا سيّما قلة الأدوات البحثيّة وبساطتها عصرئذ.

^١ انظر: حمودة، طاهر سليمان: جلال الدين السيوطي عصره وحياته وأثاره وجهوده في الدرس اللغوي، المرجع السابق، ص ١٦٦.

^٢ انظر: المرجع نفسه، ص ١٦٦-١٧١.

^٣ انظر: المرجع نفسه، ص ٣١٣-٣٣٨.

^٤ انظر: المرجع نفسه، ص ٧٥.

• المبحث الثاني: الأشباه والنظائر في النحو.

يُعدُّ كتاب الأشباه والنظائر في النحو واحدًا من أجمع مُصنِّفات اللُّغة العربيَّة في شموليَّته لعلوم الدرس اللُّغويِّ، كما أنَّه مُصنِّف قادر على بيان منهج صاحبه في التَّأليف، وطريقته في النِّقل والعرض.

- المطلب الأول: أسلوبه في النِّقل والترتيب وعرض الأفكار

مما يمتاز به السيوطي في تأليفه هو الأمانة العلميَّة الملحوظة، التي تجعله لا يذكر نصًّا إلا معزوًّا إلى اسم صاحبه وكتابه. وهو في ترتيبه للنقول يتَّبِع ما تفرضه عليه طبيعة الموضوع، فيرتبها بشكلٍ مُتراصٍّ، ولا يُعنى بالتسلسل الزماني للكتب المنقول عنها بقدر عنايته بالموضوع، وإن بدا ذلك في بعض الأحيان. وقد أخذ عن عدد كبير من اللُّغويين وأكثر الأخذ عن كثيرين، منهم: سيوييه (ت ١٨٠هـ) في الكتاب، وابن السراج (ت ٣١٦هـ) في الأصول، والرَّجَاجيَّ (ت ٣٤٠هـ) في الإيضاح في علل النحو، وأبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) في التذكرة، وابن جنيَّ (ت ٣٩٢هـ) في الخصائص وفي المحتسب، وأبو البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) في التبيين وفي اللباب، والسَّخاوي في شرح المُفصل (ت ٦٤٣هـ)، وابن فلاح (ت ٦٨٠هـ) في المُغني، وأبو حيَّان الأندلسيَّ (ت ٧٤٥هـ) في شرح التسهيل، وابن هشام (ت ٧٦١هـ) في شرح الشذور، وغيرهم^١.

- المطلب الآخر: منهجه وما اشتمل عليه من موضوعات

فيما يخصُّ منهج السيوطي وأسلوبه في عرض أفكاره في كتاب الأشباه والنظائر في النحو، فقد بيَّن السيوطي في مُقدِّمة كتابه علَّة تأليف هذا الكتاب وأنه أراد أن يسلك باللُّغة العربيَّة سبيل الفقه على مثال ما صنَّفه المتأخِّرون من الفقهاء من كتب الأشباه والنظائر، من حيث أنه جامع للعلوم اللُّغويَّة، وقواعده مُرتَّبة وفق الترتيب الألفبائيَّ للحروف.

وقد رتَّب السيوطي كتابه على سبعة فنون، وأفرد لكل فنِّ تسمية وخطبة ليقوم بذاته، وما يعني الدِّراسة الفن الأول الذي قام بالجزء الأول من الكتاب، وكان بعنوان: القواعد والأصول التي تردُّ إليها الجزئيات والفروع، وهو مُرتَّب وفق الترتيب الألفبائيَّ^٢.

وعلى شواهدة قامت دراسة العلَّة الصوتيَّة في هذا البحث؛ لتواري الدرس الصوتي في الدرس اللُّغوي العام من جهة، وتنوعها وشموليتها من جهة أخرى. كما أن غلبة الطابع النقلي في الأشباه والنظائر كانت عاملاً في اعتماد السيوطي في فكره وتعليله على فكر وتعليل غيره. ولأمن اللبس أقامت الباحثة درس العلَّة الصوتيَّة في كتاب الأشباه والنظائر على الشواهد اللُّغويَّة التي رأت بها الباحثة علَّة صوتيَّة.

^١ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ج ١.

^٢ انظر: المرجع نفسه.

• المبحث الثالث: السيوطي وملاحج تفكيره الصوتي

تناول السيوطي أصوات اللّغة العربيّة وما يرتبط بنظامها وقوانينها وخصائصها، تناولاً تطبيقياً عملياً منقولاً، حيث لم أجدُ بين مصنّفاته اللّغويّة ما يمكن أن يعدّ جزءاً أصيلاً من فكره الصوتي الخاص به، وقد أقمْتُ هذا المبحث، لعرض زاويتين من تناولات السيوطي الصوتيّة المنقولة، تختصّان بتنافر الأصوات اللّغوية وفصاحة الكلام، حيث لمستُ فيهما درساً صوتياً خالصاً.

- المطلب الأوّل: تنافر الأصوات اللّغويّة

تناول السيوطي الأصوات اللّغويّة من حيث فصاحة الكلام بها ومن حيث فصاحة المتكلّم بها في باب معرفة الفصيح، والفصاحة كما أخبر من الفُصح، وتعني خلوص الشّيء مما يشوبه. ويكون خلوص الكلام من الشوائب بخلوصه من تنافر الأصوات ومن العزّابة ومن مخالفة القياس اللغوي؛ لما يسببه التنافر بين الأصوات من ثقل على اللسان وعُسْر في النطق، كما في لفظ "الهعّع"¹ الذي تشعر به تهوُّعاً واستثقالاً في النطق. ولفظ "المُسْتَشْزِر"² ووجه التنافر فيه كما أخبر هو توسُّط الشين وهي مهموسة رخوة بين التاء وهي مهموسة شديدة والزاي وهي مجهورة، ومدار معرفة الفصاحة علّة الشيوخ وكثرة الاستعمال³.

وعلى عادة السيوطي فقد اعتنى بالنقول، فقد أخبر عن نقله آراء ابن دريد (ت ٣٢١هـ) في ثقل الأصوات وخفّتها وصلة ذلك بمخارجها، ونقله عن بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣هـ) في كتابه عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أنّ التنافر إما أن يكون للتّباعد الشّديد بين الأصوات اللّغويّة وإما للتّقارب الشّديد بينها، كما أنّ هناك ألفاظاً أصواتها مُتقاربة ولا تنافر فيها كلفظ الشّجر والجيش والفم، وقد يوجد البعد ولا تنافر كلفظ العلم والبعد⁴. ولعلّ ذلك يعني أنّ النّظر إلى فصاحة الكلام من حيث تقارب الأصوات اللّغوية وتباعدها أمر نسبيّ بين الأفراد .

كما ظهر اهتمام السيوطي بتنافر الأصوات وفصاحة الكلام في حديثه عن المستعمل والمهمّل، حيث أخرج من كلام العرب كلّ كلمة على خمسة أحرف ليس فيها صوت من أصوات الدُّق أو الإطباق - التي سيأتي بيانها في الفصل الأوّل - وذكر ما رُفِض استعماله لتقارب أصواته، نحو: سص ووص ووط وتط ووضش؛ لأنفور الحسّ عنه والمشقّة على النفس لتكلفه⁵.

¹ الهعّع بكسر الهاء وفتح الخاء المعجمة بمعنى النبت الأسود في قول أعرابي سئل عن ناقته فقال: تركتها ترعى الهعّع. التهانوي، محمد بن علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان، ط١، بيروت، ١٩٩٦م، ٥١٣/١.

² مستشزرات أي مرتفعات أو مرفوعات يقال واستشزر أي ارتفع (إلى العلى). التفتازاني، سعد الدين: مختصر المعاني، دار الفكر، ط١، ١٤١١هـ، ص ١٠.

³ انظر: السيوطي، جلال الدين: المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٨م، ١/١٤٦-١٤٧.

⁴ انظر: المصدر نفسه، ١/١٥٤-١٥٥.

⁵ انظر: المصدر نفسه، ١/١٩٣.

المطلب الآخر: فصاحة الكلام

تناول السيوطي فيما يخص فصاحة الكلام، الألفاظ الأعجمية التي استعملها العرب الفصحاء في لغتهم في باب معرفة المعرب، قاصداً ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعية لمعانٍ في غير لغتها، وهي ليست فصيحة الأصل.

فعرض بداية اختلاف العلماء في وجود كلمات العجم في القرآن الكريم، نحو: المشكاة والقسطاس والفردوس والطور واليَمِّ وغيرها، بين مؤيدين ومعارضين، وختم بالمذهب الذي يصدّق كلا الفريقين وذلك بوجود أصول أعجمية سقطت إلى العرب فأعرّبتها بألسنتها وحوّلتها من ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت بكلام العرب فمن قال إنها عربية فهو صادق ومن قال إنها أعجمية فهو صادق^١.

وقد قسم الألفاظ المعربة نقلاً عن أبي حيان (ت ٧٥٤هـ) في الارتشاف إلى ثلاثة أقسام، منها ما غيرته العرب وألحقته بكلامها، نحو: درهم بهرج^٢، ومنها ما غيرته العرب ولم تلحقه بكلامها، نحو: سفسير^٣، ومنها ما تركت بعضه العرب وأخذت بعضه، ولم يذكر له مثلاً. كما عرض السيوطي آلية صوتية تناولها بعض علماء اللغة العربية من قبل، تساعد في التعرف على الألفاظ الأعجمية في كلام العرب، منها: ما كان أوله نون ثم راء نحو نرجس فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية، وما كان آخره زاي بعد دال نحو مهندز، فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية، وما اجتمع فيه الصاد والجيم نحو الصولجان^٤ والجيم والقاف نحو المنجنيق^٥.

وإذا حظيت الألفاظ المعربة باستعمال فصحاء العرب في لغتهم فإن جانباً من هذا المعرب ينعت بالمولد، جعل له السيوطي باباً خاصاً يعرف بـ (معرفة المولد). وهي الألفاظ التي جاءت على لسان من جاؤوا بعد عصر الاحتجاج، والمولد من التوليد أي المستحدث على كلام العرب ولم يكن فيه. وفيما يتعلّق بالدرس الصوتي ما ألحق بالمولد لتحريف صوتي، نحو: أخ كلمة تقال عند التأوه أصلها بالحاء (أخ). ونحو: ستي بمعنى سيدتي ونحو: كسر كلمة الفلفل والأصل ضمها، وضم العين والسين في العلو والسفل والأصل كسرهما^٦. ولعل ذلك قادر على بيان أن تناول السيوطي للدرس الصوتي العربي جاء تناولاً تطبيقياً عملياً منقولاً لا متأصلاً.

^١ انظر: السيوطي، جلال الدين: المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، المصدر السابق، ١/ ٢١١-٢١٢.

^٢ درهم بهرج أي درهم مزور، أصل بهرج فارسي معرب وفي أوله نون، أي: (نبهرج)، وبعد النون حرف يضارع الباء والفاء (أي مخرجه قريب من مخرجيهما)، والعرب قد حذفوا النون من أوله، وجعلته رباعياً، على وزن خردل ونحوه، وليس إثبات النون فيه خطأ؛ لأنه يصير على وزن سفرجل وهمرجل ونحوهما من الخماسي. وتفسير البهرج بالفارسية: المزور من كل شيء. انظر: ابن درستويه، عبدالله بن جعفر: تصحيح الفصح وشرحه، تحقيق: محمد بدوي المختون، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٤٨٣.

^٣ السفسير هو السمسمار، والعبقري، وهو الحاذق بصناعته، من قولهم: سفاصرة وعباقرة. ويُقال للحاذق بأمر الحديد: سفسير. انظر: ابن الأزهري، أبو منصور: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠١م، ١٣/ ١٠٧.

^٤ الصولجان: عصا يُعطَفُ طرفُها يُضربُ بها الكُرَّةُ على الدوابِّ، فأما العَصَا التي اعوجَّ طرفُها خُلقَةً في شجرتِها فهي مججّن. انظر: المصدر نفسه، ١٠/ ٢٩٨.

^٥ جص: الجصُّ والصَّادُ لا يَنْلُحُ أَنْ يَكُونَ كَلَامًا صَحِيحًا. فَأَمَّا الْجِصُّ فَمَعْرَبٌ، وَالْعَرَبُ تَسْمِيهِ الْقَصَةَ. وهو حجر صلب أبيض، وَجِصُّ الْجُرُودِ، بِمَعْنَى فَتْحِ عَيْنَيْهِ. وَفِي كُلِّ ذَلِكَ نَظْرٌ. انظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م، ١/ ٤١٥.

^٦ انظر: المصدر نفسه، ١/ ٢١١-٢١٣.

^٧ انظر: السيوطي، جلال الدين: المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، المصدر السابق، ١/ ٢٤٢-٢٥٣.

الفصل الأوّل

مُقدّمة في الدّرس الصّوتيّ العربيّ

- المبحث الأوّل: أصوات اللّغة العربيّة في الدّرس الصّوتيّ العربيّ .
- المطلب الأوّل: عدد أصوات اللّغة العربيّة ومخارجها في الدّرس الصّوتيّ العربيّ.
- المطلب الآخر: الجهاز النّطقي في الدّرس الصّوتيّ العربيّ.
- المبحث الثاني: صفات أصوات اللّغة العربيّة في الدّرس الصّوتيّ العربيّ.
- المطلب الأوّل: الصّفات المُتضادّة.
- المطلب الآخر: الصّفات غير المُتضادّة.
- المبحث الثالث: المقطع في الدّرس الصّوتيّ العربيّ.
- المبحث الرابع: الفونيم في الدّرس الصّوتيّ.
- المطلب الأوّل: الفونيمات الرّئيسة أو التّركيبية أو التّمييزيّة.
- المطلب الآخر: الفونيمات التّانوية أو فوق التّركيبية أو التّطريزيّة.

الفصل الأول

مُقدِّمة في الدرس الصَوْتِيّ العربيّ

يتناول الدرس الصَوْتِيّ العربيّ الجانب التّطبيقيّ للغة العربيّة التي يعتمد عليها المرء في عمليّة التّواصل الإنسانيّ. فيدرس الأصوات الإنسانيّة وآلية نطقها من حيث عددها ومخارجها وصفاتها وتفسير تطوراتها الصَوْتِيّة وكتابتها.

وما الكتابة الصَوْتِيّة إلا وسيلة لتمثيل الأصوات اللّغويّة، وحفظ شكلها مع ما تتعرّض له من تطوّرات صوتيّة على مرّ الزّمان، واهتمام الدرس الصَوْتِيّ بشكل عام مُنصبّ على النّطق والمُشافهة بشكل خاصّ.

وإذا كان الدرس الصَوْتِيّ العربيّ في بداياته قد اعتمد على الملاحظة الدّاتيّة لعدم وجود آلات وأجهزة عصريّة، فإنّه شقّ طريقه فيما بعد حتّى عرف علم الأصوات التّجريبيّ، حيث تمّت الاستعانة بعدد من الأجهزة التي ساعدت الدرس الصَوْتِيّ على بلوغ درجة أعلى من العلميّة والدقّة، منها: الكيموغراف (راسم الأمواج لحركة بعض أعضاء جسم الإنسان) والرّاديوغراف (جهاز تصوير الأشعّة) والسّتروبيسكوبي (جهاز قياس حركة الأجسام السّريّة مثل الوترين الصَوْتيين) وغيرها.^١

ويُمكن نسبة الدرس الصَوْتِيّ العربيّ في أصوله إلى علم الأصوات النّطقيّ، الذي يدرس الأصوات اللّغويّة بالنّظر إلى أعضاء النّطق. أما علم الأصوات الفيزيائيّ (الذي يدرس انتقال الأصوات اللّغويّة من المُتكلّم إلى أذن السّامع فيدرس الموجات الصَوْتِيّة المُنتشرة في الهواء) وعلم الأصوات السّمعيّ (الذي يدرس الأصوات اللّغويّة من النّاحيتين السّمعيّة والنّفسيّة) فقد ظهرا في وقت مُتأخّر لارتباطهما بالتكنولوجيا والعلوم الأخرى.

وبالنّظر إلى الدرس الصَوْتِيّ العربيّ من حيث منهج تناوله لأصوات اللّغة العربيّة يظهر اعتناؤه بمنهج علم الأصوات الوصفيّ (الذي يدرس لغة مُحدّدة في مخارجها وصفاتها وما يتعلّق بها من تبدّلات وتغيّرات بفعل عللٍ مُعيّنة)، الذي يفوق عنايته بعلم الأصوات التّاريخيّ (الذي يتتبع لغة مُعيّنة في فترات زمنيّة طويلة) وعلم الأصوات المُقارن (الذي يُقارن الدرس الصَوْتِيّ بين لغتين أو أكثر أو يقارن اللّغة نفسها بفتراتها الزّمنيّة المُختلفة) ولعلّ ذلك يعود إلى الدّافع الرّئيس الذي من أجله قامت الدّراسات الصَوْتِيّة العربيّة المُتمثّلة في خدمة القرآن الكريم بشكل خاصّ، واللّغة العربيّة بشكل عام.

^١ انظر: النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربيّة، جامعة القدس المفتوحة، ط١، عمان، ١٩٩٦م، ص٩-١٠.

• المبحث الأول: أصوات اللّغة العربيّة في الدّرس الصّوتيّ العربيّ

- المطلب الأول: عدد أصوات اللّغة العربيّة ومخارجها في الدّرس الصّوتيّ العربيّ

ذهب مُعظم علماء الأصوات العرب المُعاصرين إلى أنّ عدد صوامت اللّغة العربيّة في الدّرس الصّوتيّ العربيّ، ثمانية وعشرون صامتاً، تتوزّع على عشرة مخارج عند الأغلبية، على النّحو الآتي^١:

التّرتيب الألفبائيّ (الأبثّي)

| | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|----|---|---|---|---|---|
| ر | ذ | د | خ | ح | ج | ث | ت | ب | ء |
| ف | غ | ع | ظ | ط | ض | ص | ش | س | ز |
| | | ي | و | هـ | ن | م | ل | ك | ق |

التّرتيب المخرجي

| | | | | | | | | | |
|---|---|----|---|---|---|---|---|---|---|
| ت | ض | د | ظ | ذ | ث | ف | و | م | ب |
| ي | ج | ش | ن | ر | ل | ز | ص | س | ط |
| | | هـ | ء | ح | ع | ق | خ | غ | ك |

المخارج العشرة

| شَفَوِيّ | شَفَوِيّ أَسْنَانِيّ | بَيْن أَسْنَانِيّ | لَثَوِيّ أَسْنَانِيّ | لَثَوِيّ | غَارِيّ | طَبَقِيّ | لَهَوِيّ | حَلَقِيّ | حَنَجْرِيّ |
|----------|-------------------------|----------------------|-------------------------|----------|----------|----------|----------|----------|------------|
| ب م و | ف | ث ذ ظ | د ض ت ط، س ص ز | ل ر ن | ش ج ي | ك غ خ | ق | ع ح | ء هـ |

وممّا تلحظه الباحثة على التّرتيب المخرجيّ السّابق، البدء بالاتّجاه المُعاكس لتّرتيب المُتقدّمين الذي بدأ من أقصى الحلق إلى الشّفنّين وسيأتي بيانه فيما بعد، وهو اختلاف شكليّ لا تعتقد فيه الباحثة تأثيراً على الدّرس الصّوتيّ.

^١ انظر: حسان، تمام: مناهج البحث في اللّغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د.ط)، ١٩٩٠م، ص ٨٤-٨٥. وعبد التّواب، رمضان: المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٣٠-٣١. واستيتية، سمير شريف: اللسانيات (المجال والوظيفة والمنهج)، عالم الكتب الحديث، ط٢، عمان، ٢٠٠٨م، ص ٢٢-٢٨.

ومما يمكن أخذه على الترتيب المخرجي السابق عدّه صوت الواو من الأصوات الشفويّة اعتماداً على وضعيّة الشفتين الظاهرة لدى نطقه، والرأي كما ذهب إليه أحمد مختار عمر حين نقل مخرج الواو من الشفتين إلى الطّبق، حيث إنّه صوت من أقصى اللسان حين يلتقي بأقصى الحنك^١.

أمّا الصّوائت (الحركات) في الدّرس الصّوتيّ العربيّ فقد شكّلت صعوبة في الوصف وتحديد المخرج قديماً وحديثاً؛ لعدم وجود اتّصال أو تقارب واضح لأعضاء آلة النّطق أثناء النّطق بها، فالّتضييق المصاحب لنطقها تضيق تجويفيّ لا موضعيّ.

وفي العربيّة ثلاثة صوائت من حيث النّوع (فتحة، ضمة، كسرة) وتصبح سنّة بمضاعفة الكميّة (الألف المديّة، الواو المديّة، الياء المديّة). ولولا صفة الجهر (اهتزاز الوترين الصّوتيين) التي أكسبت الصّوائت الوضوح السّميّ لتحوّلت إلى نفّس مصحوب بحفيف^٢.

وقد بيّن رمضان عبد التّوّاب مخارج صوائت العربيّة اعتماداً على حركة مُقدّمة اللسان نحو سقف الحنك، أو حركة مؤخّرة اللسان نحو سقف الحنك، على النّحو الآتي^٣:

وصف مخارج صوائت اللّغة العربيّة في الدّرس العربيّ الحديث

| الصفّات | وصف المخرج |
|---------|--|
| الفتحة | يكون اللسان مُستويّاً في قاع الفم، مع انحراف قليل في أقصاه نحو أقصى الحنك يصاحبه انفراج طوليّ للشفتين. |
| الضّمة | ارتفاع أقصى اللسان نحو سقف الحنك بحيث لا يحدث للهواء المارّ بهذه المنطقة أي نوع من الحفيف، يصاحبه استدارة للشفتين. |
| الكسرة | صعود مقدّمة اللسان نحو وسط الحنك الأعلى بحيث يكون الفراغ بينهما كافياً لمرور الهواء، دون أن يحدث في مروره من هذا الموضع احتكاك. يصاحبه انفراج عرضيّ للشفتين. |

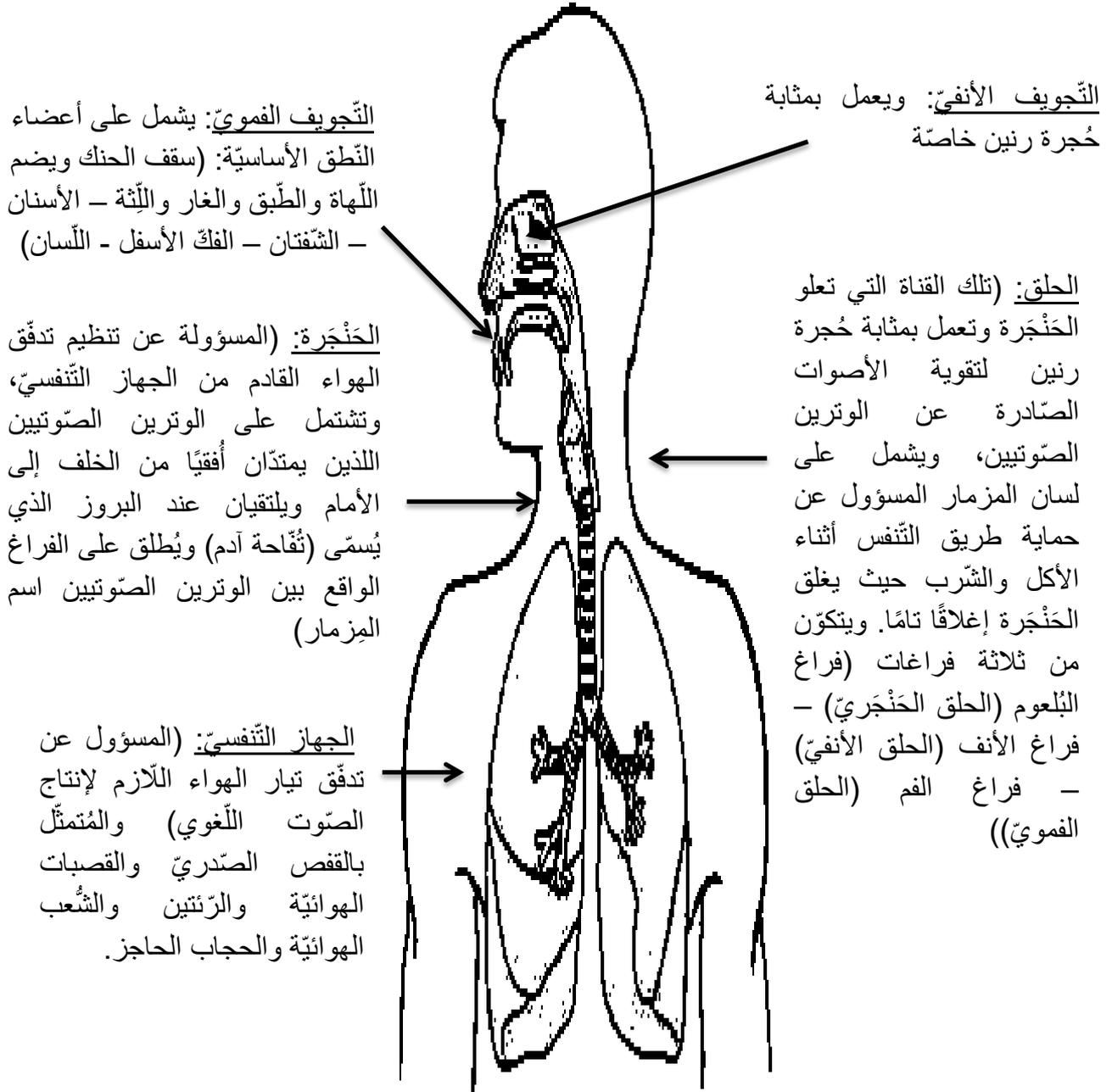
^١ انظر: عمر، أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٣١٨.

^٢ انظر: الحمد، غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات العربيّة، دار عمار، ط١، عمان، ٢٠٠٤م، ص ١٣٥-١٦٣.

^٣ انظر: عبد التّوّاب، رمضان: المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللغوي، المرجع السابق، ص ٩٢-٩٣.

- المطلب الثاني: الجهاز النطقي في الدرس الصوتي العربي الحديث

يُمكن بيان تقسيم الجهاز النطقي العام من الناحية التشريحية في الدرس الصوتي العربي، على النحو الآتي^١:



^١ انظر: النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، المرجع السابق، ص ٥٣-٨٣.

• إنّ تسمية أعضاء النطق بهذا الاسم (أعضاء النطق) هي تسمية من باب المجاز، والأولى تسميتها أعضاء تساعد على النطق؛ لعلّة أنّ لهذه الأعضاء وظائف عضوية أخرى تقوم بها. وترى الباحثة أنّ هذه التسمية سواء كانت على سبيل الحقيقة أم المجاز فإنها لا تحتاج لكثير من الوقوف أو الدرس، لأنّ المفهوم والغرض واضحان.

وقد قسّم الدرس الصّوتيّ العربيّ التّجويّف الفمويّ السّابق إلى أعضاء النّطق الأساسيّة الآتية^١:

١- سقف الحنك

لسقف الحنك شكل يُشبه شكل قُبّة تقع فوق اللّسان، يرتكز عليه اللّسان عند أدائه لعدد من الأصوات اللّغويّة، وينقسم إلى أربعة أقسام يوضّحها الشّكل الآتي:

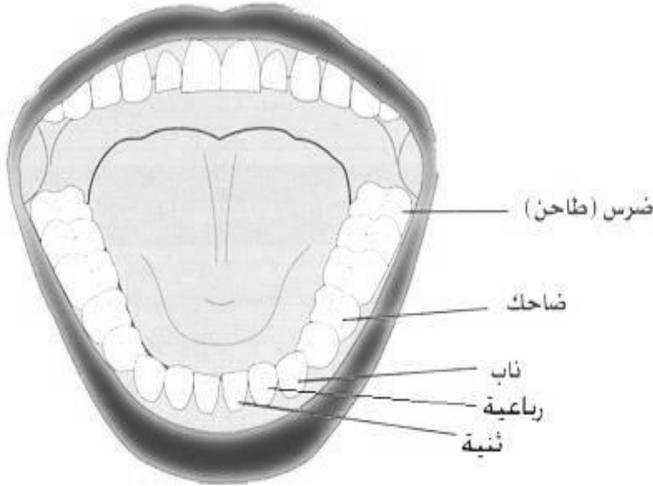


٣- الشفتان

عضلتان تقعان في مُقدّمة التّجويّف الفمويّ، وتأخذان عدّة وضعيّات: وضع إقبال تام، وضع تقارب، وضع استرخاء، وضع تباعد، وضع استدارة وغيرها.

٢- الأسنان

للأسنان فُكّان: أعلى وأسفل، يشتملان على اثنين وثلاثين سنّاً، مُتماثلة في التّوزيع، على النّحو الآتي:

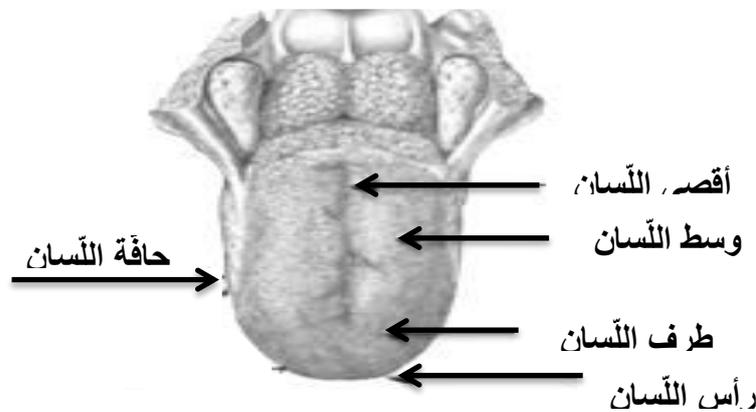


٤- الفكّ الأسفل

الجزء الوحيد المتحرّك من بين عظام الوجه، يتحرّك في عدّة اتّجاهات، أهمّها: العلويّ والسفليّ، حيث يؤثّران في حجم فراغ التّجويّف الفمويّ.

٥- اللّسان

أهم أعضاء النّطق قاطبة، ويقسّمه علماء اللّغة إلى عدّة أقسام، هي:



^١ انظر: النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، المرجع السابق، ص ٥٣-٨٣.

• المبحث الثاني: صفات أصوات اللّغة العربيّة في الدّرس الصّوتيّ العربيّ

إنّ صفات أصوات اللّغة العربيّة هي المسؤولة الأولى في تمييز صوت عن غيره، ولا سيّما المشتركة في المخرج نفسه، وتكون إمّا مُتضادّة وإما غير مُتضادّة على النحو الآتي:

- المطلب الأوّل: الصّفات المُتضادّة

وهي الصّفات التي لها مُقابل صوتيّ، بحيث لو سلبنا أحد الأصوات اللّغويّة المشتركة في المخرج صفة من صفاته، انقلب إلى صوت لُغويّ آخر. فسلب الإطباق من الصّاد يجعله سيّناً، وسلب الجهر من الذال يجعله ثاءً. والصّفات المُتضادّة هي:

صفات مُتضادّة

| | | |
|----------|-----------|-----------|
| | الهمس | الجهر |
| التّوسّط | الاحتكاك | الانفجار |
| | الاستفالة | الاستعلاء |
| | الانفتاح | الإطباق |
| | الإصمات | الإذلاق |

أ- الجهر والهمس:

الصّوت المجهور هو الصّوت الذي يتذبذب الوتران الصّوتيان عند النّطق به لاقترابهما، والصّوت المهموس هو الصّوت الذي لا يتذبذب الوتران الصّوتيان عند النّطق به لتباعدهما. ويمكن التمييز بين الصّوت المجهور والصّوت المهموس بالملاحظة الدّائميّة، بوضع أصابع اليد على الحنّجرة وملاحظة اهتزاز الوترين. وعدد الأصوات المهموسة في الدّرس الصّوتيّ العربيّ الحديث عند المعظم اثنا عشر صوتاً، على النحو الآتي:

الأصوات المهموسة في الدّرس الصّوتيّ العربيّ

| | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|----|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ف | ح | ث | هـ | ش | خ | ص | س | ك | ت | ق | ط |
|---|---|---|----|---|---|---|---|---|---|---|---|

وما سوى ذلك من الأصوات اللّغويّة يُعدّ من الأصوات المجهورة، باستثناء صوت الهمزة المختلف فيه؛ لما يحدث أثناء نطقه من انطباق للوترين الصّوتيين ثمّ انفراجهما دون حدوث ذبذبة، فمن نظر إلى عدم ذبذبة الوترين الصّوتيين عدّه صوتاً مهموساً. ومن المحدّثين من قال إنّ الهمزة صوت مهموس، ومن الدّارسين من قال إنّ الهمزة صوت لا مهموس ولا مجهور، بل يُمثّل حالة ثالثة^١، لا هو بالمهموس ولا بالمجهور؛ لعدم انطباق مفهومي الجهر والهمس على ما يحدث له عند النّطق به.

^١ انظر: الشايب، فوزي حسن: محاضرات في اللّسانيات، وزارة الثقافة، ط١، عام، ١٩٩٩م، ص ١٦١.

ب- الانفجار والاحتكاك والتوسط

الأصوات الانفجارية وسمّاها المُتقدّمون (الشديدة)، هي الأصوات التي تتكوّن من حبس النَّفس الخارج من الرّنين حبسًا تامًّا في موضع النّطق، فينضغط النَّفس ثم ينطلق بانفصال العضوين انفصالًا سريعًا، وعددها تسعة، هي^١:

الأصوات الانفجارية في الدرس الصوتي العربي

| | | | | | | | | |
|---|---|---|----------------|---|---|---|---|---|
| ء | ق | ك | ج ^٢ | د | ت | ض | ط | ب |
|---|---|---|----------------|---|---|---|---|---|

ويُقابل الأصوات الانفجارية الأصوات الاحتكاكية التي أسماها المُتقدّمون (الرّخوة) وتتكوّن من تقارب شديد بين عضوين من أعضاء النّطق، ينشأ عنه تضيق لمجرى الهواء الخارج من الرّنين وحدث احتكاك مسموع. والأصوات الاحتكاكية في الدرس الصوتي العربي خمسة عشر صوتًا، هي^٣:

الأصوات الاحتكاكية في الدرس الصوتي العربي

| | | | | | | | | | |
|---|---|----|---|---|---|---|---|---|---|
| ذ | ظ | ز | غ | ع | ف | ث | س | ص | ش |
| خ | ح | هـ | | | | | | | |

وتأتي الأصوات المتوسطة بينية، أي بين الانفجارية والاحتكاكية، لعدم انحصار النَّفس في مخرج هذه الأصوات كالانفجارية، وجريانه من منفذ آخر، وهي:

الأصوات المتوسطة في الدرس الصوتي العربي

| | | | | | |
|---|---|---|---|--------------|--------------|
| ل | ن | م | ر | الواو اللينة | الياء اللينة |
|---|---|---|---|--------------|--------------|

أما صوت العين الذي عدّه المُتقدّمون صوتًا متوسطًا، فيراه فوزي الشّايب صوتًا احتكاكيًا بعلّة الاتفاق على عدّ الحاء (المُقابل المهموس للعين) صوتًا رخوًا مما يسوّغ عدّ نظيره المجهور رخوًا أيضًا^٤.

^١ انظر: العاني، سلمان حسن: التّشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، النادي الأدبي الثقافي، ط١، جدّة، ١٩٨٣م، ص٥٢، أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، نهضة مصر، مصر، ص٢٤-٢٥، السعران، محمود: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ص١٦٤-١٦٥.

^٢ الجيم الانفجارية لدى إبراهيم أنيس هي الجيم القاهرية، أما الجيم العربية الفصيحة فهي مركبة (انفكاكية- تبدأ انفجارية وتنتهي احتكاكية) لاختلاط صوتها الانفجاري بنوع من الاحتكاك يقلل من شدتها. انظر: أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية المرجع السابق، ص٢٥.

^٣ انظر: العاني، سلمان حسن: التّشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، المرجع السابق، ص٥٦-٥٨، السعران، محمود: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، المرجع السابق، ص١٧٢-١٧٨. مع اختلاف لدى بعض الدارسين في عدّ الواو والياء اللينتين من الأصوات الرخوة. انظر: الحمد، غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات العربية، المرجع السابق، ص١١٣.

^٤ انظر: الشّايب، فوزي حسن، محاضرات في اللسانيات، المرجع السابق، ص١٨٦.

ج- الاستعلاء والاستفالة:

الاستعلاء هو ارتفاع أقصى اللسان إلى الحنك العلوي عند النطق بالصوت، فيرتفع الصوت معه، وأصواته سبعة، هي:

أصوات الاستعلاء في الدرس الصوتي العربي الحديث

| | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| ظ | ق | ط | غ | ض | ص | خ |
|---|---|---|---|---|---|---|

وتُقابلُه صفة الاستفالة بمعنى الانخفاض، أي انخفاض أقصى اللسان عن الحنك العلوي عند النطق بالصوت، وهي الأصوات الباقية من أصوات الاستعلاء. وترتبط هذه الصفة بتفخيم وترقيق الأصوات، فأصوات الاستعلاء هي المُفخِّمة دائماً مع تفاوت في درجات التفخيم، وأصوات الاستفالة هي المُرقِّقة دائماً باستثناء اللام بعد فتحة أو ضمة، والراء المفتوحة (رَبَاب) أو المضمومة (رُبَى) أو الساكنة سكوناً أصلياً وقبلها فتح (العَرْش) أو ضم (يُرْسِل) أو الساكنة بعد كسر وبعدها في الكلمة نفسها صوت استعلاء مفتوح (فِرْقَة) فإذا كان صوت الاستعلاء مكسوراً (فِرْقِي) أو مُنفصلاً (أحضر قَلماً) رُقِّقت مع جواز التفخيم، وتُفخَّم الراء أيضاً إذا جاءت ساكنة في أول الكلمة بعد همزة وصل (ارْجِع)، أو جاءت مُتطرِّفة متحركة عرض لها السكون حال الوقف وكانت حركة الصوت الذي قبلها غير الكسر (رتب محمد الأمور). أما الألف فقد ذهب بعض العلماء إلى عدم وصفها بالتفخيم أو الترقيق إذ هي تابعة للصوت الذي قبلها، مثلها مثل غنة الإخفاء التي تتبع ما بعدها تفخيماً وترقيقاً.

د- الإطباق والانفتاح:

الإطباق هو استعلاء أقصى اللسان ووسطه إلى جهة الحنك العلوي وانطباق الحنك على وسط اللسان، بحيث ينحصر الصوت بينهما، وأصواته أربعة (ص، ض، ط، ظ)، أي هو المُبالغة في الاستعلاء، فكلُّ مُطبق مُستعلٍ وليس كُلُّ مُستعلٍ مطبقاً. وعكسه الانفتاح، وهو انفراج ما بين اللسان والحنك العلوي عند النطق بحيث لا ينحصر الصوت بينهما، وأصواته باقي أصوات الإطباق. والانفتاح أعم من الاستفال، فكلُّ صوت مُستقل مُنفتح، وليس كُلُّ صوت مُنفتح مستفلاً، لاستثناء الأصوات الثلاثة المُنفحة غير المُستقلة: (خ، غ، ق).^١

هـ- الإذلاق والإصمات:

الإذلاق هو سرعة النطق بالصوت وخفته، وأصواته مجموعة في عبارة: (فر من لب). ويُقابلُه الإصمات وهو ثقل الصوت وعدم سرعة النطق به، وأصوات الإصمات هي الباقية بعد الإذلاق.^٢

^١ انظر: شكري، أحمد خالد وآخرون: المنير في أحكام التجويد، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط١٢، عمان، ٢٠٠٨م، ص١٢٩-١٥٥.

^٢ انظر: المرجع نفسه، ص ١٣٠-١٣١.

^٣ انظر: المرجع نفسه، ص١٣٢.

- المطلب الثاني: الصفات غير المتضادة

وهي الصفات التي ليس لها مقابل صوتي، فسلب الصفة منها لا ينتج صوتاً آخر وإنما يؤدي إلى خلل بالصوت، وهي ثمانية:

صفات غير متضادة

| |
|-----------|
| الصّفير |
| اللّين |
| الانحراف |
| التكرار |
| التفشي |
| الاستطالة |
| القفلة |
| الغنة |

أ- الصّفير:

هو أزيز مسموع ينتج عن قوّة الاحتكاك الناتجة بفعل التضييق الكبير لمجرى الهواء، وأصواته ثلاثة: (ص، س، ز)¹.

ب- اللّين:

صفة لأكثر الأصوات رخاوة، لاتساعها في مخرجها أكثر من غيرها من الأصوات الرخوة، وهي صفة لازمة للواو والياء الساكنتين بعد فتح، نحو: (أُو) (لَيْت)².

ج- الانحراف:

صفة تتكوّن من وجود عقبة وسط مجرى الهواء، مع ترك منفذ للهواء من طريق أحد جانبي العقبة أو كليهما، ومثالها في العربية صوت اللّام³.

د- التكرار:

هو طرق طرف اللسان للثة طرفاً يسيراً مرتين أو ثلاث مرات، ومثاله في العربية صوت الزّاء⁴.

¹ انظر: الشايب، فوزي حسن: محاضرات في اللسانيات، المرجع السابق، ص ١٩٦-١٩٧.

² انظر: الحمد، غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات العربية، المرجع السابق، ص ١٣٢-١٣٣.

³ انظر: المصدر نفسه، ص ١٢٦-١٢٧.

⁴ انظر: المصدر نفسه، ص ١٢٨.

هـ- التفشي:

هو انتشار خروج الهواء بين اللسان والحنك عند النطق بالصوت، وهو الشين، وذكر آخرون أصواتاً أخرى مع الشين، منها الفاء والثاء، لاشتراكها في كثرة انتشار الهواء، والاتفاق على تفشي الشين أكثر لأن انتشار الهواء فيها أكثر، ولأن تفشي الهواء محصور داخل الفم، أما الفاء والثاء فالهواء متفشي إلى الخارج^١.

و- الاستطالة:

صفة لامتداد الصوت من آخر حافة اللسان إلى أولها عند النطق، وهي صفة للضاد التي نطقها المتقدمون، لامتدادها في مخرجها حتى تتصل باللام^٢.

ز- الفقللة:

صفة للأصوات الانفجارية المجهورة التي يقتضي نطقها حبس النفس في المخرج ثم إطلاقه، تأتي مكتملة للصوت حال سكونه لإتمام إطلاق النفس الذي يعيقه السكون . وتعني اضطراب الصوت في مخرجه عند النطق به ساكناً حتى يُسمع له صوت يشبه النبرة، وأصواتها خمسة مجموعة في عبارة: (قطب جد)^٣. ولعلّ الدرس العربي الصوتي أصبح يتطلب إعادة نظر في أصوات الفقللة المجموعة في العبارة السابقة؛ نظراً للتطور الصوتي والعلمي الذي أخرج صوتي القاف والطاء من الجهر إلى الهمس. والنظر في إمكانية إضافة الهمزة لأصوات الفقللة لتوفّر شرطي الانفجار وانحباس النفس التام عند السكون، لتكون أصوات الفقللة مجموعة في كلمة: (أبجد).

ح- العنة:

هي صوت يخرج من الفم والأنف، ينشأ باعتراض النفس في نقطة ما في فراغ الفم مع انخفاض في الحنك اللين واللهاة، والسماح لهواء الزفير بالانطلاق من خلال التجويف الأنفي، من غير أن تسدّ اللهاة طريق النفس إلى فراغ الفم، فيتشكّل بذلك الفراغ رنين يقوّي الصوت الخارج من الأنف. وفي اللغة العربية صوتان بهما عنة: (النون والميم)^٤.

^١ انظر: الحمد، غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات العربية، المرجع السابق، ص ١٣٠-١٣١.

^٢ انظر: شكري، أحمد خالد وآخرون: المنير في أحكام التجويد، المرجع السابق، ص ١٣٧.

^٣ انظر: الحمد، غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات العربية، المرجع السابق، ص ١١٨-١٢٢.

^٤ انظر: أيوب، عبد الرحمن: أصوات اللغة، دار العلوم، ط٢، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٩١.

مخارج وصفات أصوات اللغة العربية في الدرس الصوتي العربي الحديث

| الرقم | الصوت | المخرج | الجهر | الهمس | الانفجار | الاحتكاك | التوسط | الاستواء | الاستغلة | الإطباق | الإفحاح | الإغلاق | الإصمات | الصفير | اللين | الاعتراف | التكرار | التفسي | الاستغلة | القائمة | اللغة |
|-------|-------|-------------|-------|-------|----------|----------|--------|----------|----------|---------|---------|---------|---------|--------|-------|----------|---------|--------|----------|---------|-------|
| ١- | ب | شغوي | ✓ | | ✓ | | | | ✓ | ✓ | ✓ | | | | | | | | | ✓ | ✓ |
| ٢- | م | شغوي | ✓ | | | | ✓ | | ✓ | ✓ | ✓ | | | | | | | | | | ✓ |
| ٣- | و | شغوي | ✓ | | | ✓ | | | ✓ | ✓ | ✓ | | ✓ | | ✓ | | | | | | |
| ٤- | ف | شغوي اسناني | | ✓ | | ✓ | | | ✓ | ✓ | ✓ | | | | | | | | | | |
| ٥- | ث | اسناني | | ✓ | | ✓ | | | ✓ | ✓ | ✓ | | | | | | | | | | |
| ٦- | ذ | اسناني | ✓ | | | ✓ | | | ✓ | ✓ | ✓ | | | | | | | | | | |
| ٧- | ظ | اسناني | ✓ | | | ✓ | | ✓ | | ✓ | ✓ | | | | | | | | | | |
| ٨- | د | لتوي اسناني | ✓ | | ✓ | | | | ✓ | ✓ | ✓ | | | | | | | | | ✓ | ✓ |
| ٩- | ض | لتوي اسناني | ✓ | | ✓ | | | ✓ | | ✓ | ✓ | | | | | | | | | | |
| ١٠- | ت | لتوي اسناني | | ✓ | ✓ | | | | ✓ | ✓ | ✓ | | | | | | | | | | |
| ١١- | ط | لتوي اسناني | | ✓ | ✓ | | | ✓ | | ✓ | ✓ | | | | | | | | | ✓ | ✓ |
| ١٢- | س | لتوي اسناني | | ✓ | | ✓ | | | ✓ | ✓ | ✓ | | | ✓ | | | | | | | |
| ١٣- | ص | لتوي اسناني | | ✓ | | ✓ | | | ✓ | ✓ | ✓ | | | ✓ | | | | | | | |
| ١٤- | ز | لتوي اسناني | ✓ | | | ✓ | | | ✓ | ✓ | ✓ | | | ✓ | | | | | | | |
| ١٥- | ل | لتوي | ✓ | | | | ✓ | | ✓ | ✓ | ✓ | | | | | ✓ | | | | | |
| ١٦- | ر | لتوي | ✓ | | | | ✓ | | ✓ | ✓ | ✓ | | | | | | ✓ | | | | ✓ |
| ١٧- | ن | لتوي | ✓ | | | | ✓ | | ✓ | ✓ | ✓ | | | | | | | ✓ | | | |
| ١٨- | ش | عاري | | ✓ | | ✓ | | | ✓ | ✓ | ✓ | | ✓ | | | | | | | | |
| ١٩- | ج | عاري | ✓ | | ✓ | | | | ✓ | ✓ | ✓ | | ✓ | | | | | | | | ✓ |
| ٢٠- | ي | عاري | ✓ | | | ✓ | | | ✓ | ✓ | ✓ | | ✓ | | | | | | | | |
| ٢١- | ك | طبي | | ✓ | ✓ | | | | ✓ | ✓ | ✓ | | ✓ | | | | | | | | |
| ٢٢- | غ | طبي | ✓ | | | ✓ | | ✓ | | ✓ | ✓ | | ✓ | | | | | | | | |
| ٢٣- | خ | طبي | | ✓ | | ✓ | | ✓ | | ✓ | ✓ | | ✓ | | | | | | | | |
| ٢٤- | ق | لهوي | | ✓ | ✓ | | | ✓ | | ✓ | ✓ | | ✓ | | | | | | | | ✓ |
| ٢٥- | ع | حلي | ✓ | | | ✓ | | | ✓ | ✓ | ✓ | | ✓ | | | | | | | | |
| ٢٦- | ح | حلي | | ✓ | | ✓ | | | ✓ | ✓ | ✓ | | ✓ | | | | | | | | |
| ٢٧- | ء | حجزي | X | X | ✓ | | | | ✓ | ✓ | ✓ | | ✓ | | | | | | | | |
| ٢٨- | هـ | حجزي | | ✓ | | ✓ | | | ✓ | ✓ | ✓ | | ✓ | | | | | | | | |

النظام في وصف الأصوات

مقارنة تقريبية لوصف مخارج صوامت اللّغة العربيّة بين المُتقدّمين والمُحدثين

من الشّفتين إلى الحنّجرة

| المخرج عند المُحدثين | الصّوت | المخرج عند المُتقدّمين |
|-------------------------------------|--------|---|
| شفويّ | ب | مما بين الشّفتين |
| شفويّ | م | مما بين الشّفتين |
| أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحلق | و | مما بين الشّفتين |
| شفويّ أسنانيّ | ف | باطن الشّفة السفلى وأطراف الثنايا العلّيا |
| بين أسنانيّ | ث | طرف اللّسان |
| بين أسنانيّ | ذ | طرف اللّسان |
| بين أسنانيّ | ظ | طرف اللّسان |
| لثويّ أسنانيّ | د | طرف اللّسان |
| لثويّ أسنانيّ | ض | طرف اللّسان |
| لثويّ أسنانيّ | ت | طرف اللّسان |
| لثويّ أسنانيّ | ط | طرف اللّسان |
| لثويّ أسنانيّ | س | طرف اللّسان |
| لثويّ أسنانيّ | ص | طرف اللّسان |
| لثويّ أسنانيّ | ز | طرف اللّسان |
| لثويّ | ل | حافة اللّسان |
| لثويّ | ر | حافة اللّسان |
| لثويّ | ن | حافة اللّسان |
| غاريّ | ش | وسط اللّسان |
| غاريّ | ج | وسط اللّسان |
| غاريّ | ي | وسط اللّسان |
| طبيقيّ | ك | أقصى اللّسان |
| طبيقيّ | غ | أدنى الحلق |
| طبيقيّ | خ | أدنى الحلق |
| لهويّ | ق | أقصى اللّسان |
| حلقّيّ | ع | وسط الحلق |
| حلقّيّ | ح | وسط الحلق |
| حنجريّ | ء | أقصى الحلق |
| حنجريّ | هـ | أقصى الحلق |

من أقصى الحلق إلى الشّفتين (باختلاف الترتيب)

• المبحث الثالث: المقطع في الدرس الصوتي العربي

يُعرف المقطع الصوتي بأنه كمية من الأصوات يُمكن الابتداء بها والوقوف عليها، وتنقسم المقاطع الصوتية عمومًا إلى قسمين: قصير وطويل، فالقصير هو ما بدأ بصوت صامت وجاءت بعده حركة قصيرة، ففي كلمة مثل: "كتب" مقاطع ثلاثة قصيرة "ka+ta+ba". والمقطع الطويل هو ما بدأ بصامت ثم تلتها حركة طويلة، مثل كلمة: "في" في اللغة العربية "Fee". أو مفتوح ومغلق، فالمفتوح ما انتهى بصائت، والمغلق ما انتهى بصامت.

وهو درس ترى الباحثة أصالته في تراث اللغة العربية، على الرغم من الزعم القائل بحداثته^١، وليس أدلّ على أصالته في الدرس اللغوي العربي من جهود الخليل بن أحمد الفراهيدي مُبتكر علم العروض وبحور الشعر العربي القائمة على أساس المقاطع الصوتية.

وتنقسم المقاطع في اللغة العربية إلى ستة أقسام، يُرمز لها بعدة رموز اختارت منها الباحثة للصّامت حرف (ص) وللصّائت حرف (ح)، على النحو الآتي:

أنواع المقاطع الصوتية في اللغة العربية

| | | | |
|----|----------------|-----------|---------------------|
| ١- | المقطع الأوّل | ص ح | ب/ ت/ ث |
| ٢- | المقطع الثّاني | ص ح ح | با/ تا/ ثا |
| ٣- | المقطع الثّالث | ص ح ص | قَم/ صُم/ عُدّ |
| ٤- | المقطع الرّابع | ص ح ح ص | سوز/ حوز/ باب |
| ٥- | المقطع الخامس | ص ح ص ص | سَعْد/ رَعْد/ جُهْد |
| ٦- | المقطع السّادس | ص ح ح ص ص | جان/ هام/ سام |

ومما يُلاحظ على أنواع المقاطع السابقة، البدء بصامت متبوع بصائت في كلّ الأنواع، حيث إن اللغة العربية لا تبدأ بصامت، وأصغر المقاطع ما يتكون من صوتين (ص ح) وعلى هذا فلا يوجد أقلّ من ذلك، فلا يوجد صامت وحده (ص) أو صائت وحده (ح) بالإجماع^٢.

كما يُلاحظ عليها كثرة المقاطع الثلاثة الأولى وشيوعها في الكلام، وقلة المقاطع الرّابعة والخامسة والسّادسة لاختصاصها في حالة الوقف. ويُعدّ المقطع الخامس (ص ح ص ص) على سبيل المثال مقطّعًا صعبًا في اللغة العربية، حيث تكمن صعوبته في النقاء صامتين دون وجود فاصل بينهما، ورغم قبوله إلا أن اللغة العربية تُحاول التّخلص منه، فقد تخلّصت منه من خلال ظاهرة الوقف بالنقل مثلًا^٣.

^١ انظر: عبد التواب، رمضان: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المرجع السابق، ص ١٠١-١٠٢.

^٢ انظر: الحمد، غانم قدوري، المدخل إلى علم أصوات العربية، المرجع السابق، ص ١٨٩.

^٣ انظر: عبيدات، محمود مبارك: هاء السكت ودورها في تصحيح البنية المقطعية للكلمة العربية، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، غزّة، ٢٠١٠م، ص ٨٢٦-٨٢٧.

^٤ انظر: المرجع نفسه.

وهي ظاهرة من ظواهر الوقف في اللغة العربيّة، تُظهر أهميّة النّظام المقطعيّ في الدّرس الصّوتيّ. حيث تقوم بنقل حركة الحرف الصّحيح الأخير من الكلمة، إلى الصّحيح الساكن الذي قبله، مثل قراءة أبي عمرو بن العلاء في سورة العصر: "وتواصوا بالصّبر"^١ بكسر الباء من كلمة الصّبر. على النّحو الآتي^٢:

- الصّبر = (?as/ sabr) - (ص ح ص / ص ح ص ص).
- الصّبر = (?as/ sa/ bir) - (ص ح ص / ص ح / ص ح ص).

كما تكمن أهميّة دراسة المقطع في الدّرس الصّوتيّ بتفسيره ظواهر لغويّة أخرى، نحو تفسيره دخول همزة الوصل على فعل الأمر (ادخل) من الفعل المضارع (يدخل) على سبيل المثال^٣. يدخل: (yad/xu/lu) - (ص ح ص / ص ح / ص ح) عند حذف حرف المضارع وبنائه على ما يُجزم به، يحدث أن يلتقي صامتان في أول المقطع، وهو مقطع مرفوض في اللغة العربيّة (d/xul) - (ص / ص ح ص) فتدخل همزة الوصل لتصحيح البنية المقطعيّة، على النّحو الآتي:

(?ud/xul) - (ص ح ص / ص ح ص)

ومن الأمثلة على أهميّة المقطع الصّوتيّ أيضاً، تفسير ظاهرة دخول هاء السكت التي تلحق أواخر الكلم، التي رأى علماء اللغة أنها تلحق الكلمة من أجل بيان الحركة وحمايتها من الحذف في بعض الأنماط اللغويّة التي يكون لها قيمة لغويّة تزول بزوال هذه الحركة.

ورأى محمود مبارك عبيدات أن هاء السكت تلحق آخر الكلمة من أجل تصحيح البنية المقطعيّة أو تسهيلها، لا من أجل بيان الحركة وحسب كما يرى علماء اللغة، ويمكن بيان ذلك بالمثل الآتي^٤:

| الحلّ | الإشكالية | فعل الأمر وقفاً وتوزيعه المقطعي | فعل الأمر وصلًا وتوزيعه المقطعي | الفعل الماضي وتوزيعه المقطعي |
|--|---|---------------------------------|---------------------------------|-------------------------------|
| دخول هاء السكت لتصحيح البنية المقطعيّة (قَه) - (qih) (ص ح ص) | وجود مقطع مرفوض في اللغة يتكون من صامت واحد | ق q ص (مقطع مرفوض) | ق qi ص ح | وقى wa/ qaa ص ح / ص ح ح |

^١ عمر، أحمد مختار - مكرم، عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية، مطبوعات جامعة الكويت، ط٢، ١٩٨٨م، ٢٢٩/٨. سورة العصر: ٣.

^٢ انظر: عبيدات، محمود مبارك: هاء السكت ودورها في تصحيح البنية المقطعيّة للكلمة العربيّة، المرجع السابق، ص٨٢٦-٨٢٨.

^٣ (X) الرمز الصوتي للخاء) - (? الرمز الصوتي للهمزة) - (u الرمز الصوتي للضمّة). انظر: بشر، كمال: علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٦٣٦-٦٣٨.

^٤ انظر: عبيدات، محمود مبارك: هاء السكت ودورها في تصحيح البنية المقطعيّة للكلمة العربيّة، المرجع السابق، ص ٨٣٤

• **المبحث الرابع: الفونيم في الدرس الصوتي**
- المطلب الأول: الفونيمات الرئيسية أو التركيبية أو التمييزية

الفونيمات الرئيسية أو التركيبية أو التمييزية جزء من بناء التركيب الصوتي يمكن إفراده وعزله عن أخواته، عكس الفونيمات الثانوية أو فوق التركيبية أو التطريزية التي تُعدّ ظاهرة خارجية ترتبط بالتركيب لكنها ليست جزءاً من بنائه، ومن ثمّ لا يمكن إفرادها وعزلها^١.

وقد تعدّدت التعريفات التي تناولت مُصطلح الفونيم، تعدّداً مُتعاضداً إلى حدّ كبير وإن ظهر التنافر الشكلي بينها؛ ذلك لتعدد الاتجاهات وتعدّد تصورات علم اللغة للغة أولاً وللصوت ثانياً، على النحو الآتي^٢:

| الرقم | الاتجاه | أبرز أنصار الاتجاه | مفهوم الفونيم |
|-------|-------------|--------------------|---|
| ١- | الذهنيّ | سابير | بنية ذهنيّة ذات وجود عقليّ مثاليّ في أذهان أبناء الجماعة اللغويّة التي ينتمي إليها الفونيم. |
| ٢- | التنائيّ | دي سوسير | الحدث اللغويّ المنطوق على نحو ما، المسموع على النحو المألوف. |
| ٣- | البنائيّ | دانيال جونز | قيمة نُطقية قابلة للتّنوع في السياقات البنائيّة المُختلفة، تنوّعاً غير قابل للتّبادل. |
| ٤- | الوظيفيّ | ياكسون وتروبتسكوي | الصوت الذي يؤديّ تغييره في البنية إلى تغيير في المعنى. |
| ٥- | الاجتماعيّ | لابوف | جزء من البنية الذهنيّة الاجتماعيّة اللغويّة، قابلة للتّحوّل بتغيير المجتمع أسلوبه وطريقته في التّواصل. |
| ٦- | السيمائيّ | ماجنوس | وحدة صوتيّة ذات خصائص نُطقية قابلة للتّفرع، تشير سيميائيّاً إلى معنى من المعاني. فالقاف مثلاً تُشير إلى الشدّة والضعف. |
| ٧- | البراجماتيّ | تواديل | صورة الصوت ليس لها واقع ماديّ منطوق، فهو واقع تخيليّ اجتمع النَّاس على تخيل صورته وتجريدها، والفونيم هو نطق هذه الصّورة باتفاق ومواضعة. |
| ٨- | التّوليديّ | نشومسكي | مجموع ما هو مُستنكن في الذّهن للصوت والكيفيّة التي يُنطق بها الصوت. |
| ٩- | التّكامليّ | سمير إستيتيّة | وحدة صوتيّة ذات وجود ذهني ترتبط بالنطق والبناء، قابلة للتّوظيف الدّلالي أو الإشاري، وفق النّظرة الاجتماعيّة في المُحيط اللغويّ الواحد. (محاولة توفيق بين الاتجاهات المتعددة) |

^١ انظر: بشر، كمال: دراسات في علم اللغة، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٨٤.

^٢ انظر: استيتيّة، سمير شريف: اللسانيات (المجال، والوظيفة، والمنهج)، المرجع السابق، ص ٦٤-٨٢.

وقد عرّف رمضان عبد التّواب الفونيم بأنه: عائلة صوتيّة أو وحدة صوتيّة تعني مجموع الأصوات المختلفة التي يعبر عنها في الكتابة برمز واحد، وفونيمات اللّغة العربيّة تساوي حروف اللّغة العربيّة التي لها رمز كتابي، والفرق بين الحرف والفونيم، أن الحرف صورة مادّيّة، والفونيم عمليّة نطقيّة. وقد جاءت نظريّة الفونيم كاشفة للتّضليل الكتابي، بعدم التفاته إلى فروع الفونيم الواحد (تنوعاته النطقية = الألفون)، حيث خصّصت الأبجديات الاهتمام بأفراد العائلة الفونيميّة الكبرى، ولم تُعنّ بفروعها، فالأجنبيّ الذي يتعلّم اللّغة العربيّة على سبيل المثال، لن يدرك أن للنّون تنوّعات نطقية متعدّدة، كما في: (إن ثار- إن ظهر- إن شرق- إن قام)^١

وفي اللّغة الألمانيّة على سبيل المثال، صوت (S) يُنطق زايًا قبل الحركة، نحو (Sehen)، ويُنطق سينًا بعد الحركة، نحو: (Bis). فصوت الزّاي موجود في اللّغة الألمانيّة وليس له فونيمًا مُستقلًا، وإنما هو فرع من فونيم آخر؛ لأنه لا يوجد كلمة في اللّغة الألمانيّة يختلف فيها المعنى بإحلال السين محلّ الزّاي، أو العكس كما في العربيّة، نحو: (سار- زار) السين والزّاي يتقابلان في الجهر والهمس، إلا أن كلّاً منهما فونيم مختلف عن الآخر كونه حمل وظيفة خاصّة، وبغيّره تغيّر المعنى. أما رمز (Z) في اللّغة الألمانيّة فيدلّ على الصّوت المزدوج (تس)، فمن لا يعرف اللّغة الألمانيّة ينطق اسم المدينة الألمانيّة (Leipzig): ليبزج، والصواب: ليبنتسج. وينطق اسم المستشرق الألمانيّ (Goldziher): جولززيهر، والصواب: جولدتسهيهر^٢.

ويمكن التّعريف إذا ما كان الصّوتان يُمثّلان فونيمين مختلفين أو ألفونين لفونيم واحد بالتّجربة، بأن يُجرّب الصّوتان بأن يوضع كلّ منهما مكان الآخر في كلمة ما، مع الاحتفاظ بباقي أصواتها، فإذا وجد اختلاف في المعنى، فهما فونيمان، وإذا لم يوجد اختلاف في المعنى، فهما ألفونان لفونيم واحد^٣.

وتعدّ الصّوائت بوصفها وحدات صوتيّة صغرى يتغير المعنى بتغييرها فونيمات، وهي بذلك كالصّوامت من الفونيمات الرّئيسة، أما بوصفها وحدات قواعدية صغرى دالة على معنى فتعدّ من المورفييمات.

فالفتحة بعد الحاء في (حَصَرَ) غير الفتحة بعد الضّاد من النّاحية الصّوتيّة، إلا أن هذا التّغايير في النّاحية الصّوتيّة لا يؤدي إلى تغايير في النّاحية الوظيفيّة. أما الفتحة بعد الزّاء فتعدّ مورفيماً بوصفها وحدة قواعديّة صغرى دالة على بناء الفعل الماضي.

أما السّكون الذي لا يتحقق وجوده إلا بوجود التّركيب، فلا يُعدّ رابع الصّوائت؛ حيث لا يُمكن إفراده أو عزله، كما لا يُعدّ من الفونيمات الرّئيسة وإنّما من الفونيمات الثّانويّة، ويُسمّى (حركة الصّفور - Zero Vowel) أو (المورفييم الصّفوري)^٤.

^١ انظر: عبد التّواب، رمضان: المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، المرجع السابق، ص ٨٣-٨٨.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ٨٩.

^٣ انظر: ماريوباي: أسس علم اللّغة، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط ٨، ١٩٩٨ م، ص ٨٩.

^٤ انظر: بشر، كمال: دراسات في علم اللّغة، المرجع السابق، ص ١٨٠-١٩٠.

ومع كثرة التعريفات المتناولة لمصطلح الفونيم واختلافها ترى الباحثة إمكانية بيانه بأنه: أصغر وحدة صوتية تستعمل في بناء الكلام، يؤدي استبدالها بفونيم آخر إلى تغيير في المعنى، وتمثل أصوات الهجاء العربية فونيمات، أما الصور النطقية المتعددة للفونيم الواحد فتسمى أوفونات.

فالقاف في كلمة (قال) على سبيل المثال فونيم واحد، والصور اللهجية المختلفة لها التي تمثلها البيئات المختلفة هي أوفونات، والتنوع الألفوني لا يؤدي إلا تغيير في المعنى، أما إذا استبدلنا الصوت بصوت آخر وتغيّر المعنى فإنّ كلّ منهما يمثل فونيمًا مختلفًا عن الآخر، فالقاف في (قال) على سبيل المثال فونيم، والطاء في (طال) فونيم مختلف، نظرًا للتّغيير الذي حلّ على المعنى.

- المطلب الثاني: الفونيمات الثنوية أو فوق التركيبية أو التطريزية

وهي ملامح صوتية إضافية تؤثر على الأصوات الكلامية، تدخل على الجانب الأكوستيكي (دراسة الجانب الصوتي للكلام كما تستقبله أذن السامع) لا الجانب النطقي، ومن أهم أنواعها: النبر، التنعيم، المفصل^١.

أولاً: النبر

هو مقطع من مقاطع متتابعة، يعطى مزيداً من الضغط والعلو أو يُعطى زيادة أو نقصاً في نسبة التردد، ويقوم على درجة الصوت، قد يؤدي إلى تغيير في المعنى في اللغات النبرية، كما في اللغة الصينية، التي يُعدُّ النبر فيها جزءاً متأسلاً من الكلمة، وقيمتها الصوتية تُعادل قيمة الصوامت والصوائت في هذه اللغة. نحو كلمة: (fu) تُنطق بأربع درجات مختلفة، فتعني: (رجلاً - حظاً سعيداً - مقرّ والٍ - غنياً). وقد لا يؤدي إلى تغيير في المعنى في اللغات غير النبرية^٢.

وقد اختلف في فونيمية النبر في اللغة العربية، أي دور النبر في تغيير المعنى في اللغة العربية، فقد ذهب أحمد مختار عمر^٣ وإبراهيم أنيس^٤ إلى عدم نبرية اللغة العربية. أما محمد علي الخولي في كتابه الأصوات اللغوية فقد ذهب إلى فونيمية اللغة العربية مستنداً بالنبر على المقطع الأول في: (كان)، فإذا انتقل النبر إلى المقطع الثاني (كانا) تغير المعنى وأمثلة أخرى^٥.

أما عن مدى معرفة المتقدمين بظاهرة النبر فقد رأى غانم قدوري الحمد أنّ المتقدمين لم يغفلوا عن مصطلح النبر^٦، مستنداً بما جاء في لسان العرب على لسان ابن الأنباري قوله: "النبر عند العرب ارتفاع الصوت يقال نبر الرجل نبرة إذا تكلم بكلمة فيها علو^٧". مستنداً بالمعنى اللغوي دون الاصطلاحي، وهو ما لا ترى الباحثة جوازه؛ لعدم تسجيل هذه الظاهرة في المصنّفات اللغوية بمفهومها الاصطلاحي.

أما عن شروط النبر في اللغة العربية فقد بيّنها محمد علي الخولي على النحو الآتي: إذا كانت الكلمة مكونة من مقطع واحد فالنبر عليه إطلافاً، نحو: (قُم/ صِلْ/ خُدْ)، وألف التعريف لا تُحتسب من مقاطع الكلمة، أما كلّ ما يلحق الكلمة من ضمائر وأحرف مضارعة فمعتدّ به أثناء عدّ المقاطع، كما يحدد موضع النبر على أساس الكلمة منطوقة في حال الوصل، لا موقوفاً عليها بالسكون، وتعداد المقاطع عند تحديد موضع النبر يبدأ من اليسار إلى اليمين^٨.

^١ انظر: ماريوباي: أسس علم اللغة، المرجع السابق، ص ٩٢.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ٩٢.

^٣ انظر: عمر، أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، المرجع السابق، ص ٣٥٧.

^٤ انظر: أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص ١٠٢.

^٥ انظر: الخولي، محمد علي: الأصوات اللغوية، مكتبة الخانجي، ط ١، الرياض، ١٩٨٧م، ص ١٦٢.

^٦ انظر: الحمد، غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات العربية، المرجع السابق، ص ٢٣٨.

^٧ ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ٤٣٢٣/٦.

^٨ انظر: الخولي، محمد علي: الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص ٥٢-٥٣.

أما عن قواعد النَّبَر في اللُّغة العربيَّة، فقد بيَّنها رمضان عبد التَّوَّاب معتمداً على تععيد إبراهيم أنيس في كتابه (الأصوات اللُّغويَّة) على النَّحو الآتي^١:

١- ينظر أولاً إلى المقطع الأخير، فإن كان من النوع الرَّابِع أو الخامس أو السَّادس، كان هو موضع النَّبَر، نحو:

| | | |
|------------|------------|------------|
| تحتاب | مستقر | نستعين |
| ت/ حاب | مس/ ت/ قر | نس/ ت/ عين |
| ص ح/ ص ح ص | ص ح/ ص ح ص | ص ح/ ص ح ص |
| | ص | ص |

٢- وإلا نظرنا إلى المقطع الذي قبل الأخير، فإن كان من النوع الثاني أو الثالث أو الرَّابِع حكمنا بأنه موضع النَّبَر، نحو

| | | |
|------------|------------|------------|
| تحتابت | كتبتم | أخوك |
| ت/ حاب/ بت | ك/ تب/ تم | أ/ خو/ ك |
| ص ح/ ص ح ص | ص ح/ ص ح ص | ص ح/ ص ح ص |

٣- أمَّا إذا كان من النَّوع الأوَّل نُظر إلى ما قبله، فإن كان مثله أي من النَّوع الأوَّل أيضاً، كان النَّبَر على المقطع الثالث حين نعدّ من آخر الكلمة، نحو:

| | | |
|-------------|-------------|------------|
| حاسبك | ينكسر | كتب |
| حا/ س/ ب/ ك | ين/ ك/ س/ ر | ك/ ت/ ب |
| ص ح/ ص ح ص | ص ح/ ص ح ص | ص ح/ ص ح ص |

٤- أمَّا إذا لم يكن الثالث من آخر الكلمة من النوع الأوَّل فإن النَّبَر يقع على المقطع الأخير، نحو:

| | | |
|------------|------------|------------|
| حادّة | يكتب | قاتل |
| حاد/ د/ ة | يك/ ت/ ب | قا/ ت/ ل |
| ص ح/ ص ح ص | ص ح/ ص ح ص | ص ح/ ص ح ص |

٥- ولا يكون النَّبَر على المقطع الرَّابِع حين نعدّ من الآخر إلا في حالة واحدة، وهي أن تكون المقاطع الثلاثة التي قبل الأخير من النوع الأوَّل، نحو:

| | |
|----------------|------------|
| يحترمك | حركة |
| يح/ ت/ ر/ م/ ك | ح/ ر/ ك/ ة |
| ص ح/ ص ح ص | ص ح/ ص ح ص |

^١ انظر: الحمد، غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات العربية، المرجع السابق، ص ٢٤٠.

ثانياً: التنغيم

يميل الإنسان بطبيعته إلى الكلام ذي الحسّ الموسيقيّ، ويسعى إلى التأثير في الآخرين من خلال تلوين كلامه بدرجات متنوّعة من الموسيقى بين الارتفاع والانخفاض والاستواء؛ لتحقيق أكبر درجة من الحسّ والأثر.

ويُطلق على هذا التنوّع الموسيقيّ في اللّغة مُصطلح التنغيم، ويختلف عن التنغيم الذي يُعرف في مجال الغناء والطّرب، حيث يدخل اختصاصه في مجال الأصوات اللّغويّة. ويبدو أنّ ذلك السبب الذي حدا (غانم قدوري الحمد) أن يدرس التنغيم تحت مبحث: (التلّوين الصّوتي) فالتنغيم يُعرف أكثر في مجال الغناء والطّرب بشكل عام^١.

وقد عرف رمضان عبد التّواب التنغيم بأنّه: "رفع الصوت وخفضه في أثناء الكلام، للدّلالة على المعاني المُختلفة للجملة الواحدة، كُنطقنا لجملة مثل: "لا يا شيخ" للدّلالة على النّفي، أو التّهكم، أو الاستفهام، وغير ذلك. وهو الذي يفرق بين الجمل الاستفهامية والخبرية، في مثل: "شفت أخوك" فإنك تلاحظ نغمة الصّوت تختلف في نطقها للاستفهام، عنها في نطقها للإخبار"^٢.

إلا أنّ رمضان عبد التّواب نفى بدوره معرفة المُتقدّمين بالتنغيم إلا بإشارات بسيطة، ولعلّه لم يلتفت إلا المواطن التي تنبئ وعي المُتقدّمين به.

فقد أشار سيبويه (ت ١٨٠هـ) في الكتاب إلى التّرنيم الذي بمعنى التنغيم فقال: "اعلم أنّ المندوب مدعو ولكنه متفجع عليه، فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف، لأن الندبة كأنهم يترنمون فيها"^٣. كما أشار ابن جنّي في سرّ صناعة الإعراب إلى التنغيم حيث قال: "علم الأصوات والحروف، له تعلق ومشاركة للموسيقى، لما فيه من صنعة الأصوات والنغم"^٤.

وقد وصف أحمد مختار عمر عملية التّقييد للتنغيم بالأمر الذي يكاد يكون مستحيلًا، لارتباطه باللّهجات وبالعادة النطقية للأفراد^٥، وكان الكلام مرتبط بسلم انفعاليّ يصعد ويهبط حسب مقام الكلام وحسب طبيعة الفرد.

أما عن وظيفة التنغيم فتظهر في التمييز بين الجمل الإنشائيّة والجمل الخبريّة. كما في الأمثلة الآتية المبيّنة لأنواع التنغيم الثلاثة:

١- كيف لم تنجح بالامتحان وقد كنت تدرس في غرفتك طوال الوقت. (نغمة صاعدة)

٢- برّ الوالدين أقرب طريق للسعادة في الدّنيا والآخرة. (نغمة مُستوية)

٣- ما أفسى شعور الظلم من أقرب النّاس إليك. (نغمة مُنخفضة)

^١ انظر: الحمد، غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات العربية، المرجع السابق، ص ٢٣٢.

^٢ انظر: التّواب، رمضان عبد التّواب: المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، المرجع السابق، ص ١٠٦.

^٣ سيبويه: الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٩٨٨م، ٢/٢٢٠.

^٤ ابن جنّي: سرّ صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هندأوي، دار القلم، ط١، القاهرة، ١٩٨٥م، ٩/١.

^٥ انظر: عمر، أحمد مختار: دراسة الصوت اللّغوي، المرجع السابق، ص ٣٦٦.

لذا فإنّ كلام النّاطقين لا يسير بأيّ لغة وفق درجة واحدة للصّوت، فمن النّاطقين من يبدأ كلامه صاعداً ثمّ يهبط، ومنهم من يبدأ كلامه هابطاً فيصعد، ومنهم من يُراعي درجة واحدة في النّطق، مع التّباين النّسبيّ في التّنغيم بين أصحاب الدّرجة الواحدة. ولعلّ الأساس في اختلاف أنواع التّنغيم يعود إلى النّاطق بالدّرجة الأولى، ومدى ميله واستعداده لتّنغيم كلامه، وإلى مقام الحال بالدّرجة الثانية الذي قد يفرض عليه تلك النّعمة لتلبية احتياجاته المتعدّدة.

ومن هنا جاء مصطلح التّنغيم الذي يصف الصوت من حيث الصعود والهبوط والاستواء، ومما يروى في كتاب السيوطي فيما يخص التّنغيم قصة الرجل الذي جاء إلى أبي إسحاق الزجاج، فقال له: زعمتم أنه لا يمكن الجمع بين ألفين. فقال: نعم. فقال: أنا أجمع. فقال: (ماااا) ومد صوته، فقال له الزجاج: حسبك ولو مددت صوتك من غدوة إلى العصر لم تكن إلى ألفا واحدة. وقال: وكانت الأولى أولى بالحذف لأن الطارئ يزيل حكم الثابت^١.

والذي يلحظ على القصة المذكورة أن التّنغيم فيها لم يأت لغرض بلاغي، ولم يؤدّ وظيفة نحوية، وإنما كانت غايته، بيان الحذقة اللغوية من خلال نقض قاعدة صوتية أساسها دعوى إمكانية الجمع بين ألفين. وغاية الغاية للحذقة هي الإنكار.

ثالثاً: المفصل

يتخلّل الكلام توقّفات متنوّعة تستدعيها الحاجة إليها، تختلف عمّا يُعرف بالوقف الذي عرفه اللّغويون والنّحويون وبنوه على أسس نحوية وكان موضع عنايتهم. فهو سكت بين أجزاء الكلام من كلمات ومقاطع وليس في أواخر الكلام فقط، عرفه الدّرس الصوتي تحت اسم: (المفصل). وقد عرّفه أحمد مختار عُمر بأنه: سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي، بقصد الدّلالة على مكان انتهاء لفظ ما أو مقطع ما وبداية آخر، ومن اللّغات من تستخدمه استخداماً فونيمياً للتمييز بين المعاني ومنها من لا تستخدمه^٢.

ويرى أحمد مختار عُمر أنّ اللّغة العربيّة تستخدم المفصل استخداماً فونيمياً، كما في النّعت المقطوع التي ذكره النّحاة (النّعت الذي لا يتبع المنعوت في الإعراب ويُعرّب إعراباً آخر). وعليه فقد علّل قراءة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^٣ برفع (ربُّ) لقراءتها بمفصل قبل (ربُّ) أي سكتة جعلت منها جملة منفصلة^٤.

^١ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ٣٩٧.

^٢ انظر: ماريوباي: أسس علم اللّغة، المرجع السابق، ص ٩٥.

^٣ عمر، أحمد مختار - مكرم، عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية، المرجع السابق، ٦/١. سورة الفاتحة: ٢.

^٤ انظر: عمر، أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، المرجع السابق، ص ٣٦٥.

ومثل الجناس في بيت الشعر المشهور في البلاغة:

عَضْنَا الدَّهْرُ بِنَابِهِ لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَابِهِ^١

{في البيت جناس تام: (بنابه)، أحد أنياب الأسنان = (ب + نابه) // (بنا به) = بنا + به^٢}

وتنقسم الوقفات إلى ثلاثة أنواع^٣:

١- الوقفة المعلقة الداخليّة: هي عبارة عن الانتقال الهين أو غير المقصود بين الفونيمات المقطعيّة، أو الانتقال من صوت إلى صوت في الكلمة، وليس لها رمز في الخط.

٢- الوقفة المفتوحة الداخليّة: هي الوقفة التي تفصل بين الكلمات وتظهر عليها علامات الإعراب في التركيب، ويرمز لها بالعلامة (+) التي توضع بين كلمات الجملة لتفصل بينها، وهي من اصطلاحات علماء الأصوات، ولا تستخدم في عموم الكلام والكتابة.

٣- الوقفة المفتوحة الخارجيّة: هي التي تحدد نهاية النطق، أو هي الوقفات التي تتحقّق بنتمام المعنى والوقوف عليه، ويرتبط هذا النوع بنهايات الجمل، وتُشير إلى طبقة الصوت المرتفعة والمستوية والمنخفضة.

ويُعَلَّل المَفْصِل التّطوُّر الصّوتيّ الذي نجم عنه الفصل الخاطئ الذي لحق عددًا من التّراكيب، نحو: (عقبالك) التي أصلها (عقبى لك)، و (جاب) التي أصلها (جاء ب)^٤.

^١ النويري، شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، ط١، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ٩٢/٧. مجزوء الرمل

^٢ انظر: عمر، أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، المرجع السابق، ص٣٦٥.

^٣ انظر: عكاشة، محمود: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، ط٢، القاهرة، ٢٠١١م، ص٥٣-٥٧.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ص ٥٥.

الفصل الثاني

أصول التعليل الصوتي

• المبحث الأول: التعليل الصوتي عند المتقدمين (نماذج مختارة)

- المطلب الأول: التعليل الصوتي في مقدمة العين للفراهيدي (ت ١٧٠هـ)
- المطلب الثاني: التعليل الصوتي في كتاب الكتاب لسيبويه (ت ١٨٠هـ)
- المطلب الثالث: التعليل الصوتي في كتاب المقتضب للمبرد (ت ٢٨٦هـ)
- المطلب الرابع: التعليل الصوتي في كتاب الأصول في النحو لابن السراج (ت ٣١٦هـ)
- المطلب الخامس: التعليل الصوتي في كتاب الجمل في النحو للزجاجي (ت ٣٤٠هـ)
- المطلب السادس: التعليل الصوتي في كتاب الواضح للزبيدي (ت ٣٧٩هـ)
- المطلب السابع: التعليل الصوتي في كتاب سر صناعة الإعراب لابن جنّي (ت ٣٩٢هـ)
- المطلب الثامن: التعليل الصوتي في كتاب المفصل في صناعة الإعراب للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)
- المطلب التاسع: التعليل الصوتي في كتاب الشافية في علم التصريف لابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)

الفصل الثاني

أصول التعليل الصوتي

إنّ موضوع التعليل الصوتي موضوع قديم في مجمل أفكاره الكلية، وجديد في التأطير له بجعله ميداناً مستقلاً للدراسة.

والحقيقة أنّ التعليل الصوتي نشأ نشأة ذاتية، فرضتها الحاجة للتعليم اللغوي، ويمكن التأريخ لظهور التعليل الصوتي منذ نشأة الدراسات اللغوية العربية، التي كانت بداياتها لغاية تلاوة القرآن الكريم. والأقلام تُجمع على أنّ بدايات الدرس الصوتي العربي قامت مختلطة بأُمّات الكتب اللغوية، وقد تكون تلك علامة على دور الحقائق الصوتية في بناء الدرس الصرفي والنحوي والدلالي، إلى أن حظي هذا الدرس بالاستقلال مع تقادم الأزمان، مع تفاوت في مقدار احتواء أُمّات الكتب اللغوية على الدرس الصوتي والتعليل الصوتي.

والتعليل الصوتي سنّة لطبيعة الدرس الصوتي، وفطرة تتطلبها عملية البحث العلمي إزاء كلّ ما يعترض الدارس من قضايا صوتية؛ من أجل إيجاد سبب مسوّغ للقواعد التي يقوم عليها الدرس الصوتي وإحكامها. كما تسهم دراسة التعليل الصوتي في التأسيس السليم للعلّة الصوتية، من خلال التوصل لمفهوم العلّة الصوتية ودوافعها وآثارها وأنواعها.

وإذا كانت صعوبة الدرس الصوتي مقارنة مع باقي دروس اللغة العربية أمراً مسلماً به لدى البعض، وهي صعوبة يلمسها أساتذة علم الأصوات أكثر من غيرهم، بما يجدونه من ملامح على وجوه تلامذتهم، خاصة في الأحكام الصوتية التي لا ترتبط بمسوّغ ولا تحتكم لقاعدة مطّردة إلى حدٍّ ما، فإنّ هذه الصعوبات يمكن أن تذلل وتصبح بسيطة ميسرة لدى دراسة التعليل الصوتي وأصوله بشكل متسلسل.

وإذا كنا نجد في مصنفات اللغة العربية اهتماماً بالغاً في علل النحو والتعليل النحوي، فأظنّ أنّ هناك قصوراً في علل الصّوت والتعليل الصوتي، ومن هنا ارتأت الباحثة سبر بعض المصنفات اللغوية المتقدّمة والحديثة، من أجل معرفة ماهية التعليل الصوتي، وأساليبه وخصائصه.

ولم تُغفل الباحثة دور كتب التجويد في الدرس الصوتي والتعليل الصوتي، ولا سيما أنّها غنيّة بالظواهر الصوتية القيّمة، التي تسعى لتبسيط أحكام التجويد، من منطلق الرغبة في رسم حدود واضحة للأحكام بشكل مطرد ومنطقي إن أمكن، ومن أجل صون قراءة القرآن الكريم عن الخطأ، وتيسير تعليمه لكل من يريد ذلك.

وعليه، فإنّ هذا الفصل محاولة مباشرة لدراسة التعليل الصوتي وملامحه وأهميته، من أصول المعطيات الصوتية في المصنفات ومشاربها .

• المبحث الأول: التعليل الصوتي عند المتقدمين (نماذج مختارة) - المطلب الأول: التعليل الصوتي في مقدمة العين للفراهيدي (ت ١٧٠هـ)

إنَّ أيَّ دراسةٍ للتعليل الصوتي في كتب المتقدمين اللغوية حريٌّ بها أن تبدأ من مُقدِّمة العين للفراهيدي، الذي كان يرنو إلى إحصاء كلام العرب وألفاظهم، فأعمل فكره لإيجاد وسيلة تضمن له شمولية مدار كلام العرب، إلى أن اهتدى إلى اتباع منهجية مدارج الأصوات في الإحصاء، من الحيز الأعمق إلى الحيز الأرفع، وذاق مخارج أصوات العربية محدداً مبدأ هذه الأصوات ومواقعها في جهاز النطق^١.

^١ اختلف الدارسون قديماً وحديثاً في تناولهم لبعض المصطلحات الصوتية مثل: (المخرج، الموضع، المدرج، المبدأ، الحيز) لدى حديثهم عن مخارج الأصوات. فقد عرف الداني المخرج بأنه: "الموضع الذي ينشأ منه الحرف". الداني: عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط٢، ٢٠١٠م، ص١٠٢.

وعرف ابن يعيش المخرج بأنه: "المقطع الذي ينتهي الصوت عنده" ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ): الزمخشري: شرح المفصل، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠٠١م، ٥١٦/٥.
وأما ابن الجزري فقد عرف المخرج بأنه: "الحيز المولد للحرف". الحمد، غانم قدوري: شرح المقدمة الجزرية، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، جدة، ط١، ٢٠٠٨م، ص٢١٤.
وأما برجشتراسر فقد عرف المخرج بأنه: "الموضع من الفم ونواحيه الذي يخرج أو يُخرج منه الحرف" برجشتراسر (ت ١٩٣٣): برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، ترجمة: رمضان عبد التواب: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م، ص١١.

وقد قدم عبد العزيز الصيغ في كتابه المصطلح الصوتي بياناً واضحاً لطبيعة الاختلاف في تعريف المخرج وانتهى بذوقه - الذي تستكره عليه الباحثة كونه لم يعد إلى الأصول اللغوية في المعاجم على الرغم من أنه جاء في كتابه دارساً لعلم المصطلح الصوتي- إلى أن المخارج هي: المواضيع التي يتكون فيها الصوت "الصيغ، عبد العزيز: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٢م، ص٥٠.

ومما تأخذ الباحثة على التعريفات السابقة وما أشبهها، سهولة تناولها للمفردات لبيان مفهوم المصطلح الصوتي مع إغفال دور المفاهيم اللغوية في التأسيس السليم للمصطلح، ومع العودة لأزمات معاجم اللغة العربية استطاعت الباحثة التوصل إلى ما يأتي:

أ- المدرج: الجمع مدارج، وهي أعضاء النطق العامة التي يتوزع عليها حيز أو أكثر، وهي لدى الفراهيدي أربعة مدارج: (الحلق - اللهاة - الشفتان - اللسان). ويشترط في المدرج وجود مواضع نطق محددة عليه، فالجوف لا يعد مدرجاً لأن الأصوات التي تصدر منه ليس لها مواضع محددة، ولها حيز فقط. وفي العين: "المدرج: ممرُّ الأشياء على مسلك الطريق ونحوه. ورجعت في أدراجي ودرجي أي طريقي الذي مررت فيه". الفراهيدي: العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ٤٧/٦. وكذلك مدارج الجهاز النطقي هي الممرات العامة التي يسلكها الصوت اللغوي.

ب- الحيز: الجمع السماعي المأخوذ به هو أحياز، وأخير ابن منظور أن هذا الجمع نادر والقياس على: "خبايز بالهمز في قول سيبويه، وخياور بالواو في قول أبي الحسن، وقال الأزهرى وكان القياس أن يكون أحواز". ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ١٠٤٧/٢.

ومما جاء في مفهوم الحيز لدى الفراهيدي وجمعه، قوله: "حيزُ الدار: ما انضمَّ إليها من المرافق والمنافع. وكلَّ ناحية حيزٌ على حدة، بتشديد الياء. وجمعه: أخياز، وكان قياسه أن يكون أحوازاً، كميّاتٍ وأموات، ولكنهم فرّقوا بينهما كراهةً الالتباس". الفراهيدي: العين، المصدر السابق، ٢٧٥/٣.

ووجه أمن اللبس في مخالفة القياس من وجهة نظر الباحثة، بأن لا يحمل معنى الحيز على مكان وجود الأموات، فالحيز كل ما شغل فراغاً أو أكثر. سواء من الأحياء أو الأموات، الكائنات أم الجمادات.

ومما يتبين بعد قياس المعنى اللغوي على الفكر الصوتي أنّ الحيز هو مكان أو أكثر، داخل المدرج يحتوي على موضع نطق أو أكثر. فاللسان على سبيل المثال مدرج وعليه مجموعة أحياز منها: (مستدقه - وسطه - طرفه) وعلى كل حيز صوت أو أكثر.

ج- الموضع: جزء خاص داخل الحيز مسؤول عن إنتاج الصوت اللغوي بشكل يميزه عن الأصوات التي تشترك معه في نفس الحيز، وأصل الموضع من الوضع والوضعية، أي أن لكل صوت موضع يختلف عن موضع الصوت الآخر وإن اشتركا في الحيز، فالفاء والباء والميم من حيز واحد في مدرج الشفتين، لكن لكل منهما موضع، تحدده عوامل عدة، تتلخص بالآتي:

- ١- وضع الأوتار الصوتية عند إنتاج الصوت اللغوي.
- ٢- وضع مرور الهواء عند إنتاج الصوت اللغوي.

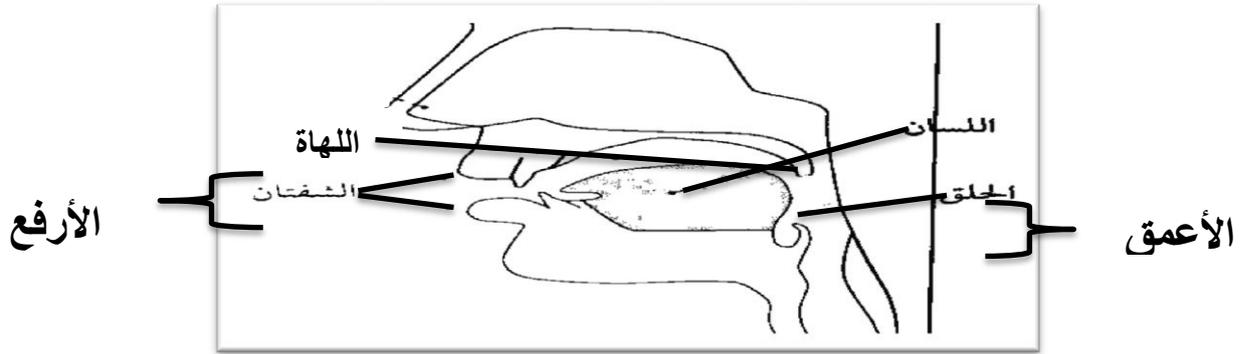
وإنّ نظرة فاحصة في توزيع تأليف الأصوات لدى الفراهيدي تُنبئ عن أصول التعليل الصوتي لديه، التي بدأت في مقدمته لدى قيامه بالتعليل العملي لفكره الصوتي؛ حيث ذاق الأصوات كلها ووجد صوت العين أدخل الأصوات في الحلق، وانتهى بالميم ليكون آخر الأصوات، باستثناء صوت الهمزة وأصوات المد. وهو سلوك يظهر مدى عمق فكر الفراهيدي ودقته على الرغم من قلة الأدوات البحثية بين يديه. فكان تأليفه على النحو الآتي^١:

ترتيب الأصوات العربية التسعة والعشرين لدى الفراهيدي

| | | | | | | | | | |
|---|---|----|---|---|---|---|---|--------|---|
| ع | ح | هـ | خ | غ | ق | ك | ج | ش | ض |
| ص | س | ز | ط | د | ت | ظ | ث | ذ | ر |
| ل | ن | ف | ب | م | و | ا | ي | الهمزة | |

لذا فإنه ينسب للفراهيدي الفضل بإعادة ترتيب أصوات العربية ترتيباً مخرجياً، وإن كان في هذا الترتيب ما لا يتناسب والفكر الصوتي الحديث، كما في تأخير صوت الهمزة ليذكره مع أصوات المد، وتقديمه للأصوات الأصلية (رأس اللسان ومستدقه (ص س ز)) على أصوات النطق (ظهر الغار الأعلى (ط د ت))، وسيأتي الحديث على ذلك فيما بعد.

كما ينسب للفراهيدي الفضل في بيان مدارج الأصوات اللغوية، التي يوضحها الشكل الآتي:



مدارج أصوات الخليل

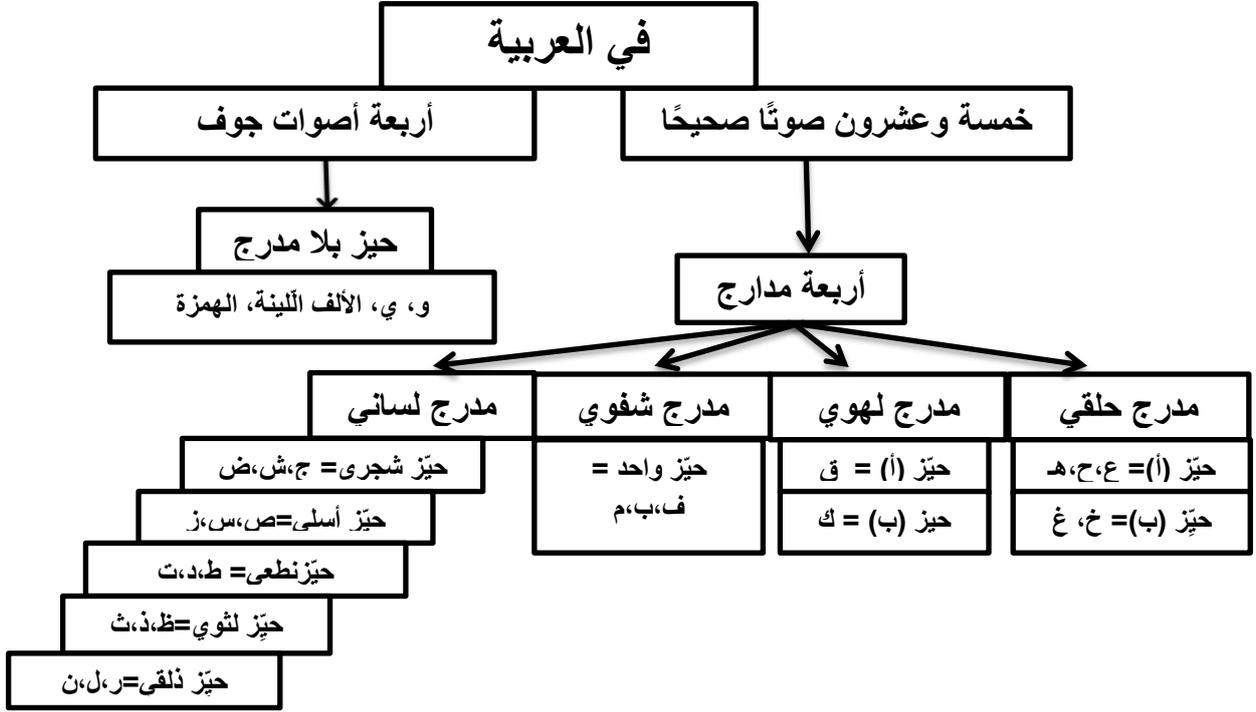
٣- وضع عضو النطق عند إنتاج الصوت اللغوي. = فيكون موضع نطق الباء على سبيل المثال هو موضع اهتزاز الأوتار الصوتية وموضع انحباس الهواء خلف الشفتين وموضع انطباق الشفتين انطباقاً تاماً حتى تكتمل الصورة النطقية لهذا الصوت اللغوي.

د- المخرج: وهو ما عرفه الفراهيدي بـ (المبدأ) عندما قال: " القاف والكاف لهويّتان، لأنّ مبدأهما من اللهاة. والجيم والشين والصاد شجرية لأنّ مبدأها من شجر الفم. أي مفرج الفم، والصاد والسين والزاء أصلية، لأنّ مبدأها من أسلة اللسان وهي مُستدقّ طرف اللسان. والطاء والتاء والذال نطعية، لأنّ مبدأها من نطق الغار الأعلى. والظاء والذال والتاء لثوية، لأنّ مبدأها من اللثة. والراء واللام والثون دلقية، لأنّ مبدأها من دلق اللسان وهو تحديد طرفي دلق اللسان. والفاء والباء والميم شقوية، وقال مرة شقوية لأن مبدأها من الشفة. والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد، لأنها لا يتعلّق بها شيء، فنسب كل حرف إلى مدرّجته وموضع الذي يبدأ منه". الفراهيدي: العين، المصدر السابق، ١/ ٥٨. ومما جاء في العين من معان لغوية تخدم المفهوم الاصطلاحي للمخرج: " أرض مُخرّجة، وتخرّجها أن يكون نبتّها في مكان دون مكان". الفراهيدي: العين، المصدر السابق، ١٥٨/٤.

كذلك الصوت اللغوي يخرج من مكان دون مكان، ونقطة مبدأ الاعتراض لمجرى الهواء، هي النقطة التي يصدر منها الصوت اللغوي وتسمى مخرجاً، وتسمية المخرج أولى من تسمية المبدأ لعلّة كراهة الالتباس؛ حيث جمع مخرج على مخارج، وجمع مبدأ على مبادئ، ولأمن اللبس تعتقد الباحثة أنه استغني عن جمع المبدأ. وعلى الرغم من تباين الدارسين في عدد مخارج العربية وتحديدها، ترى الباحثة إمكانية الأخذ بتعريف غانم فدوري الحمد للمخرج كونه يتوافق والمعنى اللغوي وكونه يتوافق والدرس الصوتي، حيث قال: " هو النقطة التي تعترض فيها آلة أعضاء النطق النفس " الحمد، غانم فدوري: المدخل إلى علم أصوات العربية، المرجع السابق، ص ٦٤.

^١ انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد: العين، المصدر سابق، ٤٨/١.

وقد أبدع الفراهيدي في تقسيمه لأصوات العربية؛ حين ميّز الفرق بين مخرج الصّوت وموضعه لدى حديثه عن مدرج الصوت ومبدئه وحيّزه، بأسلوبٍ تعليلي، يوضحه الشكل الآتي:



ومما علّله الفراهيدي في مقدمته بشكل مباشر، تعليله دخول همزة الوصل في: (اسْحَنَكَ) واقشَعَرَ واسْحَنَفَرَ واسْبَكَرَ) وهي ليست من أصل البناء، بعلة أنّ اللسان لا ينطلق بالسّاكن، وبالمقابل فإنه لم يُخْتَجِجْ إلى الألف في: (دَخَرَجَ وَهَمَلَجَ وَقَرَطَسَ) لأنها بدأت بمتحرك^١.

كما تميّز الفراهيدي في مقدمته بتعليله للمصطلحات الصوتية التي وضعها؛ حيث أوضح الفراهيدي علة تسمية الأصوات الذليّة على سبيل المثال، بأنّ الدّلاقة في المنطق إنّما هي بطرف أسلة اللسان، وهي لديه ثلاثة أصوات: (ر ل ن). وقد عدّ الفراهيدي كلّ كلمة رباعيّة أو خماسيّة مُعرّاة من حروف الذّق أو الشفوية (ب، م، و) ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك، مُحدّثة مُبتدّعة، وتعليل ذلك لديه باستقراء كلام العرب^٢.

وبالمقابل فإنه يُؤخذ على التّعليل الصّوتي للمصطلحات الصوتية لدى الفراهيدي^٣، بعض تسمياته التي لا تعكس سوى الحسّ المُرهف لديه، مثل وصفه صوتي العين والقاف بالنّصاعة^٤، والطّاء بالكزازة^٥.

^١ انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد: العين، مصدر السابق، ١/ ٤٩.

^٢ انظر: المصدر نفسه ١/ ٥١-٥٢.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ١/ ٥٣-٥٤.

^٤ الناصع: الشديد البياض، الحسن اللون. المصدر نفسه، ١/ ٣٠٥.

^٥ الكزازة: اليبس والانقباض. ورجل كَرَّ: صلب، قليل الخير. المصدر نفسه، ٥/ ٢٧٢.

أما فيما يتعلق بمصطلح الهتة والههة لصوت الهاء^١، كما في قوله: " ولولا هتة في الهاء، وقال مرة ههة لأشبهت الحاء"^٢ فالتسمية مرتبطة بالمعنى اللغوي، وتكشف عن آلية الفراهيدي في تذوق الأصوات، وشعور بعض العرب في ثقل صوت الهمزة وميلهم إلى تسهيله.

هذا فيما يتعلق بالتعليل الصوتي في مقدمة العين للفراهيدي، وإذا كانت الباحثة اقتصرت على أصول التعليل الصوتي لدى الفراهيدي في هذا المقدمة كونها حملت الدرس الصوتي بشكل متخصص، فإنها لا تعدم وجود تعليلات صوتية متناثرة بين طيات المعجم. ومن الأمثلة على هذه التعليلات على سبيل المثال ما يأتي:

١- علل الفراهيدي في معنى التلبية لقلب الباء التي هي لام الكلمة (لَبَّيْ) إلى ياء (لَبَّيْ)، بعلي: أمن اللبس والثقل، حيث قال: "التلبيية: الإجابة، تقول: لَبَّيْكَ، معناه: قريباً منك وطاعة، لأن الإلباب القرب، أدخلوا الياء كيلا يتغير المعنى، لأنه لو قال: لَبَّيْتُكَ صار من اللَّبَّبِ^٣، واشتبه. يقولون من التلبيية: لَبَّيْتُ بالمكان، ولَبَّيْتُ معناه: أقمت به، وأَلَبَّبْتُ أيضاً، ثم قلبوا الباء الثانية إلى الياء استتقالاً للباءات"^٤.

٢- علل الفراهيدي كسر الظاء في (ظَلَّ) التي أصلها (ظَلَّلَ) وحذف أحد اللامين، عند إسناد الفعل لضمير الرفع (تُ) كما في لهجة الحجاز، بعلة مناسبة اللام، وعلل حذف اللام بعلة الثقل؛ ثقل الكسر وثقل التضعيف. حيث قال: "ظل: ظلَّ فلانٌ نهاره صائماً، ولا تقول العرب: ظلَّ يظلُّ إلا لكل عملٍ بالنهار، كما لا يقولون: بات يبيثُ إلا بالليل، ومن العَرَب من يحذف لامَ ظَلَّلْتُ ونحوها حيث يظهران، فأما أهل الحجاز فيكسرون الظاء على كسرة اللام التي أَلَبَّبْتُ، فيقولون ظَلْنَا وظَلَّمْتُ، والمصدر الظلول، والأمر منه ظَلَّ واطلَّل، وقال الله- جلَّ وعزَّ-: ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَىٰ

إِلَهِكَ الَّذِي ظَلَّ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحْرَفِيَّتِهِ ثُمَّ لَمَسَفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٥٧﴾ ° وقرئ: ظَلَّتْ عَلَيْهِ^٥، فَمَنْ فَتَحَ فَالْأَصْلُ فِيهِ ظَلَّتْ عَلَيْهِ، ولكن اللام حُذِفَتْ لِثَقَلِ التَّضْعِيفِ وَالْكَسْرِ، وَبَقِيَ الظَّاءُ عَلَى فَتْحِهَا، وَمَنْ قَرَأَ: ظَلَّتْ، بِالْكَسْرِ، حَوَّلَ كَسْرَةَ اللَّامِ عَلَى الظَّاءِ"^٦.

كما علل الفراهيدي كسر الفاء في فَخَذٌ بعلة مناسبة كسرة الخاء. حيث قال: "الفَخَذُ: وصل ما بين الورك والساق، ويخفف فيقال: فَخَذٌ في لغة سفلى مضر، وهي مؤنثة، وكسرت

^١ الهتة شبه العَصْر للصوت، يُقال للْبَكْرِ: بَهْتُ هتيتاً، ثم يَكشُ كشيئاً، ثم يَهْدِرُ إذا بزل هديرأ. ويقال: الهمز صوت مهتوت في أقصى الخلق، فإذا رُفِعَ عن الهمز صار نفساً، تحوّل إلى مخرج الهاء، ولذلك استخفّت العرب إدخال الهاء على الألف المقطوعة، يقال: أراقَ وهراقَ، وأيهات وهيهات. وتقول: يَهْتُ الإنسانُ الهمزة هتاً إذا تكلم بها. والهِتَةُ أيضاً تُقال في معنى الهتيت. ته: والهِتَةُ وَالتَّهْتَةُ [تقال] في التواء اللسان. الفراهيدي، الخليل بن أحمد: العين، المصدر السابق، ٣٤٩/٣.

^٢ المصدر نفسه، ٥٧/١.

^٣ اللَّبَّبُ: البلب... واللبب من الصَّدْر: مَوْضِعُ القِلَادَةِ. المصدر نفسه، ٣١٧-٣١٨.

^٤ المصدر نفسه: ٣٤١/٨.

^٥ سورة طه: ٩٧.

^٦ عمر، أحمد مختار مكرم- عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية، المرجع السابق، ١١٠/٤.

^٧ الفراهيدي، الخليل بن أحمد: العين، المصدر السابق، ١٤٩/٨.

الفاء على أعقاب كسرة الخاء حيث أسكنت، ومن فتحها مع سكون الخاء تركها على ما كانت، كما قالوا في العقب^١ عَقِبْ فلزموا الفتحة، وفي الكَتِفِ كَتَّفْ فلزموا الكسرة^٢.

- المطلب الثاني: التعليل الصوتي في كتاب الكتاب لسيبويه (ت ١٨٠هـ)

قدّم سيبويه في الجزء الرابع من كتابه (الكتاب)، مقدّمةً صوتيةً واصفاً فيها أصوات العربية من حيث العدد والمخارج والصفات؛ لغاية معرفة ما يحسن الإدغام فيه وما لا يحسن، وقد جعلها تحت باب الإدغام. وقد تميّزت مقدّمته الصوتية على أستاذه الفراهيدي بدقته في التقسيم المخرجي لأصوات العربية، حيث جعل الهمزة على سبيل المثال في المقدمة، والتفت إلى موقع أصوات اللين بين الأصوات، وغيرها من الفروق الدقيقة، على الرّغم من عدم إدراكه حقيقة أصوات المد، فيكون قد أعاد ضبط ما بدأ به أستاذه الفراهيدي.

وإن روي عن ابن كيسان إخباره بدراية الفراهيدي لموضع الهمزة والألف والهاء، حيث قال "سمعتُ مَنْ يذكر عن الخليل أنه قال: لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مُبدلةً ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف وليس العلمُ بتقدم شيء على شيء لأنه كلّهُ مما يُحتاج إلى معرفته فبأي بدأت كان حسناً وأولها بالتقديم أكثرها تصرُّفاً"^٣. كما تميّز بتعداد الأصوات الفروع على أصوات اللّغة العربيّة، والأصوات غير المستحسنة في اللّغة العربيّة ولا كثيرة في كلام العرب، وترى الباحثة أنّ هذا التقسيم لأصوات اللّغة العربيّة يؤكد أصول الفكر الصوتي العربي في قيام نظرية الفونيم^٤ إحدى النظريات اللسانية الحديثة. كما تميّز سيبويه بتفصيله لمخارج الأصوات وصفاتها. أما أصول أصوات اللّغة العربيّة فقد جعلها سيبويه تسعة وعشرين صوتاً على النحو الآتي^٥:

أصول الأصوات العربية التسعة والعشرين لدى سيبويه

| | | | | | | | | | |
|--------|---|----|---|---|---|---|---|---|---|
| الهمزة | ا | هـ | ع | ح | غ | خ | ك | ق | ض |
| ج | ش | ي | ل | ر | ن | ط | د | ت | ص |
| ز | س | ظ | ذ | ث | ف | ب | م | و | |

وقد أضاف سيبويه على هذه الأصوات الأصول ستة أصوات فروعاً نعتها بالمستحسنة لكثرة ورودها في قراءة القرآن والأشعار، فقال: "وتكون خمسةً وثلاثين حرفاً بحروفٍ هن

^١ "العقبُ: العَصَبُ الذي تُعْمَلُ منه الأوتار، الواحدة عَقَبَةٌ، وخلاف ما بيّنه وبين العَصَبِ أن العَصَبَ يَضْرِبُ إلى صُفْرَةٍ والعَقَبُ يضرب إلى بياض وهو أصلُها وأمتُّها. والعَقَبُ: مُوحَّرُ القَدَمِ، تُؤَنَّثَةُ العَرَبِ، وتميمٌ تُحَفِّفُه". الفراهيدي، الخليل بن أحمد: العين، المصدر السابق، ١/١٧٨.

^٢ المصدر نفسه: ٤/٢٤٥.

^٣ السبوطي، جلال الدين: المزهري في علوم اللّغة وأنواعها، المصدر السابق، ١/٧٠.

^٤ إنّ نظرة إلى الأصوات الفروع في اللّغة العربيّة سواء المستحسنة أم غير المستحسنة تبين الفرق بين الفونيم والألوفون، فما الفروع إلا ألوفونات للفونيمات الأصول. كما تلحظ الباحثة على تعداد سيبويه للأصوات الفروع نزر الوصف والتمثيل، ربما لشهرة هذه السمات اللهجية آنذاك.

^٥ انظر: سيبويه: الكتاب، المصدر السابق، ٤/٤٣١.

فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي: النون الخفيفة، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالةً شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفتيح، يعنى بلغة أهل الحجاز، في قولهم: الصلاة والزكاة والحياء^١.

فروع الأصوات العربية الستة المستحسنة لدى سيبويه

| الف التفتيح ^٢ | الصاد التي كالزاي ^١ | الشين التي كالجيم ^٥ | الألف التي تمال إمالةً شديدة ^٤ | الهمزة التي بين بين ^٣ | النون الخفيفة ^٢ |
|--------------------------|--------------------------------|--------------------------------|---|----------------------------------|----------------------------|
|--------------------------|--------------------------------|--------------------------------|---|----------------------------------|----------------------------|

^١ انظر: سيبويه: الكتاب، المصدر السابق، ٤/ ٤٣٢.

^٢ ترى الباحثة استبدال مصطلح النون الخفيفة بنون الإخفاء أو النون الخفية؛ لعله أمن اللبس، حتى لا يشتبه مصطلح النون الخفيفة في علم الأصوات بالنون الخفيفة التي للتوكيد في علم النحو. والنون الخفيفة التي يتحدث عنها سيبويه هي الألفونات المتعددة للنون والتي تبقى في ظل فونيم النون. فالنون الأصلية مخرجها لثوي أنفي، كما في (ينأون). أما النون في كلمة (أنفسكم) نون خفيفة، أسنانية شفوية أنفية، تأثرت بمخرج صوت الفاء بعدها. والنون في كلمة (منشورا) نون خفيفة، غارية أنفية، تأثرت بمخرج صوت الشين بعدها. والنون في (منكم) نون خفيفة، طبقيّة أنفية، تأثرت بمخرج صوت الكاف بعدها.

^٣ هي الهمزة المخففة من الهمزة الأصلية. وبين بين أي بين مخرج الهمزة الأصلية وبين مخرج الصوت الذي عليه الهمزة، أي بين الشدة واللين، والعلّة في ميل العرب إلى تخفيف الهمزة هي السهولة والتيسير. ومن الأمثلة على ذلك: تخفيف الهمزة في (سأل) إلى (سال)، وتخفيف الهمزة في (مؤمن) إلى (مومن) وتخفيف الهمزة في (ذئب) إلى (ذيب). وتفسرها القراءات القرآنية التي جاءت بتخفيف الهمزة، مثل قراءة تخفيف الهمزة في (ألد) في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ

يَوَلِّئِي آلِيَّ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلٌ شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ سورة هود: ٧٢. بتسهيل الهمزة الثانية وإدخال ألف.

عمر، أحمد مختار مكرم- عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية، المرجع السابق ٤/ ١١٠. وعليها أيضًا تخفيف الهمزة في (أنت) في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا ابْنِ آدَمَ﴾ سورة الأنبياء: ٦٢. مكرم، عمر، أحمد مختار- عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية، المرجع السابق ٤/ ١٤١.

^٤ الإمالة كما عرفها أبو البركات الأنباري: " أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء." الأنباري، أبو البركات: أسرار العربية، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٩٩٩م، ص ٢٧٩. وعلّة الإمالة هي طلب المماثلة والمشاكلّة، كما ترى الباحثة أن الإمالة تأتي أيضًا لعلّة السهولة والتيسير فالإمالة أسهل من الفتح؛ وذلك أن الناطق بدل أن يفتح فمه فتحًا كاملاً يرخي حنكه قليلاً. وتحديد سيبويه للألف التي تمال إمالةً شديدة (كبرى) ، يبين وجود ألف تمال إمالةً ضعيفة (صغرى) والإمالة الشديدة التي ذكرها سيبويه يكون فيها الميل إلى الياء بنسبة أعلى من الميل إلى الألف، والصغرى يكون فيها الميل إلى الياء بنسبة أقل من الكبرى. وفي رواية حفص عن عاصم كلمة واحدة فيها إمالة كبرى، هي (مجرها) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ حَجْرَيْهَا وَمُرْسَلَهَا إِنَّ رَبِّي لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سورة هود: ٤١. أما الألف التي تمال إمالة صغرى فإنها توجد في قراءة ورش عن نافع التي تتميز بكثرة الإمالة فيها وكلها من الصغرى. ومن الأمثلة عليها الإمالة في سورة الضحى، كما في قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ سورة الضحى: ١-٧.

عمر، أحمد مختار- مكرم، عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية، المرجع السابق ٨/ ١٧٩ - ١٨٣.

^٥ الشين والجيم كلاهما من مخرج واحد، والفرق بينهما في الصفات الصوتية، فالشين مهموس رخو، والجيم مجهور مركب، يبدأ شديداً وينتهي رخوًا، وعند مجاورة الدال للشين فإن الشين تكتسب من الدال الجهر فتتحول إلى صوت يشبه الزاي، شبهًا بالصفات وليس بالمخرج، ومثاله في اللغة كلمة (أشددق) والأشددق من الشددق وهو: " لحم باطن الخدين من جانبي الفم شددق وأشداق. ورجل أشددق وامرأة شددقاء، إذا أشددقت أشداقهما" ابن دريد، أبو بكر: جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٨٧م، ٢/ ٦٥٢. وقال: "رجل أشددق إذا كان مَفْوْهُا ذًا بيان ورجل شددق". المصدر نفسه، ٨/ ٢٤٧.

كما أضاف سيبويه على الأصوات الفروع والأصول ثمانية أصوات غير مستحسنة ولا تكثر في لغة من تُرضى عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن والشعر، فقال: "وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضي عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر، وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والتي كالثنين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالتاء، والباء التي كالفاء. وهذه الحروف التي تمتتها اثنين وأربعين جيدها ورتبها أصلها التسعة والعشرون، لا تتبين إلا بالمشافهة".^٢

فروع الأصوات العربية التسعة غير المستحسنة لدى سيبويه

| | | | | | | | |
|--------------------------------------|--------------------------------------|--------------------------------------|--------------------------------------|-------------------------------|--------------------------------------|--------------------------------------|---|
| الباء التي كالفاء ^٧ | الظاء التي كالتاء ^٦ | الطاء التي كالتاء ^٥ | الصاد التي كالسين ^٤ | الضاد الضعيفة ^٣ | الجيم التي كالشين ^٢ | الجيم التي كالكاف ^١ | الكاف التي بين الجيم والكاف ^٤ |
|--------------------------------------|--------------------------------------|--------------------------------------|--------------------------------------|-------------------------------|--------------------------------------|--------------------------------------|---|

^١ الصاد التي كالزاي، هي الصاد الساكنة التي بعدها دال، مثل: أصدق، مصدر، الصاد صوت مهموس مطبق، اكتسب من مجاورته لصوت الدال شيئاً من الجهر فتحول إلى ما يشبه الزاي، ولم يتحول إلى زاي خالصة لاحتفاظه بصفة الإطباق. وعليه قراءة (أهدنا الزراط المُستقيم) سورة الفاتحة: ٦. عمر، أحمد مختار - مكرم، عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية، المرجع السابق ١١ / ١.

^٢ أخبر ابن جني عن ألف التفخيم فقال: "أما ألف التفخيم فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو نحو قولهم سلام عليك وقام زيد وعلى هذا كتبوا الصلوة والزكوة والحيوة بالواو لأن الألف مالت نحو الواو" ابن جني: سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ١٩٨٥، ٥٠/١. فرسم الألف بالواو عند البعض دلالة على التفخيم نسبة إلى لهجة بعض العرب.

^٣ انظر: سيبويه: الكتاب، ٤/٤٣٢. المصدر السابق

^٤ هي كاف غريبة عن الكاف الأصلية، بدليل موقعها في النطق بين الجيم والكاف، وتجمع بين الصوتين علة التقارب في المخرج، فالجيم صوت غاري من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، والكاف صوت طبقي من أسفل أقصى اللسان قليلاً وما يليه من الحنك الأعلى. أخبر عنها ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) في شرح المفصل نقلاً عن ابن دريد (ت ٣٢١هـ): "هي لغة في اليمن، يقولون في "جَمَلٍ": "كَمَلٍ"، وفي "رَجُلٍ": "رَكَلٍ". وهي في عوام أهل بغداد فاشية شبيهة باللُّغَة". ابن يعيش: شرح المفصل، تقديم: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠١م، ٥٢١/٥. أما ابن دريد الذي نقل عنه ابن يعيش فلم يذكر مسمى لهذا الحرف وإنما قال: الحرف الذي بين الجيم والكاف، وضرب مثال الجمل السابق، ومما يتضح من الكلام أنها سمة لهجية دخيلة على العربية تكلم بها من قطن اليمن. ابن دريد: جمهرة اللغة، المصدر السابق، ٤٢/١. وأما الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) صاحب المفصل الذي شرح كتابه ابن يعيش فلم يذكر الكاف التي بين الجيم والكاف، وإنما ذكر الكاف التي كالجيم، ذكراً دون بيان. انظر: الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي بو ملح، ط١، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٣م، ص٥٤٦. ومما تأخذه الباحثة على تمام حسان في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها ما نقله على لسان ابن عصفور في المقرب (ت ٦٦٩هـ) أنه قال عن هذه الكاف: "إن الفعل الماضي "كمل" يصير عند النطق على طريقة هذه الكاف "جمل"، ولكن التمثيل الخطي بصورة الجيم غير دقيق؛ لأن الجيم مجهورة، وهذا الصوت من أصوات الكاف لم يفقد همسه وإن أصبح معطشاً كتعطيش الجيم، وهذا الصوت هو الذي يصفه النحاة باصطلاح الكشكشة، وهو شبيه لما في نطق العراقيين لكلمة "كيف". عمر، تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط٥، ٢٠٠٦م، ص٥٤. والحقيقة أن ابن عصفور لم يقل هذا، وأن تمام حسان كان أبعد ما يكون عن الصواب عندما تصرّف بكلام ابن عصفور وفق هذا الفهم، وما قاله ابن عصفور: "وقد تبلغ -أيضاً- الحروف ثلاثة وأربعين حرفاً، بحروف غير مستحسنة لا توجد إلا في لغة ضعيفة، وهي الكاف التي كالجيم؛ نحو: جَمَلٍ في كَمَلٍ، والجيم التي كالكاف؛ نحو: رَكَلٍ في رَجُلٍ، والجيم التي كالشين؛ نحو: اشمعوا في اجتمعوا". ابن عصفور: المقرب ومعه مثل المقرب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٨م، ص٤٠٢. وعليه يكون تمام حسان وقع في عدة مزلق:

أولها: لماذا جعل الاسم (جَمَلٍ - كَمَلٍ) فعلاً ماضياً (جَمَلٍ-كَمَلٍ) والتشكيل الأول هو الموثق في المصادر؟ ثانيها: ربط هذا الفرع من فروع اللغة غير المستحسنة بالكشكشة أمرٌ غاية في البعد، فالكشكشة: (إبدال كاف المخاطبة صوت (ch) مثل: (أحببتش) في (أحبك))، والأمثلة التي بين أيدينا (جمل: كمل/ رجل: ركل) لا تفسرها الكشكشة، كما أن مخرج (ch) هو مخرج الجيم ونظيره والفرق بينهما أن صوت (ch) مهموس، وصوت الجيم مجهور.

وإذا بحثنا ضمن قائمة الكلمات العربية الأصلية التي دخلت في الإنجليزية، فإننا نجد كلمة (جمل) التي انتقلت إلى (camel) مع ملاحظة التطور الصوتي الذي حدث للجيم، وترى الباحثة أنه تطور مفسر في الدراسة الصوتية نظراً لقرب

المخارج، وتعذر التقليد الحرفي على الأجنبي، أنتج الصوت الذي بين الجيم والكاف. ar.m.wikipedia.org الشروحات التي وجدتها الباحثة لصوت الجيم التي كالكاف يمكنها حل إشكالية مظنة سهو سيبويه عن ضبط مجموع أصوات العربية الأصول والأصوات الفروع (المستحسنة وغير المستحسنة) لدى سيبويه والتي كان ظاهرها كالاتي:

مجموع الأصوات العربية الأصول (تسعة وعشرون صوتاً) + مجموع الأصوات الفروع المستحسنة (سنة أصوات) + مجموع الأصوات الفروع غير المستحسنة (ثمانية أصوات) = ثلاثة وأربعين صوتاً. وسيبويه جمعها على اثنين وأربعين صوتاً. وبيان ذلك بما لدى ابن يعيش في شرح المفصل الذي قال: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف كذلك، هما جميعاً شيء واحد، إلا أن أصل إحداهما الجيم، وأصل الأخرى الكاف، ثم يقبلونهما إلى هذا الحرف الذي = بينهما. انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، المصدر السابق، ٥٢١/٥. كذلك الإستراباذي (ت٦٨٦هـ) الذي قال: " الكاف كالجيم " نحو جافر في كافر، وكذا الجيم التي كالكاف، يقولون في جمل: كمل، وفي رَجُل: رُكُل، وهي فاشية في أهل البحرين، وهما جميعاً شيء واحد، إلا أن أصل أحدهما الجيم وأصل الآخر الكاف". الإستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب (المتوفى: ٦٨٦هـ) تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥ م، ٢٥٧ / ٣. كما أخبر أبو الفداء (ت ٧٣٢ هـ) في الكناش في فني النحو والصرف أن: " الكاف التي كالجيم قالوا: وهي في لغة بعض اليمن يقولون في جمل: كمل. والجيم التي كالكاف: وهي مثل الكاف التي كالجيم وهما جميعاً شيء واحد، إلا أن أصل أحدهما الكاف، وأصل الآخر الجيم." أبو الفداء، عماد الدين: الكناش في فني النحو والصرف، تحقيق: رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م، ٣١٢/٣.

٢ الجيم والثين من مخرج واحد، يحدث أن يأخذ أحدهما من صفات الآخر فيقترب منه في الصفات، فإما أن تصبح الجيم رخوة كالشين فتكون شيئاً مجهوراً، وتكون حينها من الفروع المستحسنة السابقة الذكر كما في (أشوق). وإما أن تصبح الجيم مهموسة كالشين فتتحول إلى ما يسمى بالجيم الشامية، ومن الأمثلة عليها: (مشتمع في مجتمع – مشتمد في مجتهد) وهي المقصودة هنا في الفروع غير المستحسنة.

٣ مخرج الضاد الأصلية عند سيبويه من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، وهو مخرج يعتاص على غير أهل العربية فيأتون بشكل آخر للضاد محاولين تقليده، وقد صنّفه سيبويه ضمن الفروع غير المستحسنة في العربية، وسمّاه بالضاد الضعيفة، وربما تكون الطاء أو صوتاً بين الضاد والطاء، وذلك كما أخبر ابن يعيش عندما قال: "الضاد الضعيفة من لغة قوم اعتاصت عليهم، فربما أخرجوها طاء، وذلك أنهم يُخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا، وربما راموا إخراجها من مخرجها، فلم يتأت لهم، فخرجت بين الضاد والطاء". ابن يعيش، شرح المفصل، المصدر السابق، ٥٢١/٥.

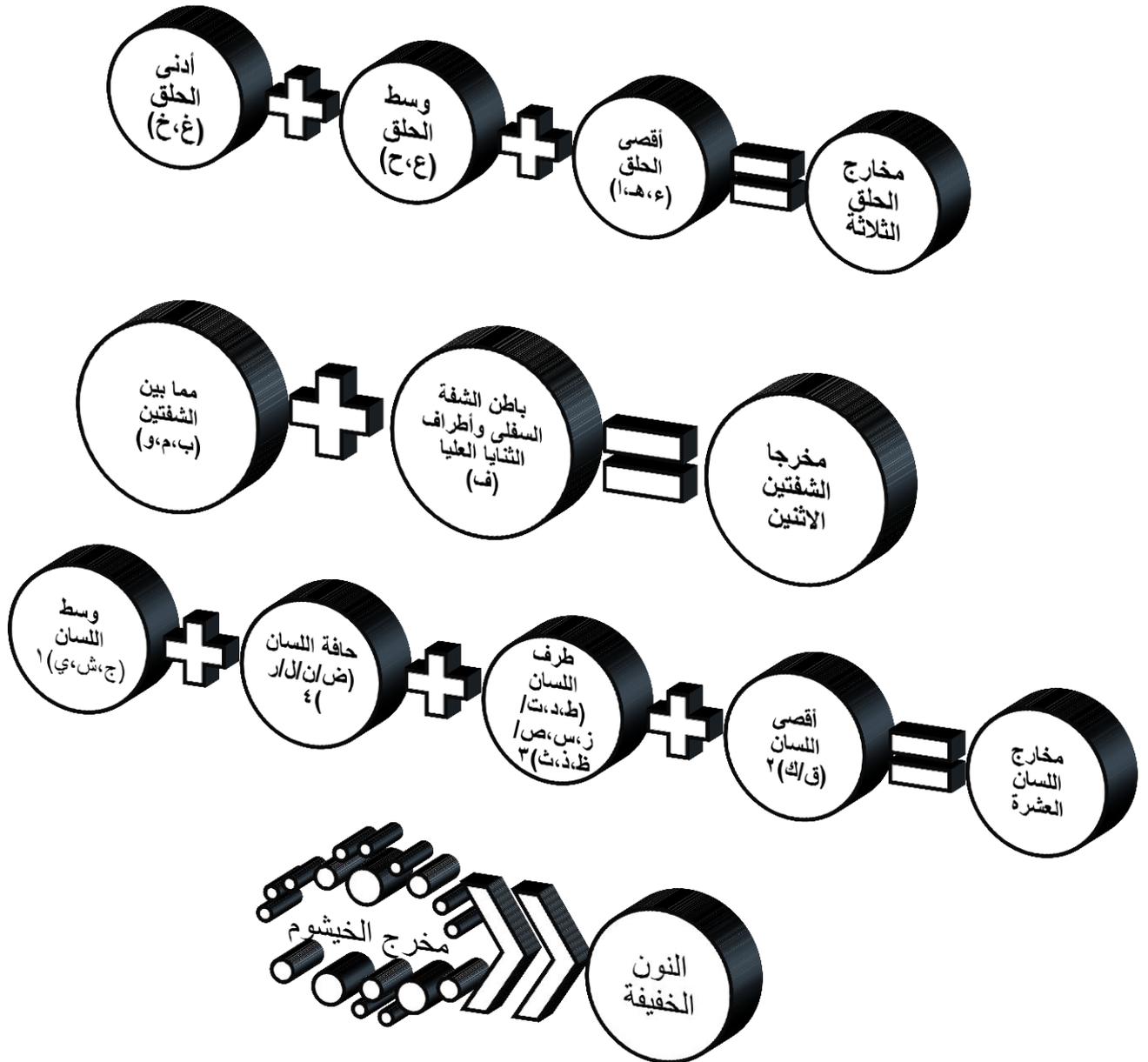
٤ الصاد والسين حرفان مهموسان رخوان، الفرق بينهما في الاستعلاء، فالسين صوت مرقق في كل أحواله، والصاد صوت مستعل من أصوات الإطباق، ونطق الصاد كالسين يسلبه صفة الاستعلاء والإطباق، ويجعله من الفروع غير المستحسنة في اللغة العربية، ومن الأمثلة عليه: (سلاة في صلاة – السير في الصير). ولا يعني أن سيبويه ميّز هذه الفروع غير المستحسنة بأنها لا تستحسن في قراءة القرآن عدم ورود قراءات قرآنية فيها، فمن القراءات القرآنية من جاءت بالصاد كالسين، نحو قراءة (اهدنا السراط المستقيم) سورة الفاتحة: ٦. عمر، أحمد مختار - مكرم، عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية، المرجع السابق ١١/١. وترى الباحثة أن المقصود مما لا يستحسن في قراءة القرآن هو ترقيق الصاد كالسين في غير القراءات القرآنية، مثل ترقيق الكلمات الآتية: (حرصتم – الصابرين – قصصهم – المحصنات - تصير).

٥ الطاء والتاء من مخرج واحد من قرب نطق الفم، أي من ظهر طرف اللسان مع ما يحاذيه من أصول الثنايا العليا، لذا يعرفان مع الدال من الأصوات النطعية. والفرق بين الطاء والتاء في الصفات فالطاء مستعل مطبق، مجهور بقياس المتقدمين ومهموس بمقياس بعض المحدثين، والتاء صوت مهموس مستقل منفتح، وعدم تحقيق صفات الطاء يحولها إلى تاء، مثل: (تاب في طاب – تبتم في طبتم – تبن في طبن)، وأخبر السيوطي أن الطاء التي كالتاء هي من العجم لعدم وجود الطاء بين أصواتهم، فقال: " (تال) في طال وهي تسمع عن عجم أهل المشرق كثيراً لفقد الطاء في لسانهم". السيوطي، جلال الدين: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوقيفية، مصر، ٤٩٣/٣.

٦ الطاء والتاء من الأصوات اللثوية لقرب مخرجها من اللثة، فتخرج من طرف اللسان مع طرف الثنايا العليا، والفرق بينهما في الصفات، فالطاء صوت مجهور مستعل مطبق رخو، والتاء صوت مهموس منفتح رخو، وحتى تتحول الطاء إلى تاء عليها أن تفقد صفتي (الجهر والإطباق) ومن الأمثلة التي تذكر على هذا الفرع: (ثال في ظالم). انظر: السيوطي، جلال الدين: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، المصدر السابق، ٤٩٣ / ٣. وأكثر ما تتحول الطاء إلى التاء، عندما تأتي الطاء ساكنة يلها صوت الفاء، مثل: (أظفر). وذلك لعدة المشاكل والمماثلة مع الفاء، فانقلبت الطاء إلى صوت مهموس من مخرجها هو الذال.

٧ الباء صوت شفوي مجهور شديد، والفاء صوت شفوي أسناني مهموس رخو، يتميزان بقرب المخرج، فإذا دخل الهمس على صوت الباء فإنه يصير قريباً من صوت الباء الفارسية والتي يعبر عنها العرب بالفاء، مثالها كلمة (برزدة) الفارسية التي أصبحت مع التطور اللغوي (فرزدق). ومما جاء في كتاب سيبويه في باب اطراد الإبدال في الفارسية: "الحرف الذي بين الباء والفاء: الفاء نحو: الفرند، والفندق. وربما أبدلوا الباء لأنهما قريبان جميعاً، قال بعضهم: البرند. فالبند (خطأ مطبوع في الكتاب: فالبند) مطرد في كل حرف ليس من حروفهم، يبذل منه ما قرب منه من حروف الأعجمية. سيبويه: الكتاب، المصدر السابق، ٣٠٦ / ٤.

أما عن مخارج الأصوات لدى سيبويه فقد جعلها في ستة عشر مخرجاً، ومما يميز مخارج الأصوات لدى سيبويه اعتمادها على الجانب الوصفي دون التعليلي، ويمكن بيانها وفق الدوائر المفاهيمية الآتية^١:



^١ انظر: سيبويه: الكتاب، المصدر السابق، ٤/ ٤٣٣-٤٣٤.

وفيما يخصّ صفات الأصوات العربية لدى سيبويه فقد تراوحت بين الجانب التعليلي المفصّل والجانب التعليلي المُجمل.

أما الجانب التعليلي المُفصّل فيظهر لدى تصنيفه أصوات اللغة العربية إلى أصوات مجهورة وأصوات مهموسة، أما الأصوات المجهورة فيمكن جمعها في عبارة: (وَرُبَّ قَطِّ جَائِعٍ ظَنُّ مَضَعٍ زَيْدٍ ذُلٌّ)، وأما الأصوات المهموسة فقد جُمعت في عبارة: (حَثُّ شَخْصٍ فَسَكْتٌ).

وقد قدّم سيبويه لهذين المصطلحين تعليلاً شافياً جعل أغلب علماء العربية يعدّونه أساساً، حيث صنّف الجهر والهمس بناء على منع النفس وعدمه في موضع النطق، حيث يختص هذان المصطلحان بما يحدث داخل الحلق والفم ولا يختصان فيما عدا ذلك، كما أورد سيبويه مع التعليل بياناً لكيفية التوصل لمعرفة المجهور من المهموس، حيث قال: "وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس، ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه"^١. وإني لأخذ على الدكتور عادل الحساني جعله صفتي الجهر والهمس في قراءته التعليلية لكتاب سيبويه تحت مبحث: "تعليل الصفات السمعية"^٢، حيث لا علاقة لصفتي الجهر والهمس بقضية السمع.

كما أبدع سيبويه في تصنيفه أصوات اللغة العربية إلى شديدة ورخوة وبين الشديدة والرخوة، وهو يعي في هذا التصنيف الفرق بين النفس والصوت، حيث عرّف الصوت الشديد بأنه: "الذي يمنع الصوت أن يجري فيه"^٣. ويمكن جمع الأصوات الشديدة في عبارة: (كُتِبَ قَطُّ: أجد).

أما الأصوات الرخوة فقد عددها سيبويه دون تعريف وتعليل، ويمكن جمعها في عبارة: (هَرَّ ثَطُّ غَضٌّ، حَطُّ شَخْصٍ فَذٌّ). وإذا أردنا تعريفها نيابة عن سيبويه وعلى طريقته فلعلّه يقول: هي الحروف التي لا تمنع الصوت أن يجري فيها.

وأما الجانب التعليلي المُجمل فقد ذكر سيبويه في كتابه تنمة صفات أصوات اللغة العربية التي عرف، حيث قال: "المنحرف، وهو حرفٌ شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام. وإن شئت مددت فيها الصوت. وليس كالرخوة؛ لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه. وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك. ومنها حرفٌ شديد يجري معه الصوت لأن ذلك الصوت غنةٌ من الأنف، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت. وهو النون، وكذلك الميم. ومنها المكرر وهو حرفٌ شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه. وهو الراء ومنها اللينة، وهي الواو والياء، لأن اتساع غيرهما كقولك: وأئى، والواو وإن شئت أجريت الصوت ومددت ومنها الهاوي وهو حرفٌ اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع مخرج الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك، وهي الألف. وهذه

^١ سيبويه: الكتاب، المصدر السابق، ٤ / ٤٣٤.

^٢ الحساني، عادل نذير: التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث- قراءة في كتاب سيبويه، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، ط٢، العراق، ٢٠٠٩م، ص ٩٥.

^٣ سيبويه: الكتاب، المصدر السابق، ٤ / ٤٣٤.

الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها. وأخفاهن وأوسعهن مخرجاً: الألف، ثم الياء، ثم الواو. ومنها المطبقة والمنفتحة. فأما المطبقة فالصاد، والضاد، والطاء، والظاء والمنفتحة: كل ما سوى ذلك من الحروف؛ لأنك لا تطبق لشيءٍ منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى^١.

ومما قدّمه سيبويه في الجزء الرابع من كتابه، باب الوقف بأشكال عدّة، وكلها حملت سمة التعليلية، ومنها بيانه علة الوقف على الاسم المنون في حال النصب بالألف؛ وذلك للتفريق بين النون والتنوين. كما بين علة الوقف بالهاء على تاء التانيث المربوطة؛ وذلك للتمييز بينها وبين التاء التي من نفس حرف التاء^٢. كما عرض سيبويه لآلية الوقف على المرفوع والمضموم بأربعة أوجه: (الإشمام وغير الإشمام كما تقف عند المجزوم والساكن، والروم والتضعيف) وقد بين علة كل وجه مع التمثيل^٣.

وكان مما عرفه سيبويه أيضاً الوقف الذي يُعرف بـ (الوقف بالنقل) وذلك تحت عنوان: (باب الساكن الذي يكون قبل آخر الحروف فيحرك لكرهيتهم التقاء الساكنين). مثل قول بعض العرب: (هذا بكُر). فنرى أن العنوان حمل تعليلًا، ثم جاء بالبيان والتمثيل^٤.

ومن قضايا التعليل الصوتي التي عرفها سيبويه ما يخص الإمالة، مثل إمالة الألف إذا كان بعدها حرف مكسور، مثل: عابدٌ، عالمٌ، مساجد، مفاتيح، عذافرٌ، هابيل. وعلل سيبويه الإمالة في هذا بعلة التقريب، أي للتقريب من الكسرة التي بعدها، وحتى يكتمل التعليل عمد سيبويه إلى المقاربة، حيث جعل تقريب الألف من الكسرة بالإمالة شبيهاً بتقريب الصاد من الزاي كما في كلمة (صدر)، حين جعلوها بين الزاي والصاد، فقربها من الزاي والصاد التماس الخفة لأن الصاد قريبة من الدال^٥.

^١ سيبويه: الكتاب، المصدر السابق، ٤/ ٤٣٤-٤٣٥.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ٤/ ١٦٦-١٦٧.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ٤/ ١٦٨.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ٤/ ١٧٣.

^٥ معنى كلمة عذافر هو: "عذفر: جَمَلٌ عَذَافِرٌ وَعَذَوَفَرٌ: صُلْبٌ عَظِيمٌ شَدِيدٌ، وَالْأُنْثَى بِالْهَاءِ. الْأَزْهَرِي: الْغَذَافِرَةُ النَّاقَةُ الشَّدِيدَةُ الْأَمِينَةُ الْوَثِيقَةُ الظَّهِيرَةُ وَهِيَ الْأُمُونُ. وَالْغَذَافِرُ: الْأَسَدُ لِشِدَّتِهِ، صِفَةٌ غَالِبَةٌ. وَغَذَافِرٌ: اسْمٌ رَجُلٍ. وَغَذَافِرٌ: اسْمٌ كَوْكَبٍ الدُّنْبِ" ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ٤/ ٥٥٥.

^٦ انظر: سيبويه: الكتاب، المصدر السابق، ٤/ ١١٧.

- المطلب الثالث: التعليل الصوتي في كتاب المقتضب للمبرد (ت ٢٨٦هـ)

برز الجانب الصوتي لدى المبرد في كتابه المقتضب في أبواب الإدغام بشكل متخصص، حيث بدأ الأبواب بمقدمة صوتية لعدد أصوات اللغة العربية ومخارجها. حيث أخبر أنّ عدد أصوات اللغة العربية التي لها صورة ثمانية وعشرون صوتاً دون بيان مباشر، وأضاف لها سبعة أصوات أخرى نعتها بالجارية على الألسن (يبدو أنها نفسها التي نعتها سيبويه بالمستحسنة) دون تعليل لموقعها في كلام العرب ودون بيان للصوت السابع الذي زيد على الأصوات الفروع المستحسنة في كلام العرب. وجعل عدد أصوات العربية خمسة وثلاثين، على النحو الآتي: (عدد أصوات العربية التي لها صورة (ثمانية وعشرون صوتاً) + عدد أصوات اللغة العربية الجارية على الألسن (سبعة أصوات) = خمسة وثلاثون صوتاً).

أما عن سبب نقصان عدد أصوات اللغة العربية لدى المبرد إلى ثمانية وعشرين فإنّه يعود لاعتماده على الصورة (الشكل الكتابي). وقد علّل ابن جني ذلك، بأن المبرد حذف الألف من بين حروف المعجم وجعل أولها الباء؛ بحجة أن الألف التي هي الهمزة، لا تثبت على صورة واحدة، وليست لها صورة مستقرة. وابن جني لم يرضَ هذا الكلام وردّ عليه بالتعليل، حيث أن جميع حروف المعجم إنما وجب إثباتها واعتدادها؛ لما كانت موجودة في اللفظ الذي هو قبل الخط، والهمزة أيضاً موجودة في اللفظ كالهاء والقاف. وتسمية الهمزة بالألف يوافق تسميات باقي الحروف، فإذا قلت جيم فأول حروف الحرف جيم، وإذا قلت دال فأول حروف الحرف دال، وإذا قلت حاء فأول ما لفظت به حاء، وكذلك إذا قلت ألف فأول الحروف التي نطقت به همزة^١.

وقد عرض المبرد لمخارج أصوات اللغة العربية جاعلاً إياها في سبعة عشر مخرجاً (وقد جعلها تسعة وعشرين صوتاً في المخارج)، ربما لأنه يختص هنا بالنطق وليس بالصورة، وبيّنها على النحو الآتي^٢:

ترتيب مخارج أصوات اللغة العربية السبعة عشر لدى المبرد

| | | | | | | | | |
|---|-------|---|-------|----------|-------|-------|------------------|-------------------|
| ل | ض | ج | ش | ك | ق | خ غ | ح ع | هـ ا |
| | و ب م | ف | ظ ث ذ | س ص ز | ط د ت | الراء | النون الساكنة | النون المتحركة |

وقد جاء عرض المبرد للمخارج عرضاً وصفيّاً مباشراً، ثم تعليلياً. أما التعليل الصوتي فنلمحه على سبيل المثال بالتعليل الصوتي الذي قدمه للفرقة بين مخرج النون الساكنة ومخرج النون المتحركة، فالمتحركة مشربة بالغنة، وأما الساكنة فخالصة من الخياشيم، وعلّة تسميتها باسم واحد؛ علّة الشبه^٣. ويبدو أن التعليل الصوتي لدى المبرد يعاني من اضطراب في العرض واضطراب في بعض الأفكار، ويظهر ذلك أولاً في منهجيته حين يبدأ بتقديم قيمة صوتية، ثم

^١ انظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ٤١/١-٤٣.

^٢ انظر: المبرد: المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٢/١.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ١٩٣/١.

يقول: "ونذكر هذا في موضعه مستقصى إن شاء الله"^١. ويظهر ثانياً في خطه تعريف الجهر والهمس في تعليل الشدة والرخاوة، خلطاً يشكك في حقيقة إدراك المبرد للفرق بين النفس والصوت مما أخلّ بالتعليل الصوتي لديه، حيث قال: "ومن الحُرُوف حُرُوف تُجْرِي عَلَى النَّفْسِ وَهِيَ الَّتِي تَسْمَى الرَّخْوَةَ وَمِنْهَا حُرُوفُ تَمْنَعُ النَّفْسَ وَهِيَ الَّتِي تَسْمَى الشَّدِيدَةَ وَمِنْهَا حُرُوفُ إِذَا رَدَدْتَهَا فِي اللِّسَانِ جَرَى مَعَهَا الصَّوْتُ وَهِيَ المَهْمُوسَةُ وَمِنْهَا حُرُوفُ إِذَا رَدَدْتَهَا ارْتَدَعَ الصَّوْتُ فِيهَا وَهِيَ المَجْهُورَةُ"^٢.

وقد علّل المبرد النبرة التي تلحق بعض الأحرف لدى الوقف، وهي أحرف القلقلة، وعلّل سبب قوة القلقلة حال الوقف دون الوصل، بأن الوصل أخرج اللسان من موضعه إلى موضع الصوت الآخر، فلم تعد أحرف القلقلة محصورة في مواضعها^٣.

أما عن ظاهرة الإدغام في العربية، فقد عرضها المبرد بأسلوب تعليلي مباشر، يُقَعِّدُ ثم يُعَلِّلُ، وبيان ذلك على سبيل المثال أنه أوجب الإدغام مع الحرفين إذا كانا من لفظ واحد، الأول ساكن والثاني متحرك، دون فاصل بينهما. لعلة الاعتماد الواحد، فاللسان يعتمد مخرجاً واحداً سواء في كلمة أم في كلمتين. وقد منع المبرد الإدغام في الألفين، لعلة أن الألف لا تكون إلا ساكنة، ولا يجوز التقاء الساكنين. وكما أخبر المبرد أنه إذا التقى حرفان متماثلان متحركان من كلمتين، قبلهما متحرك، جاز الإدغام وتركه، والإدغام لعلة التخفيف^٤. وبيان ذلك الجدول الآتي:

| الحالة | التمثيل | حكم الإدغام | العلّة |
|--|----------------|-------------------|-----------------|
| حرفان متماثلان، الأول ساكن والثاني متحرك في كلمة | محمّد | وجب الإدغام | الاعتماد الواحد |
| حرفان متماثلان، الأول ساكن والثاني متحرك في كلمتين | لم ينمّ مُحمّد | وجب الإدغام | الاعتماد الواحد |
| حرفان متماثلان متحركان، قبل الأول متحرك في كلمتين | جعل لك / جعلك | جاز الإدغام وتركه | التخفيف |

وقد استخدم المبرد مفردة العلة بشكل واضح، وذلك عندما بين علة عدم جواز إدغام الياء في الجيم والشين، وذلك عندما قال: "اعلم أن الياء لا تُدغم في الجيم ولا في الشين لأنها حرف لين وحروف اللين تمتنع من الإدغام لعلل منها أن الألف التي هي أمكن حُرُوف اللين لا تُدغم في شيء ولا يدغم فيها شيء لأنها لا تكون إلا ساكنة وفي الياء والواو الشبه بها فيجب أن تمتنعا كامتناعها"^٥.

^١ المبرد: المقتضب، المصدر السابق، ١٩٥/١.

^٢ المصدر نفسه، ١٩٤/١.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ١٩٦/١.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ١٩٧/١-٢٠٦.

^٥ المصدر نفسه، ٢١٠/١.

- المطلب الرابع: التعليل الصوتي في كتاب الأصول في النحو لابن السراج (ت ٣١٦هـ)

عرف ابن السراج في كتابه الأصول في النحو التعليل بوصفه درساً مهماً، حيث قدّم لأنواع اعتلالات النحويين بأنها على ضربين، وهي لديه: علة تؤدي إلى كلام العرب (علة تعليمية)، وعلة تسمى بعلة العلة (علة قياسية)، وهي التي يتوصل بها إلى الحكمة من الأصول التي وضعها العرب لكلامهم^١. وبالتأكيد فإن ابن السراج لا يقصد بالنحويين حصر علماء النحو وحسب، وإنما علماء اللغة العربية بشكل عام، فالنحو سابقاً يُذكر ويحوي جميع مستويات اللغة العربية. بدليل كتاب الأصول في النحو الذي بين أيدينا، فقد ضم قضايا لغوية مختلفة، ولعل أبرزها ونحن في صدد الحديث عن أصول التعليل الصوتي، الباب الذي عنوانه بـ (باب الإدغام).

حيث قدّم الحديث فيه بتعداد عدد أصوات اللغة العربية الأصول، وهي لديه تسعة وعشرون حرفاً، تماماً كما عدّها ورتبها سيبويه، باستثناء تقديمه القاف على الكاف، حيث كان أكثر دقة من سيبويه في ملاحظته تقدم القاف على الكاف، وذلك على النحو الآتي^٢:

ترتيب أصوات اللغة العربية الأصول لدى ابن السراج

| | | | | | | | | | |
|--------|---|----|---|---|---|---|---|---|---|
| الهمزة | ا | هـ | ع | ح | غ | خ | ق | ك | ض |
| ج | ش | ي | ل | ر | ن | ط | د | ت | ص |
| ز | س | ظ | ذ | ث | ف | ب | م | و | |

كما قام ابن السراج بمتابعة الأحرف المستحسنة وغير المستحسنة لدى سيبويه وطابقها في الكم والنوع، وتابع صفات الحروف أيضاً، أما مخارج أصوات اللغة العربية فقد قامت لديه في ستة عشر مخرجاً على النحو الآتي^٣:

ترتيب مخارج أصوات اللغة العربية الستة عشر لدى ابن السراج

| | | | | | | | |
|--------|-----|-------|-------|-------|-------|-------|---------------|
| ء هـ ا | ع ح | غ خ | ق | ك | ج ش ي | ض | ل |
| ن | ر | ط د ت | ز س ص | ظ ث ذ | ف | ب م و | النون الخفيفة |

وأما في باب الإدغام فقد قدّم ابن السراج تعليلات صوتية لمنطقة القواعد التي بنى عليها، فأخبر عن عدم جواز الإدغام للصوتين المتماثلين المتحركين الذي قبلهما ساكن لعلة التقاء الساكنين، كما في: ائِنُّ نوح واسمُ موسى^٤. ومن التعليلات الصوتية التي قدمها ابن السراج فيما أدغم للتقارب، عدم جواز إدغام العين مع الحاء على الرغم من أنهما من مخرج واحد؛ لأن

^١ انظر: ابن السراج: الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، ١/ ٣٥.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ٣/ ٣٩٩.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ٣/ ٤٠٠-٤٠٤.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ٣/ ٤١١.

الحاء يفرّون إليها إذا وقعت الهاء مع العين، كما في لغة من يقول: (مَحَّم) يريد (معهم). و (مَحَاوِلَاء) يريد (مع هؤلاء). وبالتالي فإن علة عدم جواز إدغام العين مع الحاء هي أمن اللبس^١.

ومن التعليقات الصوتية التي ذكرها ابن السراج في كتابه ما جاء في باب الإمالة، مثل علة الإمالة للإمالة، ففي جملة: (رأيت عمادًا) يميلون الألف في النصب لإمالة الألف الأولى^٢.

ومن التعليقات الصوتية لابن السراج أيضاً ما جاء في باب ذكر الهمز وتخفيفه، علة التسهيل الهمزة لاستنقال العرب نطقها. والتسهيل يكون في ثلاث طرق: إبدال الهمزة أو حذفها أو جعلها بين بين^٣، ومن الأمثلة التي يمكن تدارسها على إبدال الهمزة:

أ- (رأس) ← (راس) أبدلت الهمزة صوت مد من جنس حركة ما قبلها (بعد الفتحة ألف). مثل قراءة (يوم ناتي) بدلاً من (تأتي).

ب- (مؤمن) ← (مومن). أبدلت الهمزة صوت مد من جنس حركة ما قبلها (بعد الضمة واو). مثل قراءة (المومنون) بدلاً من (المؤمنون).

ج- (ذئب) ← (ذيب). أبدلت الهمزة صوت مد من جنس حركة ما قبلها (بعد الكسرة ياء). مثل قراءة: (جيت) بدلاً من (جئت).

ومن الأمثلة التي يمكن تدارسها على تسهيل الهمزة بالحذف:

- تخفيف همزة (المرأة والكمأة ومن أبوك والأحمر) بحذفها، فتصبح (المرء والكمء ومن بوك والحر). وأخبر ابن السراج أن علة تسهيل الهمزة بالحذف تأتي لعدة كثرة الاستعمال. وليس أدل على ذلك من حذف الهمزة في (أرى - ترى - نرى - يرى) التي أصلها (أرأى - ترأى - نرأى - يرأى)^٤. وفي قراءة (جا أمرنا)^٥ بدلاً من: جاء تسهيل للهمزة بالحذف.

أما تسهيل الهمزة بين بين، فيكون عند التقاء همزتين، فيكون النطق للهمزة الثانية بين الهمز وبين صوت المد المجانس لحركة الهمزة، لعدة التسهيل من أجل التخلص من ثقل همزتين متواليتين، ومن الأمثلة عليه: تسهيل الهمزة بين الهمزة وصوت الألف المدية كما في قراءة: (ءأذرتهم)^٦ بالتسهيل، وتسهيل الهمزة بين الهمزة وصوت الواو المدية كما في قراءة: (ءألقي)^٧، وتسهيل الهمزة بين الهمزة وصوت الياء المدية كما في قراءة: (ءإذا كنا)^٨.

^١ انظر: ابن السراج: الأصول في النحو، ٣/ ٤١٤.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ٣/ ١٦٣.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ٢/ ٣٩٩.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ٢/ ٤٠٠.

^٥ عمر، أحمد مختار- مكرم، عيد العال سالم: معجم القراءات القرآنية، المرجع السابق ٣/ ١١٠. سورة هود: ٤٠.

^٦ المرجع نفسه ١/ ٢١١. سورة البقرة: ٦.

^٧ المرجع نفسه ٧/ ٣٦. سورة القمر: ٢٥.

^٨ المرجع نفسه ٣/ ٢٠٧. سورة الرعد: ٥.

- المطلب الخامس: التعليل الصوتي في كتاب الجمل في النحو للزجاجي(ت) (٣٤٠هـ)

ضمَّ الزجاجي في كتابه الجُمْل في النحو عددًا من الأبواب في النحو والصرف والأصوات والإملاء، وما يعيننا من بين هذه الأبواب ما اشتملت على المادة الصوتية، التي تظهر بداية في باب نوع آخر من أنواع الهجاء، لدى حديثه عن الهاء التي تُضاف إلى الفعل إذا صار إلى صوتٍ واحد (يريد هاء السكت)، كقولك: (عه - شيه - ره) بتفعيد دون تعليل.^١

هذا ولم يُضف الزجاجي على المادة الصوتية الموجودة في باب الإدغام لديه، قيمة صوتية تعليلية يمكن أن تحتسب له يمتاز بها عن سابقيه، حيث اقتدى بـ (سيبويه) بعدد حروف العربية وبيان المستحسن وغير المستحسن في العربية، وفي بيانه لمخارج الحروف وصفاتها. ومما يمكن أخذه عليه في باب الإدغام ما يأتي^٢:

١- ذكره لعدد حروف العربية ثمانية وعشرين حرفًا في موطن، وتسعة وعشرين حرفًا في موطن آخر^٣.

٢- تعليله الإدغام الذي يحصل بين (أل التعريف) والحروف الشمسية التي تتصل بها بعلّة كثرة دورها في الكلام (كثرة الاستعمال)، دون الالتفات إلى أثر القرب المخرجي^٤.

أما باب الوقف لدى الزجاجي فقد عرض فيه سبعة أوجه للوقف في العربية، ما بين تعليل وعدمه، وذلك على النحو الآتي^٥:

| وجه الوقف | المثال | التعليل الصوتي |
|---|---------------------------------|---------------------------------------|
| بالسكون على المرفوع والمجرور وبالألف على المنصوب | هذا زيد، مررت بزيد، رأيت زيدا | X |
| بالسكون دومًا | هذا محمد، رأيت محمد، مررت بمحمد | X |
| التعويض من التنوين المرفوع بالواو والمنصوب بالألف والمجرور بالياء | هذا زيدو، مررت بزيدي، رأيت زيدا | X |
| الروم | X | ليعلم السامع أنها حركة الحرف في الوصل |
| الإشمام | X | ليعلم الرائي أنها حركة الحرف في الوصل |
| الوقف بالنقل | هذا بكر | ليعلم السامع أنها حركة الحرف في الوصل |

^١ انظر: الزجاجي: الجُمْل في النحو، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة- دار الأمل، ط١، ١٩٨٤م، ٢/ ٢٧٧.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ٣/ ٤٠٩ - ٤١٦.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ٢/ ٢٧٣.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ٣/ ٤٠٩ - ٤١٦.

^٥ انظر: المصدر نفسه، ٣/ ٣٠٩ - ٣١٠.

| | | |
|---|----------|--------------------|
| X | هذا جعفر | التثقيـل (التشديد) |
|---|----------|--------------------|

وأما في باب الإمالة فقد علل الزجاجي علة إمالة الألف نحو الياء، وإمالة الفتحة نحو الكسرة بعدة علل، يوضحها الجدول الآتي^١:

| علة الإمالة | الكلمة |
|-----------------------------|------------------------------|
| لمناسبة الياء قبلها | شيبان - عيلان |
| لمناسبة الكسرة بعدها | عالم - عابد - مساجد - مفاتيح |
| لكون الألف منقلبة عن ياء | طاب خبرك |
| لمناسبة الكسرة والياء بعدها | للكافرين |

كما ذكر الزجاجي الحروف السبعة التي تمنع الإمالة دون تعليل، وهي^٢:

| | | | | | | |
|------|------|------|------|------|------|------|
| ق | خ | غ | ظ | ط | ض | ص |
| قاعد | خارج | غانم | ظالم | طاهر | ضارب | صائم |

^١ انظر: الزجاجي: الجمل في النحو، ٣/ ٣٩٤ - ٣٩٥.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ٣/ ٣٩٤ - ٣٩٥.

- المطلب السادس: التعليل الصوتي في كتاب الواضح للزبيدي (ت ٣٧٩هـ)

عُني أبو بكر الزبيدي في كتاب الواضح بالنحو والصرف والأصوات والعروض. ومما اعتنى به الزبيدي ويدخل ضمن ميدان التعليل الصوتي، بيانه أن التنوين لازم لكل اسم منصرف غير معرّف بـ (أل) أو الإضافة، نحو قولك: (هذا زيدٌ)، ولكن الاسم المنصرف الموصوف يسقط منه التنوين، نحو قولك: (هذا زيدٌ بن خالد)، لعله الاستخفاف^١.

أما في باب التضعيف فقد ذكر الزبيدي أن الإدغام يلزم إذا اجتمع حرفان مثلان آخرهما متحرك، كما في (رَدَدَ) تصبح (رَدَّ) بإسكان الأول وإدغامه بالثاني، أما في (ارْدُدْن) و (ابيضُضْت) فلا يجوز الإدغام لسكون المثل الثاني. وأما في (ارِدِّ المال) و (لم تفرر اليوم) تحرك المثل الثاني بالكسر وأصله السكون لعله كراهة اجتماع ساكنين^٢.

ومما جاء في باب الهمز لدى الزبيدي، أحكام الهمزة إذا وقعت فاءً للكلمة أو عيناً للكلمة أو لاماً للكلمة، ومما علّله صوتياً في هذا الباب قلب الهمزة ياءً في اسم الفاعل من الفعل الأجوف (جاء) الذي أصله (جائئ) الذي يصبح بعد القلب (جائي)، وقاعدة الاسم المنقوص حُدْف يائه إذا لم يكن معرّفاً، والتعويض عنها بتنوين العوض، فيصبح (جاءئ). وعله ذلك كراهة اجتماع همزتين لتقلهما^٣.

كما تظهر المادة الصوتية لدى الزبيدي في باب تخفيف الهمز، الذي يتسم بالتقعيد دون التعليل، ومما أخبر به، جواز تخفيف الهمزة الساكنة، كما في (راس - مومن - ذيب)، وموضع حذف الهمزة، كما في الهمزة المتحركة المسبوقة بساكن، نحو (يسأل) التي تصبح لدى تخفيفها (يسل). وغيرها من قواعد تخفيف الهمز. ومما علّله صوتياً في هذا الباب، الهمزة المتحركة التي ليس قبلها حرف لا يجوز تخفيفها، وعلّل ذلك بأنّ المُخَفَّف كالساكن، والساكن لا يكون أولاً، كما في (أكل)^٤.

وأما في باب الإمالة لدى الزبيدي الذي جعل مقابله الانتصاب والتفخيم، فقد تميز الزبيدي في هذا الباب بشمولية الدرس وسهولة العرض، وذلك من خلال بيانه أحكام الانتصاب والإمالة، والتمثيل المباشر. ومما يخص التعليل الصوتي، بيان الزبيدي إجازة الإمالة في بعض الكلمات التي تحتوي على موانع الإمالة، كما في (مساليخ - مناشيط)، وذلك لعله تباعد الموانع عن حرف الإمالة. وبالمقابل فقد بيّن الموضع الذي تكون فيه الإمالة أبعد ما تكون، كما في (ساخط - ساقط) وذلك لعله توالي موانع الإمالة بعد الألف. وأما الإمالة في نحو (ضارب) و (قارب) فقد جازت في هذين المثالين على الرغم من وجود موانع الإمالة، لعله وجود الراء، ولأنّ الراء بها تكرير صارت كسرتها بمنزلة كسرتين، مما أعطى وجه الإمالة حق الجواز^٥.

وأما باب الإدغام لدى الزبيدي فقد اتسم بالتقعيد دون التعليل، على الرغم من استيعابه لأبرز قضايا الإدغام، ومما يظهر في هذا الباب اقتداء الزبيدي بسابقه، فقد اتفق مع سيبويه في

^١ انظر: الزبيدي: الواضح: تحقيق: عبد الكريم خليفة، دار جليس الزمان، ط٢، الأردن، ٢٠١١م، ص٢٦٧.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ص ٢٨٦ - ٢٨٨.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ص ٢٨٨ - ٢٩٠.

^٥ انظر: المصدر نفسه، ص ٢٩٠ - ٢٩٣.

عدد حروف العربية وعدد مخارجها وصفاتها. ومما علّله الزبيدي في هذا الباب علة عدم جواز الإدغام في المتماثلين من كلمتين، إذا كان قبل الحرف الأول ساكن، وذلك لعله التقاء الساكنين، كما في: (نَحْنُ نَفْعَل)^١.

ومما تميز به الزبيدي في كتابه، التفاته للدرس العروضي، الذي يظهر تحت باب (وجوه القوافي في الإنشاد والحداء). وكان التقاء علم العروض بالتعليل الصوتي في الواضح، لدى حديثه عن علة إشباع القافية في الشعر، فالمجرورة بالياء، والمرفوعة بالواو، والمنصوبة بالألف، وذلك لعله الترتم، أي الغناء^٢.

كما تظهر المادة الصوتية لدى الزبيدي في باب (الوقف على آواخر الأسماء والأفعال المتحركة الأواخر)، الذي بيّن فيه أوجه الوقف في العربية، من سكون وروم وإشمام وتشديد وحذف ووقوف بالألف كما على المنصوب المنون، وفي هذا الباب أخبر الزبيدي علة جواز التقاء الساكنين في الوقف، على الرغم من كراهة العرب له في حالات أخرى، بعله أن الالتقاء في الوقف غير لازم. أي عارض^٣.

^١ انظر: الزبيدي: الواضح، ص ٢٩٣ - ٢٩٩.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ٢٩٩.

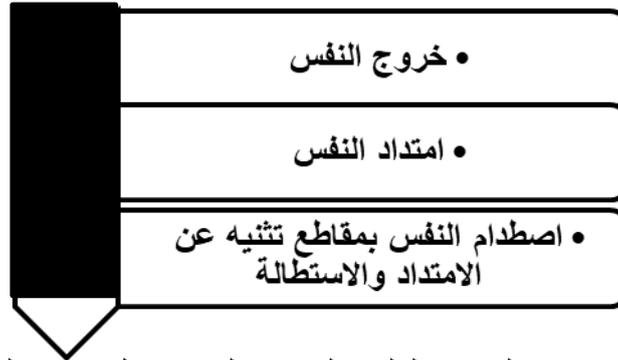
^٣ انظر: المصدر نفسه، ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

- المطلب السابع: التعليل الصوتي في كتاب سر صناعة الإعراب لابن جني (ت ٣٩٢هـ)

أما ابن جني الذي عرف الدرس الصوتي بشكل متخصص، فقد أشهد العربية مرحلة استقلال الدراسات الصوتية، كما في كتابه (سر صناعة الإعراب)، الذي ألفه لدراسة جميع أصوات العربية من حيث مخارجها ومدارجها وانقسام أصنافها وأحكام مجهورها ومهموسها وشديدها ورخوها وصحيحها ومعتلها ومطبقها ومنفتحها وساكنها ومتحركها ومضغوطها ومهتوتها ومنحرفها ومشربها ومستويها ومكررها ومستعليها ومنخفضها إلى غير ذلك من أحكامها وأجناسها وكل ما يتصل بها^١.

ومما تميز به ابن جني في كتابه تناوله للمفردات بشكل اصطلاحي علمي تعليلي، مثل تناوله لمفهوم الصوت، الذي يمكن بيانه وفق الشكل الآتي^٢:

مفهوم الصوت لدى ابن جني



ولم يكتف ابن جني بالجانب العلمي لمفهوم الصوت بل اهتم بالجانب اللفظي أيضاً، حيث عرّف الصوت بأنه: مصدر مذكر بمنزلة الضرب والقتل والغدر والفقر، وتأتيه من قبيح الضرورة؛ لعله خروجه من الأصل إلى الفرع، وهو مصدر عام غير مختص، يقال رجل صات أي شديد الصوت، وفلان صيت إذا انتشر ذكره في الناس حيث انقلبت الواو ياء؛ لعله انكسار الصاد قبلها وكونها ساكنة. ولا يستعمل الصيت إلا في الجميل من الذكر دون القبيح^٣.

وكما بيّن ابن جني مفهوم الصوت ببيان وتعليل، فقد قام ببيان مفهوم الحرف، الذي جعل من أهم معانيه حدّ الشيء وناحيته، وهنا تقوم علة تسمية حروف المعجم حروفاً؛ لأنّ الحرف حد منقطع الصوت وغايته وطرفه، كحرف الجبل ونحوه، ويجوز أن تكون سميت حروفاً لأنها جهات للكلم ونواح كحروف الشيء وجهاته المحدقة به^٤. وزيادة على ذلك أعتقد أنّ مصطلح الحرف يتعلّق بالرّسم، ومُصطلح الصّوت يتعلّق بالنّطق.

^١ انظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب: المصدر السابق، ٤/١

^٢ انظر: المصدر نفسه، ٦/١

^٣ انظر: المصدر نفسه، ١٢-٩/١

^٤ انظر: المصدر نفسه، ١٤/١.

وقد أوضح ابن جني علة الإتيان بالصوت ساكناً لدى ابتغاء تحديد موضعه بدقة، لأن الحركة تفلت الصوت عن موضعه ومستقره وتجذبته إلى جهة الصوت الذي هي بعضه ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله لأن الساكن لا يمكن الابتداء به فنقول: اك، اق، اج، وكذلك سائر الحروف^١.

وأما عن أوسع مخارج أصوات اللغة العربية فقد بين ابن جني أن أوسع مخارج الأصوات الألف ثم الياء ثم الواو، وعلل هذا الاتساع بعلتين: علة اتساع الامتداد وعللة الشكل، فالألف لا يعترضها عارض كما في القاف أو الجيم أو الباء مثلاً، وشكل الحلق والفم والشففتين يختلف أيضاً عند نطق أي صوت من الأصوات^٢.

ولعل من أهم ما امتاز به ابن جني في ميدان التعليل الصوتي، حديثه عن مسألة التنوع الكمي للصوائت، وتناوله الصوائت من زاوية أنها أبعاض أصوات المد. وقد علل ذلك وبينه بالآتي^٣:

١- علة العدد: فالصوائت ثلاثة وأصوات المد واللين ثلاثة.

٢- علة الإشباع: فالفتحة إذا أشبعتها صارت ألفاً والكسرة إذا أشبعتها صارت ياءً والضمة إذا أشبعتها صارت واواً.

٣- علة الكلفة والمشقة ونبوّ اللفظ: فيمكن الإتيان بأي صوت من أصوات اللغة العربية غير هؤلاء الثلاثة بعد أي الصوائت دون تجسّم مشقة ونبوّ لفظ.

وقد علل ابن جني سبب تسمية الحركات بهذا الاسم لأنها "تفلت الحرف الذي تقترن به وتجذبته نحو الحروف التي هي أبعاضها فالفتحة تجذب الحرف نحو الألف والكسرة تجذبته نحو الياء والضمة تجذبته نحو الواو ولا يبلغ الناطق بها مدى الحروف التي هي أبعاضها"^٤.

أما عدد أصوات اللغة العربية لدى ابن جني فقد أخبر أنها تسعة وعشرون صوتاً وقد اتبع ابن جني في ترتيب أصوات كتابه الترتيب الأبثني؛ بعلّة اتباع ما هو مشهور بين الناس. وقد كان يرى أن الترتيب المخرجي أوضح في البيان، كما أنّ ترتيبه الأبثني لم يمنع من توضيحه لترتيب أصوات اللغة العربية المخرجي الذي يخالف به معجم العين، الذي ينعت ترتيبه بالخلط والاضطراب والمخالفة، لما ذكرته الباحثة سابقاً لدى حديثها عن ترتيب الخليل لأصوات اللغة العربية.

^١ انظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١/ ٦-٧.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ١/ ٨.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ١/ ١٧-١٩.

^٤ المصدر نفسه، ١/ ٢٦-٢٧.

ترتيب مخارج أصوات اللغة العربية الستة عشر لدى ابن جني

وقد جاء ترتيب ابن جني على النحو الآتي^١:

| | | | | | | | |
|------------------|-------|-------|-------|----------------|-------|-----|------|
| ل | ض | ج ش ي | ك | ق ^٢ | غ خ | ع ح | ء أه |
| النون الخفيفة | ب م و | ف | ظ ذ ث | ص ز س | ط د ت | ر | ن |

ومن قضايا التعليل الصوتي البارزة لدى ابن جني أيضاً، تعليله إبدال الهمزة ياء، ويمكن بيان ذلك وفق الشكل الآتي^٢:

| الحالة | مثال الأصل | مثال الفرع | السبب | العلّة |
|-------------------------------|------------|------------|------------------|---------|
| همزة ساكنة مكسور ما قبلها | ذنب | ذيب | الكسرة قبلها | التخفيف |
| همزة مفتوحة مكسور ما قبلها | أن يقرئك | أن يقريك | الكسرة قبلها | التخفيف |
| همزة بعد ياء فعل | خطيبة | خطية | الياء قبلها | التخفيف |
| اجتماع همزتين | إثلاف | إيلاف | اجتماع همزتين | التخفيف |
| همزة ساكنة مفتوح ما قبلها | قرأت | قريت | دون سبب | التخفيف |

ومن أشكال التعليل الصوتي التي عرفها ابن جني، التعليل بتعليل غيره، مثل تعليله دخول التنوين على (جوارٍ - غواشٍ) على الرغم من أنهما ممنوعتان من الصرف؛ لأنهما من الجمع الأكبر (صيغة منتهى الجموع)، بالتعليل الذي ذهب إليه الفراهيدي وسيبويه حيث إنهما جمع والجمع أثقل من الواحد، بل إنهما من الجمع الأكبر الذي تنتهي إليه الجموع، والأصل في هذين الجمعين وجود الياء في آخرهما، والياء ثقيلة، فلما اجتمع ثقان: (ثقل الجمع وثقل الياء) خفوهما بحذف الياء، ودخل التنوين لتعويض النقص، نقص مثال صيغة الجموع^٣.

^١ انظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، ١/ ٤٥-٤٨.

^٢ ذُكر صوت القاف ضمن تعداد أصوات اللغة العربية العربية لدى ابن جني، ويبدو أنه سقط سهواً ضمن التوزيع المخرجي للأصوات في الكتاب. المصدر نفسه، ١/ ٤٥-٤٧.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ٢/ ٨٣٨.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ٢/ ٥١١-٥١٢.

- المطلب الثامن: التعليل الصوتي في كتاب المفصل في صناعة الإعراب للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)

أقام الزمخشري في كتابه المفصل في صناعة الإعراب الدرس اللغوي ضمن أربعة أقسام: قسم للأسماء، وقسم للأفعال، وقسم للحروف، وقسم جعله في المشترك. فإننا نجد الجزء الأصغر من المادة الصوتية في قسم الحروف، ونلاحظ وجود الجزء الأكبر من المادة الصوتية في الجزء الذي جعله للمشارك.

ومما علّله الزمخشري صوتياً في القسم الثالث من كتابه، علة كسر التنوين مع أن وضعيته الأصلية السكون، لعله التقاء الساكنين^١، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ عَبْدًا نَّادِي رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾^٢ أَرْكُضُ بِرَجْلِكَ هَذَا مُعْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿١٦﴾^٣. وما عدا هذا الموضوع مما يرتبط بعلم الأصوات في هذا القسم يغلب عليه الجانب الوصفي دون التعليلي.

وفي القسم الرابع من المفصل بدأ الزمخشري بباب الإمالة، الذي اكتسى بالوصف دون التعليل، إلا في موضع واحد عندما عرّف الإمالة بقوله: "أن تنحو بالألف نحو الكسرة، فتميل الألف نحو الياء ليتجانس الصوت"^٤. أي لعله التجانس الصوتي. وأما الأبواب التي كالوقوف^٥ وتخفيف الهمزة^٦ والتقاء الساكنين^٧ والإبدال^٨ فلم تحتو على أي تعليل والتزم المؤلف بها بالوصف المختصر فقط.

ويظهر في المفصل مدى تأثير الزمخشري الصوتي بالعلماء الذين سبقوه، ولا سيما الفراهيدي وسيبويه وابن جني، فعدد حروف اللغة العربية تسعة وعشرون، ومخارجها ستة عشر^٩، وترتيب الحروف على المخارج هو نفسه ترتيب ابن جني، وكثيراً ما كان يأخذ الزمخشري عبارات الفراهيدي وسيبويه وابن جني دون نقص أو زيادة. وهنا بدأ يظهر الجانب التعليلي لديه، حيث علل التسميات التي أطلقها الفراهيدي على المخارج، حيث قال: "وصاحب العين يسمى القاف والكاف لهويتين لأن مبدأهما من اللهاة، والجيم والضاد شجرية لأن مبدأهما من شجر الفم وهو مفرجه، والصاد والزاي والسين أسلية لأن مبدأهما من أسلة اللسان، والطاء والذال والطاء طعية لأن مبدأها من نطح الغار الأعلى والطاء والذال والطاء لثوية لأن مبدأها من اللثة، والراء واللام والنون ذولقية لأن مبدأها من ذولق اللسان"^{١٠}.

^١ الزمخشري: المفصل في صناعة الإعراب، المصدر السابق، ص ٤٥٦.

^٢ سورة ص: ٤١ - ٤٢.

^٣ المصدر نفسه، ص ٤٧١.

^٤ المصدر نفسه، ص ٤٧٥.

^٥ المصدر نفسه، ص ٤٨٩.

^٦ المصدر نفسه، ص ٤٩٣.

^٧ المصدر نفسه، ص ٥٠٥.

^٨ المصدر نفسه، ص ٥٤٦.

^٩ المصدر نفسه، ص ٥٤٨.

ومما علله الزمخشري في باب الإدغام علة عدم إدغام الحرف في مقاربه نفسه، فلا بد من تقدمه قلبه إلى لفظه ليصير مثلاً له، وذلك لعدة الاستحالة. فإذا رمت إدغام الدال إلى السين من قوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾^١. فاقلب الدال أولاً سينا ثم أدغمها في السين فقل يكاسنا برقه.^٢

وعرف الزمخشري علة الثقل وأمن اللبس، وذلك في تعليقه عدم جواز إدغام المتقاربين إن وقعا في كلمة واحدة نحو عتد ووقد ووتد يتد وكنية، وشاة زنماء، وغنم زنم. ولذلك قالوا في مصدر وطد ووتد طدة وتدة، وكرهوا وطداً ووتداً لأنهم من بيانه وإدغامه بين ثقل ولبس.^٣

ومن العلل التي عرفها الزمخشري أيضاً علة الاتباع، وذلك عندما تحدث عن إدغام التاء في افتعل، فافتعل إذا كان بعد تائها مثلها جاز فيه البيان والإدغام. والإدغام يكون بتسكين التاء الأولى وإدغامها في الثانية ونقل حركتها إلى الفاء، فيستغنى في الحركة عن همزة الوصل فيقال قتلوا بالفتح. ومنهم من يحذف الحركة ولا ينقلها فيلقى ساكنان فيحرك الفاء بالكسر فيقول قتلوا. فمن فتح قال يقتلون ومقتلون بفتح الفاء ومن كسر قال يقتلون ومقتلون بالكسر، ويجوز مقتلون بالضم اتباعاً للميم لعدة الحكاية عن بعضهم.^٤

^١ سورة النور: ٤٣.

^٢ انظر: الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب، ص ٥٤٨.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ص ٥٤٨.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ص ٥٥٤.

- المطلب التاسع: التعليل الصوتي في كتاب الشافية في علم التصريف لابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)

تعددت الظواهر الصوتية التي تناولها ابن الحاجب في كتاب الشافية في علم التصريف بين الوصف والتعليل، ومما جاء به: جواز التقاء الساكنين بشروط^١: الوقف، نحو: ثمود، والمدغم قبله لين، نحو: الضالين، والحذف، نحو: يخشى القوم، والتحريك، نحو: خف الله. والأصل بشرط التحريك أن يكون بالكسر، وأجازه بالفتح لعلته الاختيار، كما في قوله تعالى: ﴿الم ١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾^٢، وأجازه بالضم لعلته وجود عارض، مثل عارض ميم الجمع، كما في قوله تعالى: ﴿أَلْهَيْكُمْ التَّكَاثُرُ ١﴾^٣.

وفيما يخص ظاهرتي الوقف والابتداء لدى ابن الحاجب فقد قدم ابن الحاجب علماً وصفيًا خالصًا دون تعليل، باستثناء تعليل بسيط لمن يقف على هيهات بالهاء وهو قليل، لعلته الشبه، شبه تاء هيهات، بتاء التانيث الاسمية التي يوقف عليها بالهاء، كما في الوقوف على (رحمة) بالهاء^٤.

أما في باب الإمالة، فقد علل ابن الحاجب النحو بالفتحة إلى الكسرة بعلته قصد المناسبة، وذلك نحو إمالة الألف في كلمة (عماد). كما علل الألف المنقلبة عن مكسور أو ياء، نحو إمالة الألف في (رمى)، والألف الصائرة ياء مفتوحة، نحو إمالة الألف في (حُبلى)، وعلته الفواصل، نحو إمالة الألف في قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى ١﴾^٥ بعلته بيان الأصل، كما ذكره الإمالة للإمالة، نحو إمالة ألف حركة النصب في (رأيت عمادا)^٦.

أما في باب تخفيف الهمزة فقد اعتد ابن الحاجب بعلته الكثرة، وعالج تخفيف الهمزة بعدة آليات: الإبدال والحذف وبين بين، وهو مما سبق بيانه في مبحث سابق، وقد اشترط ابن الحاجب أن لا تكون الهمزة في بداية الكلمة. كما جعل ابن الحاجب تخفيف الهمزة في فعلي الأمر: (خُذْ و كُنْ) لعلته الكثرة، أي كثرة الاستعمال خلافًا للقياس، فالهمزة التي يراها حذفًا للتخفيف، تقع في بداية الكلمة. ويظهر في هذا الباب اعتداد ابن الحاجب بعلته السماع، حيث فصّح قولهم: (مُرْ) على (أمر)، وفصّح (وَأمر) على (وَمُرْ)، دون بيان^٧.

أما في باب الإعلال فقد صرح ابن الحاجب في بداية الباب أنّ تخيير حرف العلة (ا، و، ي) في الكلمة هو لعلته التخفيف. ويكون الإعلال لعلته التخفيف بثلاث طرق: القلب، كما في

^١ انظر: ابن الحاجب: الشافية في علم التصريف، تحقيق: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية، ط١، مكة المكرمة، ١٩٩٥م، ص ٥٦-٥٨.

^٢ سورة آل عمران: ١-٢.

^٣ سورة التكاثر: ١.

^٤ انظر: ابن الحاجب: الشافية في علم التصريف، المصدر السابق، ص ٦١ - ٦٧.

^٥ سورة الضحى: ١.

^٦ انظر: ابن الحاجب: الشافية في علم التصريف، المصدر السابق، ص ٨٣-٨٤.

^٧ انظر: المصدر نفسه، ص ٨٧ - ٩١.

قلب الواو همزة في كلمة (أواصل) التي أصلها (وواصل)، وقلب الواو ياء إذا انكسر ما قبلها نحو (ميزان) التي أصلها (موزان). والحذف، كما في حذف حرف العلة الواو في (يعد) التي أصلها (يؤعد)، لوقوعها بين ياء وكسرة أصلية. والتسكين كما في الفعل المعتل العين إذا سبق بصحيح ساكن فالفعل (يقوم) أصله (يقوم).^١

أما في باب الإبدال فقد اكتفى ابن الحاجب بالتمثيل ثم إطلاق الأحكام، دون أن يلجأ إلى التعليل، ويمكن بيان ذلك وفق الشكل الآتي^٢:

| المثال | الحكم |
|---|-------|
| الطاء من التاء كما في (اصطبر) | لازم |
| الصاد من السين كما في (أصبغ) | جانز |
| الزاي من الصاد كما في (زقر) | قليل |
| الياء من العين كما في (الضفادي) | ضعيف |
| الطاء من الضاد كما في (الطجع) | رديء |
| الهمزة من الألف المدية كما في (الدأبة) | شاذ |
| الجيم من الياء غير المشددة كما في (حجج) | أشد |

أما باب الإدغام فقد أوضح ابن الحاجب علتي الإدغام الرئيسيتين: (التمائل والتقارب)، بضرب الأمثلة وإطلاق الأحكام، فالتمائل كما في إدغام (في يوم) وحكمه هنا الوجوب؛ لسكون الأول وتحريك الثاني.

والتقارب كما في إدغام (فرطت) بإدغام الطاء في التاء والإتيان بطاء أخرى، وحكمه هنا الجواز. وقد يتقارب الحرفان ولا يحدث الإدغام، كما في (وتد) لعلتين: علة الثقل أولاً، وعلة أمن اللبس ثانياً.

وقد يدخل الإدغام الكلم لا لعللة التماثل ولا التقارب، وإنما لعلل أخرى، كما في إدغام النون في اللام والراء لعللة كراهة نبرتهما. وكما في إدغام النون في الميم مع عدم تقاربهما، وإنما لعللة الشبه، فكلاهما به غنة. وكما في إدغام النون في الواو والياء مع عدم تقاربهما لإمكان بقائهما.

ومن هنا دخل ابن الحاجب لبيان مخارج أصوات اللغة العربية وهي لديه كما لدى ابن جني تماماً، وما افترق به عنه أنه لم يذكر مخرج النون الخفيفة صراحة، فقد عدّه معروفاً بتسميته المخرج المتفرع الواضح. كما ذكر صفات أصوات اللغة العربية من جهر وهمس وشدة ورخاوة وغيرها من الصفات التي ذكرها سابقه، ومما تميز به فيما يخص التعليل الصوتي، عدم اكتفائه بعللة تسمية أصوات الذلاقة التي أخبر عن جمعها في جملة (مُر بنفل) بالسهولة، وإنما قدّم تعليلاً صوتياً أكثر قوة، يتمثل بأنها الأحرف التي لا تنفك عن رباعي أو خماسي.^٣

^١ انظر: ابن الحاجب: الشافية في علم التصريف، المصدر السابق، ص ٩٤ - ١٠٣.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ١٠٩ - ١١٩.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ص ١٢٠ - ١٣٠.

- **المبحث الثاني: التعليل الصوتي في كُتُب بعض علماء التّجويد**
- **المطلب الأول: التعليل الصوتي في كتاب الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ).**
- **المطلب الثاني: التعليل الصوتي في كتاب التّحديد في الإتيان والتّجويد لأبي عمرو عثمان الدّاني (ت ٤٤٤هـ).**
- **المطلب الثالث: التعليل الصوتي في كتاب الموضّح في التّجويد لعبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦١هـ).**
- **المطلب الرّابع: التعليل الصوتي في كتاب التّمهيد في علم التّجويد لابن الجزري (٨٣٣هـ).**

• المبحث الثاني: التعليل الصوتي في بعض كتب علماء التجويد

لأصوات اللغة العربية في علم التجويد دراساتٌ جادةٌ، هدفها حُسن قراءة الصّوت القرآني وتجويده. ولعلّ منبع هذه الدراسة الجادة أت من المشكلات الصوتية التي يلمسها أهل القرآن الكريم وخاصّته في واقع الأمة الإسلاميّة التّالية لكتاب الله عزّ وجلّ. وحتى يضبط علماء التجويد أحكام القرآن الكريم الصوتية، فإنّهم عمدوا إلى الفكر الصوتي اللّغوي في التّراث العربي، وجعلوه منبعهم في الأخذ.

ومن هنا فإنّ العلاقة بين علم الأصوات في اللغة العربيّة وعلم التجويد، توسم بالعلاقة التكامليّة، وذلك أنّ كليهما يهتم بالصّوت العربي من حيث مخرجه وصفاته وما يتعلّق به من أحكام في التّركيب، كالإدغام والإبدال والتّفخيم والتّرقيق وغيرها. ويمكن التّمييز بينهما من خلال الفروقات الآتية:

١- مكان الدّراسة: حيث إنّ علم التجويد يُدرّس ويُدرّس في أقسام العلوم الإسلاميّة، وعلم الأصوات يُدرّس ويُدرّس في أقسام الدّراسات اللّغوية.

٢- مجال الدّراسة: حيث إنّ علم الأصوات يُعنى بالصّوت العربي باللّغة العربيّة بشكل عام. وأما علم التجويد فيُعنى بالدّرس الصوتي المتعلّق بأحكام إحكام تلاوة القرآن الكريم وتجويده بشكل خاص.

وليس أدلّ على العلاقة بينهما من التناول المشترك بينهما لعلم القراءات القرآنيّة. كما أنّ النّاطر في كُتب التجويد المتقدمة والحديثة، يلحظ مدى اعتماد علماء التجويد على علماء اللغة العربيّة، فإذا كان الفراهيدي قد قدّم الدّرس الصوتي لغايته المعجميّة، وسيبويه ومن تبعه لغاية درس الإدغام، وابن جني لغاية الدّرس الصوتي العربي المُتخصص، فإنّ علماء التجويد قدّموا الدّرس الصوتي لغاية معالجة اللّحن بثبقيّه: (الجلي والخفي).

وترى الباحثة من خلال تتبّع بعض المصنّفات الخاصّة بعلم التجويد، أنّ القرن الخامس الهجري نال نصيباً مميّزاً من هذا العلم. ولعلّ استقلاله المتأخّر في مصنّفات ضخمة إلى القرن الخامس الهجري يُعزى إلى الاكتفاء الذي كان معقوداً على جهود علماء اللّغة العربيّة. ومن هنا ارتأت الباحثة سبر أبرز أربعة مصنّفات في علم التجويد، ثلاثة منها تعود إلى القرن الخامس الهجري، أما الرابع فيعود إلى القرن التاسع الهجري، حيث ابن الجزري في كتابه التمهيد في علم التجويد، لبيان ماذا أضاف اللاحق على السابق على مر الزمان، وذلك بغية التّعريف على حال التعليل الصوتي وحقيقته في بعض كتب علم التجويد.

المطلب الأوّل: التعليل الصوتي في كتاب الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ)

يرى مكي بن أبي طالب القيسي أنّ المادّة الصوتيّة هي عماد التّجويد والتّلاوة، ويظهر ذلك جليّاً في تنمة عنوان المصنّف الذي بين يدي الدّراسة: "الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها وتفسير معانيها وتعليلها وبيان الحركات التي تلزمها"^١.

وقد عرّف صاحب الرّعاية التّجويد كما اصطلح عليه القراء بفكر صوتي، من حيث أنّه: إعطاء كل حرف حقه ومستحقه من مخرجه وصفته اللّازمة له من همس وجهر وشدّة ورخاوة ونحوها^٢. وقد تميّز هذا الكتاب بتركيزه على مواطن الاتّفاق بين القراء في القراءة دون التركيز على مواطن الاختلاف بينهم؛ لعلّة أنّ اختلاف القراءة يُبقي للصوت حقه ومستحقه^٣.

كما تظهر رعاية مكي بن أبي طالب القيسي للعلّة ودورها في الدرس الصوتي، حيث أخبر أنّ التغيرات النطقية للصوت الواحد، تعرض بسبب علل سيتحدث عنها مع كل فصل^٤.

أما عن عدد أصوات اللغة العربية في الرّعاية، فهي تسعة وعشرون صوتاً، وقد تابع صاحب الرّعاية ابن جني في علة تسمية الحروف باسم الحروف^٥.

ومن التعليلات الصوتية التي قدمها صاحب الرّعاية، علة الثقل فيما يتعلّق بالصّور المستعارة للهمزة، مرة من الألف ومرة من الواو ومرة من الياء، على الرغم من أن لكل صوت من أصوات اللغة العربية صورته الخاصة، وذلك لعلّة الثقل، ولأنّ الهمزة ثقيلة تصرف بها العرب ما لم تتصرفه في غيرها من الأصوات^٦.

وكما علل صاحب الرّعاية استعارة الألف والواو والياء لتكون صوراً للهمزة، دون غيرها من الحروف، بعلّة التّأخي. وبيّن ذلك بعلتين^٧:

١- علة الجنس: أن المستعار للهمزة يجب أن يكون من جنس حركة ما قبلها، فالضمة واو، والكسرة ياء، والفتحة ألف.

٢- علة التبادل: الأخذ والرد بين هذه الأصوات والهمزة متبادل، فالياء تبدل همزة، كما في (شفاء) التي أصلها (شفاي)، والواو تبدل همزة كما في (كساء) التي أصلها (كساو) وغيرها من الأمثلة.

^١ القيسي، مكي بن أبي طالب: الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار عمار، ط٦، الأردن، ٢٠١١م، الغلاف.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص٢٢.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ص٢٥.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ص٥١.

^٥ انظر: المصدر نفسه، ص٩٣-٩٤.

^٦ انظر: المصدر نفسه، ص٩٥.

^٧ انظر: المصدر نفسه، ص٩٦.

ومما ذكره صاحب الرعاية في باب (ما تضمنه كلام العرب وعمله) أنّ الصوت المتحرك في اللغة العربية أكثر من الصوت الساكن، وذلك لعنتين^١:

١- علة الابتداء: أنك تبدأ الكلام بالمتحرك، ولا يجوز أن تبدأ الكلام بالساكن.

٢- علة الاتصال: وذلك أنه يجوز اتصال المتحرك بمتحرك، ولا يجوز اتصال الساكن بساكن.

ويرتبط به الباب الذي يعرض فيه صاحب الرعاية لمسألة أيهما يسبق الآخر، الصائت يسبق الصامت أم الصامت يسبق الصائت، فقد ذكر اختلاف النحويين في هذه المسألة على ثلاثة فرق، مبيّنًا علل كل فريق، على النحو الآتي^٢:

| الفرق | العلل التي قدّمها |
|---|--|
| الفريق الذي يرى الصوامت قبل الصوائت | ١- الصامت يسكن ويخلو من الصائت ثم يتحرك، فالصائت ثانيًا أبدًا. ٢- الصامت يقوم بنفسه ولكن الصائت لا يقوم بنفسه. ٣- من الصوامت ما لا يدخله صائت أبدًا نحو الألف ^٣ . |
| الفريق الذي يرى الصوائت قبل الصوامت | الصوائت إذا أشبعت تولدت منها الصوامت، وما انشق عنه شيء يكون هو الأصل. |
| الفريق الذي يرى أنّ الصوامت والصوائت لم يسبق أحدهما الآخر في الاستعمال، فهما كالجسم (الصامت) والعرض (الصائت). وهو الرأي الذي وافقه وعلله صاحب الرعاية، مع عدم اعتداده بتشبيه الصامت والصائت بالجسم والعرض | ١- الكلام الذي غايته الإفهام مبني من الصوامت، والصوامت في بداية الكلام لا بد أن تكون متحركة، وبالتالي فإنّ ضرورة وجود الصائت مع الصامت دليل على عدم تقدم أحدهما عن الآخر. ٢- كما أن الصوامت تبيّن المعاني التي في نفس المتكلم واختلافها يغير الفهم، كذلك الصوائت فإن باختلافها يتغير المعنى ويتغير الفهم. |

ويمكن إعادة أسباب هذا الاختلاف إلى ما يأتي:

١- عدم وجود رسم للصوائت يُكافئ رسم الصوامت في ألفبائية اللغة العربية كما في بعض اللغات الغربية.

٢- الاعتداد بصوائت الإعراب يغلب على الاعتداد بصوائت البناء، بشكل عام.

^١ انظر: القيسي، مكي بن أبي طالب: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، المصدر السابق، ص ٩٧.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ٩٨ - ١٠٢.

^٣ الألف لدى المتقدمين صوت مد ساكن لا يُحرّك أبدًا، وهو لدى المحدثين فتحة طويلة.

ومما علله صاحب الرعاية في كتابه، علة عدّ الصوائت أبعاض أصوات المد واللين، وذلك بالعلل الآتية^١:

١- علة التقدم: وذلك أن الصوائت تأتي قبل الصوائت وتقوم بنفسها، أما الصوائت فلا يجوز لها أن تتقدم، فكيف لها أن تقوم بنفسها.

٢- علة الإعراب: العرب عندما أعربت التثنية والجمع والأسماء الستة المضافة أعربت بالـصوائت التي أخذت منها الصوائت.

٣- علة الإشباع: الصوائت إذا أشبعت حدثت منها هذه الأصوات الثلاثة.

٤- علة الاستغناء: وذلك أن من العرب من استغنى بالضمّة عن الواو، وبالكسرة عن الياء، وبالفتح عن الألف. وذلك على النحو الآتي:

| المستغنى عنه | المستغنى به | المثال |
|--------------|-------------|--|
| الألف | الفتحة | (أَنَّ في الدار) في (أنا في الدار) |
| الواو | الضمّة | (هَذَا زَيْدٌ) في (هَذَا هُوَ زَيْدٌ) وكما في (كَانَ) في (كَانُوا) |
| الياء | الكسرة | (إِذْهِ) في (إِذْهِ) |

وقد أفرد صاحب الرعاية باباً للأصوات الستة التي زيدت على أصوات اللغة العربية التسعة والعشرين في كلام العرب، مع التعليل. ومما علله في هذا الباب، التعليل الذي قدمه للصاد التي يخالطها صوت الزاي لقرب المخرج والاشتراك بصفة الصفير، وكما علل القلب الذي يحدث بين (الصراط) و(السرّاط) و(الزراط) والأصل السرّاط بالسّين، بقوة الصفات وضعفها، وذلك على النحو الآتي:

| الصوت | من صفاته |
|--------|---------------------------|
| السّين | الهمس - الانفتاح - الصفير |
| الصاد | الجهر - الإطباق - الصفير |
| الزاي | الجهر - الانفتاح - الصفير |

الهمس = ضعف / الجهر = قوة
الانفتاح = ضعف / الإطباق = قوة
الصفير = قوة

^١ انظر: القيسي، مكي بن أبي طالب: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، المصدر السابق، ص ١٠٣-١٠٦.

ولدى تصنيف هذه الصفات ما بين القوة والضعف، تبينت علة المجيء بصوت الزاي، في (الزراط) ليكون وسطاً بين السين والصاد في القوة والضعف. وعلة تغلب الصاد على السين في (الصراط) لضعف السين أمام الصاد.^١

وذكر صاحب الرعاية في كتابه لأصوات اللغة العربية أربعة وأربعين لقباً للأصوات العربية، في أربعة وأربعين باباً، منها أربعة وثلاثون لقباً تدل على معنى وفائدة في الصوت، ومنها عشرة ألقاب للفرايدي مشتقة من المواضع التي تخرج منها (الحلقية، اللهوية، الشجرية، الأسلية، النطعية، اللثوية، الذلقية، الشفهية، الجوفية، الهوائية). وقد امتاز في تعداد به التعليل وافترق إلى التمثيل إلا قليلاً. أما الأربعة والثلاثون فهي على النحو الآتي:^٢

| اللقب | أصواته | علة التسمية لديه |
|----------------------|-----------------------------|---|
| المهموسة | ستشحتك خصفه | جريان النفس عند النطق بها لضعفها وضعف الاعتماد عليها عند خروجها |
| المجهورة | جميع الحروف ما عدا المهموسة | منع النفس أن يجري معها عند النطق بها لقوتها وقوة الاعتماد عليها عند خروجها |
| الشديدة | أجدك قطبت | امتناع الصوت أن يجري معها لاشتدادها في موضع خروجها |
| الرخوة | تخذ طغش زحف صه ضس | ضعف الاعتماد عليها في موضعها عند النطق بها، ولجريان النفس والصوت معها، وهي ضد الشديدة |
| الزوائد | سألتمونيها | لا تقع في كلام العرب أصوات زائدة إلا من هذه العشرة |
| المذبذبة | أحرف سألتمونيها إلا الألف | تقع مرة زائدة ومرة أصول (لا تستقر على حال) |
| الأصلية | ما عدا الحروف الزوائد | تقع أصولاً في الكلم |
| الإبدال ^٣ | طال يوم أنجده | تبدل من غيرها |
| الإطباق | ط، ظ، ص، ض | انحصار الهواء بين اللسان والحنك الأعلى |
| المنفتحة | ما عدا حروف الإطباق | عدم انطباق اللسان مع الهواء إلى الحنك الأعلى |
| الاستعلاء | أحرف الإطباق + غ، خ، ق | ارتفاع الصوت بالريح عند النطق في مخرجه |
| المستقلة | ما عدا حروف الاستعلاء | انخفاض اللسان عند النطق |

^١ انظر: القيسي، مكي بن أبي طالب: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، المصدر السابق، ص ١٠٩ - ١١٠.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ١١٥ - ١٤٢.

^٣ يقال: هذا أمر لازم وهذا أمر لازب، بإبدال أحدهما من الآخر، فالميم بدل الباء، وليست الباء بدل الميم؛ لأن الباء ليست من أصوات الإبدال. والبديل موقوف على السماع ليس لأحد أن يبديل متى شاء. انظر: المصدر نفسه، ص ١٢٢.

| | | |
|--|--|------------------------|
| بها إلى قاع الفم | | |
| صوت يخرج معها عند النطق بها يشبه الصفير | ز س ص | الصفير |
| ظهور صوت يشبه النبرة عند الوقوف عليهن، وإرادة إتمام النطق بهن | جد بطق | القلقلة ويقال: اللقلقة |
| مد الصوت فيهن ولأنهن يخرجن في لين من غير كلفة | الألف، والواو الساكنة التي قبلها ضمة، والياء الساكنة التي قبلها كسرة | المد واللين |
| يخرجان في لين وقلة كلفة على اللسان | الواو الساكنة التي قبلها فتحة، والياء الساكنة التي قبلها فتحة | اللين |
| عدم اعتماد اللسان عند النطق بهما على موضع | حروف المد واللين | الهوائية |
| تخفى في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها | الهاء، وحروف المد واللين | الخفية |
| التغيير والعلة والانقلاب لا يكون إلا في أحدها | الهمزة وحروف المد واللين | العلة |
| انطباق الصوت بها بالريح من الحنك | حروف الإطباق المذكورة | التفخيم |
| النحو نحو الياء أو الكسرة | الألف، الراء، هاء التأنيث | الإمالة |
| مخالطتها غيرها من الحروف | الحروف الستة التي زادت بها العرب على التسعة وعشرين حرفاً | المشربة |
| ارتعاد اللسان عند النطق به | الراء | المكرر |
| صوت يخرج من الخياشيم عند النطق بهما يسمى بالغنة | النون والميم | الغنة |
| انحرافهما عن مخرجهما إلى مخرج غيرهما، وعن صفتها إلى صفة غيرهما | اللام والراء | الانحراف |
| الصوت يعلو بها عند نطقها، ولعلوها أجازت العرب التخفيف والبدل والحذف وبين بين وإلقاء حركتها | الهمزة | الجرسي |
| استطالته عند النطق به حتى اتصل بمخرج اللام | الضاد | المستطيل |
| كثرة خروج الريح عند النطق بها وتسمى المخالط لمخالطتها ما يتصل بها من طرف اللسان | الشين (من العلماء من ذكر الثاء والضاد من حروف التفشي) | المتفشي أو المُخالط |
| من ذلق اللسان وهو طرفه، ولأنها أخف الحروف على اللسان | فر من لب | المذلقة |

| | | |
|----------|------------------------------|--|
| المصمتة | ما عدا الحروف المذلقة | عدم انفرادها بنفسها في كلمة كثيرة الحروف |
| الصُّمُّ | التي ليست من أحرف الحلق | تمكنها في خروجها من الفم واستحكامها فيه |
| المهتوف | الهمزة | خروجها من الصدر كالتهوع، فتحتاج إلى ظهور صوت شديد، والهتف هو الصوت |
| الراجع | الميم الساكنة والنون الساكنة | ترجع في مخرجها إلى الخياشيم |
| المتصل | الواو | تهوي في مخرجها في الفم حتى تتصل بمخرج الألف |

ومن التعليقات الصوتية لدى صاحب الرعاية، ما جاء في باب: (بيان أحكام النون الساكنة والتنوين)، ومنها ما يأتي^١:

١- بيان علة إظهار النون الساكنة والتنوين إذا جاء بعدها أحد أصوات الحلق، لبعد المخرج. والإدغام يكون في المتقارب، فلما بعدت وتباينت وجب الإظهار. واللاظهار يكون في كلمتين كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾^٢، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^٣، وقوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^٤، وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾^٥، ويكون في كلمة، كما في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^٦، وقوله تعالى: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾^٧، وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾^٨، وقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾^٩.

^١ انظر: القيسي، مكي بن أبي طالب: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، المصدر السابق، ص ٢٦٢ - ٢٦٧.

^٢ سورة القصص: ٧١.

^٣ سورة الزمر: ٢٣.

^٤ سورة فاطر: ٣.

^٥ سورة العلق: ٢.

^٦ سورة الفاتحة: ٧.

^٧ سورة الإسراء: ٥١.

^٨ سورة المائدة: ٣.

^٩ سورة الكوثر: ٢.

٢- بيان علة إدغام النون الساكنة والتنوين إدغاما كاملا في الراء واللام مع ذهاب الغنة، وذلك لعدة قرب المخرج، وذهاب الإدغام لأن حق الإدغام ذهاب لفظ الصوت الأول بكليته، والإدغام يكون في المتماثلين. أما إذا وقعت النون الساكنة قبل الراء واللام فحقها الإظهار لعدة أمن اللبس، وذلك خوف الالتباس المضاعف. كما في قوله تعالى: ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾^١، وقوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾^٢.

٣- بيان علة إدغام النون الساكنة في النون وفي الميم، لاجتماع المثليين وللتشارك في الغنة. كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾^٣، وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ ﴾^٤.

٤- بيان علة إدغام النون الساكنة والتنوين في الياء والواو لعدة المشابهة، فالغنة التي في النون، أشبهت المد واللين اللذين في الياء. كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾^٥، وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾^٦.

٥- بيان علة انقلاب النون الساكنة والتنوين ميمًا إذا لقينا الباء، لعدة تأخي الميم مع الباء في المخرج والجهر والشدة^٧، ولما لم يكن الإدغام بين النون والياء لبعده المخرجين، أبدلت النون ميمًا. كما في قوله تعالى: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾^٨، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^٩، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنثِيَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾^{١٠}.

٦- بيان علة الإخفاء في النون الساكنة والتنوين مع حروف الإخفاء، لعدة أن النون لها مخرجان: مخرج لها، ومخرج لغنتها، فاتسعت بالمخرج، فأحاطت عند اتساعها بحروف الفم

^١ سورة الكهف: ٢.

^٢ سورة البقرة: ٣٧.

^٣ سورة النور: ٤٠.

^٤ سورة النور: ٤٥.

^٥ سورة الرعد: ١١.

^٦ سورة الزلزلة: ٧.

^٧ لم يعد القيسي صوت الميم من الأصوات الشديدة لدى بيانه لصفات أصوات اللغة العربية، وربما كان يقصد بالشدة في هذا الموضع ما يحصل للشفتين من انطباق تام حال نطق صوت الميم.

^٨ سورة الحاقة: ٢٤.

^٩ سورة النمل: ٨.

^{١٠} سورة البقرة: ٣٣.

فشاركتها بالإحاطة فخفيت عندها. كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ
 وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ^١﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا
 ﴿٢٩﴾^٢﴾، وقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ^٣﴾.

^١ سورة الكهف: ٢٩.
^٢ سورة مريم: ٢٩.
^٣ سورة الإسراء: ٤٤.

- المطلب الثاني: التعليل الصوتي في كتاب التّحديد في الإِتقان والتّجويد لأبي عمرو عثمان الدّاني (ت ٤٤٤هـ)

درس أبو عمرو عثمان الداني في كتابه التّحديد في الإِتقان والتّجويد، مخارج أصوات اللغة العربية وصفاتها وما يتعلق بها من أحكام صوتية في التركيب، وأما فيما يخص التّعليل الصّوتي فقد علّل الداني في بداية مصنفه الداعي الذي دفعه لإيجاد مثل هذا المصنف، وهو رؤيته إهمال القراء والمقرئين لتجويد التلاوة وتحقيق القراءة في عصره^١.

وأما تعليل الإشمام لدى الداني "الإشارة بالشفنتين على هيئة من ينطق بالضمّة دون صوت بُعيد تسكين الحرف الموقوف عليه"^٢ فلعلّة بيان أصل حركة الصائت التي زالت بسبب الوقف، ويختص الإشمام بالرفع والضم لأنهما من الواو، والواو من الشفتين وفيهما تعالج^٣.

كما علّل الداني علة تسمية المد الطبيعي بالمقصور، وذلك لأنه قصر عن الهمزة الموجبة للزيادة في الإشباع لعلتين في الهمزة: علة الخفاء، وعلة الشدة^٤.

أما فيما يخص عدد أصوات اللغة العربية ومخارجها وصفاتها، فقد ذكر الداني أن معرفتها قطب التجويد وملاك التحقيق. وأخبر صراحة اعتماده مذهب سيبويه الذي يراه هو الصحيح في عدد أصوات اللغة العربية التسعة والعشرين، وفي مخارج اللغة العربية الستة عشر وبنفس الترتيب. حتى أنه تبع سيبويه في طريقة معرفة مخرج الصوت وموضعه، بتسكينه وإدخال همزة الوصل عليه (أ، اب، اتّ...)، ولم يأت بجديد يمتاز به عن سابقه فيما يخص صفات أصوات اللغة العربية^٥.

وقد علّل الداني علة عدم إدغام أصوات (لم يرو) إذا سبقت بنون ساكنة، بعلّة أمن اللبس، أي مخافة أن يشتبه ذلك إذا أدغم بالمضاعف الذي على مثاله. نحو: (صنّوان) و (صنّان). و(بنيّانه) و (بيّانه)^٦.

كما علّل الداني الإخفاء الذي يحدث للنون الساكنة والتنوين مع أصوات الإخفاء المجموعة في أوائل بيت:

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما دم طيباً زد في تقى ضع ظالماً

بأنّ بُعدَ مخرج هذه الأصوات عن مخرج النون لا يشبه البعد الذي بين أصوات الإظهار، وكذلك القرب الذي بينها لا يشبه القرب الذي بين أصوات الإدغام، فهي حروف لا مظهرة ولا مدغمة، مع بقاء الغنة، فكان الإخفاء الحل الأمثل لمعالجتها^٧.

^١ انظر: الداني: عثمان بن سعيد، التّحديد في الإِتقان والتّجويد، المصدر السابق، ص ٦٧.

^٢ شكري، أحمد خالد وآخرون: المنبر في أحكام التجويد، المرجع السابق، ص ١٩٥.

^٣ انظر: الداني: عثمان بن سعيد، التّحديد في الإِتقان والتّجويد، المصدر السابق، ص ٩٥.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ص ٩٧.

^٥ انظر: المصدر نفسه، ص ١٠١ - ١٠٣.

^٦ انظر: المصدر نفسه، ص ١٠١ - ١٠٣.

وقد ذكر الداني علة اللحن الخفي الذي يقع من بعض قرآء القرآن الكريم، مثل من يقرأ: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾^٢ بالنون بدلاً من الميم (قَمْطَرِيرًا)، وذلك لعدة الشبه بينهما بالغنة، فاشتبهت على سمع القارئ فأخطأ في قراءتها، يريد بذلك عدة الوضوح السمعي بين الميم والنون^٣.

ومن الأخطاء التي أوردتها الداني ويقع بها بعض قرآء القرآن الكريم، عدم تمييزهم بين ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أُوتِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحُدَيْدُ﴾^٤ و﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجَبِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾^٥ ففي الأولى إدغام مماثلة، وفي الثانية انعدام لإدغام التماثل، وتعليل ذلك أن لام الفعل في (النَّارُ) نون (لان)، ولام الفعل في (أَسَلْنَا) لام (سال). فلما اتصلت نون لام الفعل (لان) بالضمير (نا) سكنت تخفيفاً، وسقطت الألف لعدة التقاء الساكنين وإدغام النون في النون لعدة التماثل، وعدم الإدغام في (أَسَلْنَا) لعدم تحقق التماثل، ولكون سكون اللام عارضاً^٦.

^١ انظر: الداني: عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد، المصدر السابق، ص ١١٣.

^٢ سورة الإنسان: ١٠.

^٣ انظر: الداني: عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد، المصدر السابق، ص ١١٥.

^٤ سورة سبأ: ١٠.

^٥ سورة سبأ: ١٢.

^٦ انظر: الداني: عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد، المصدر السابق، ص ١١٥.

- المطلب الثالث: التعليل الصوتي في كتاب الموضح في التجويد لعبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦١هـ)

يُظهر كتاب الموضح في التجويد لعبد الوهاب القرطبي الذي عدّه غانم قدوري الحمد أنفس كتب علم التجويد بالدراسات الصوتية العربية القديمة^١ بياناً للدّاعي من كتابة هذا المؤلف، والمتمثل في رؤية القرطبي قرآنة زمانه قد أغفلوا إصلاح ألفاظهم من شوائب اللّحن الخفي، حتى صار اللّحن مُتمكّنًا من غريزتهم^٢.

فقد بيّن القرطبي علة نقط الحروف، والمتمثلة بالحاجة إلى نقط المصاحف مع اتّساع ممالك العرب، وتمازجهم مع غيرهم من الأمصار، مما أدّى إلى ظهور الفساد في اللّغة، ذلك الفساد الذي وصفه أنه أعلق بالطّبع من الصّواب، فكان النّقط لتصحيح النّطق^٣.

وكان مما اعتنى به القرطبي بيانه علة دراسة اللّحن الخفي (الخلل الطّارئ على مخارج الصّوت وصفاته)، والمتمثل في تحصيل الفصاحة. وميّز في هذا النّطاق بتعليل صوتي الفرق بين الفصاحة والبلاغة، وأنهما ليسا توأمين كم ظنّ البعض، فالبلاغة قد توجد وإن فقدت الفصاحة، وكذلك الفصاحة قد توجد مع عدم البلاغة، وتعليل ذلك على النّحو الآتي^٤:

| الاختصاص | الغاية | الأساس | اللغة | الحقيقة |
|----------|--|--|--|---|
| النطق | إيصال اللفظ إلى السمع في أحسن صورة من النطق | مخارج الأصوات من مواضعها وأحوازها وتحقيق صفاتها على كمال اللفظ | العرب تقول أفصح الأعجمي إذا صلح نطقه | القرآء متفاوتون بفصاحتهم في قراءة القرآن الكريم |
| المعنى | إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ | الإيجاز والتشبيه والاستعارة والجناس والكناية وغيرها | العرب تقول صار فلان بليغاً إذا أحسن تأليف الكلام | القرآن باتفاق في الطبقة العليا من البلاغة |

^١ انظر: القرطبي، عبد الوهاب بن محمد: الموضح في التجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، ط١، الأردن، ٢٠٠٠م، ص٥.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص٥٣ - ٥٤.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ص٦٣.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ص٦٦ - ٦٨.

كما بيّن القرطبي علة ضرورة ضبط الصوت المنطوق في مخارجه وصفاته وكل ما يتعلق به بما يأتي^١:

- ١- ضبط الصوت يجمع الأسماع النافرة على الإصغاء إليه.
- ٢- سرعة وصول المعاني إلى الأفهام من غير مقارعة للفكر ولا احتمال مشقة.
- ٣- بلوغ المنزلة العالية الرفيعة، مع السفارة الكرام البررة يوم القيامة، حين يكون الصوت المنطوق هو كلام الله تعالى.

وقد استوعب القرطبي كل ما اتفق عليه علماء اللغة المتقدمون من عدد أصوات اللغة العربية الصحيحة والمستحسنة وغير المستحسنة، وعدد المخارج وتقسيمها، وصفات الأصوات، في بسط لها، ومن التعليقات التي تذكر للقرطبي هنا، علة صعوبة الإتيان بالضاد الضعيفة من الجانب الأيمن من حافة اللسان، وسهولتها من الجانب الأيسر، وذلك لأن الجانب الأيمن قد اعتاد الضاد الصحيحة، وإخراج الضعيفة من موضع قد اعتاد الصحيحة أصعب من إخراجها من موضع لم يعتد الصحيحة^٢.

وتعليه جعل العرب الشين التي كالجيم من الحروف المستحسنة، وجعلهم الجيم التي كالشين من الحروف غير المستحسنة، وذلك لأن الشين التي كالجيم في الأشدق ونحوه إنما قربت من الجيم بسبب الدال، لما بين الجيم والدال من الموافقة في الشدة والجهر، وكرامة اجتماع الشين والدال لما بينهما من التباين، أما الجيم التي قبل الدال (الأجدر) والجيم التي قبل التاء (اجتمعوا)، فليس بين الجيم والدال، وبين الجيم والتاء من التنافر والتباعد ما بين الشين والدال^٣.

كما علل القرطبي طبيعة العلاقة بين الباء والميم، حيث تجمعهما علة الشبه، وذلك لاجتماعهما في الشدة والجهر مع انطباق الشفتين بهما^٤.

وبيّن القرطبي أن علة الترقيق والتفخيم هي علة إرادة المناسبة بين الأصوات، وأصله للألف، على أن التفخيم قد يكون من أصل صفات الأصوات لا لعدة إرادة المناسبة.

وعلّل اختصاص الراء واللام بالترقيق والتفخيم دون غيرهما من الأصوات بعلّة الشبه بينهما وبين الألف، أما اللام فإنه انحرف واستطال حتى خالط أكثر الأصوات، ولهذا جعل علماً للتعريف فأشبهه الألف بذلك، وأما الراء فإنه استطال بالترقيق واتسع حتى اعتد في الإمالة بمنزلة صوتين فتشابه الألف بذلك أيضاً^٥. وأخبر القرطبي أن الترقيق للام هو الأصل، والتفخيم هو الفرع، لعدة الكثرة، أي كثرة ورودها مرقة، مقارنة مع المفخمة التي أسماها المغظة^٦.

^١ انظر: القرطبي، عبد الوهاب بن محمد: الموضح في التجويد، المصدر السابق، ص ٦٨ - ٧٠.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ٨٤ - ٨٥.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ص ٨٦.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ص ١٠١.

^٥ انظر: المصدر نفسه، ص ١١٠.

^٦ انظر: المصدر نفسه، ص ١١٩.

كما علل ضرورة مراعاة صفات الأصوات فيما يتشابه من الألفاظ لعلة أمن اللبس، كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾^١ بالضاد لا بالظاء، وقوله تعالى: " ﴿فَدَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرَهَا حُسْرًا﴾^٢ بالذال لا بالظاء، لافتراقهما في المعنى^٣. وعلل ضرورة إيجاد الهاء وإظهارها للسمع، لعلة الخفاء التي تتميز به، فالخفاء يغلب على الهاء سواء كانت ساكنة أو متحركة نظراً لأنها مهموسة ضعيفة، وقد استدل القرطبي على ضعفها، بزيادة الواو فيها إذا ضُمَّت، والياء فيها إذا كسرت، كقولك: ضربتُوهو، ومررتُ بهي^٤.



وقد قسم القرطبي تأليف كلام العرب إلى متعذر وممكن، فالمتعذر مثل البدء بالساكن والجمع بين الساكنين في غير الوقف، وأما الممكن فمنه المنبوذ المستكره ومنه المستحسن المستعمل، والمستحسن المستعمل ما بنت العرب كلامها عليه، وأما المستكره فمثل توالي أربع متحركات في كلمة واحدة، مثل: (هُدَيْدٌ)^٥ وأما عن علة عدّه مستكرهاً منبوذاً فليعلل الاستئصال^٦.



وقد أعطى القرطبي للمدّ عللاً متنوعةً يفرضها الحال، وذلك على النحو الآتي:

١- وجوب المد إذا كان بعد حرف المد همزة، والهمزة وأحرف المد ضدان، لعلة المناسبة، لنلا ينتقل اللسان من الأخر إلى الأثقل دفعة واحدة، وإرادة لبيان الهمزة وتحقيق مخرجها. وليس الأمر كذلك في صوتي

^١ سورة التوبة: ١١٨.

^٢ سورة الطلاق: ٩.

^٣ انظر: القرطبي، عبد الوهاب بن محمد: الموضح في التجويد، المصدر السابق، ص ١١٤.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ص ١٢٢ - ١٢٣.

^٥ الهمزة والهمزة اللين الخاثر جداً ولين هُدَيْدٌ وَفَدَيْدٌ وهو الحامض الخاثر وهو أيضاً عَمَشٌ يكون في العينين وقيل الهمزة الخَفَشُ وقيل هو ضعف البصر ورجل هُدَيْدٌ ضعيف البصر وبغينه هُدَيْدٌ أي عَمَشٌ. ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ٦/ ٤٦٣٠.

^٦ انظر: القرطبي، عبد الوهاب بن محمد: الموضح في التجويد، المصدر السابق، ص ١٢٧.

اللين، فإنهما لا يمدان إذا عقبتهما الهمزة؛ لأن اللسان ينبسط بهما، للفتح قبلهما، فيثقلان ولا تخفيان خفاء أحرف المد^١.

٢- وجوب المد إذا كان بعد أحرف المد ساكن مظهر أو مدغم، لعلّة التقاء الساكنين، واختيار المد؛ لأن الممدود نظير المتحرك، ووجه النظير فاصل المدة الزمنية، حيث إن زمان النطق بالممدود أطول من زمان النطق بالساكن، وزمان النطق بالمتحرك أطول من زمان النطق بالساكن^٢.

٣- جعل المد في حروف المد إذا كان الساكن بعده وسطاً كما في قوله تعالى: ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾^٣ أتم منه إذا كان بعد حرف المد حرف ساكن يوقف عليه كما في قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^٤ وإن استويا في السبب لعلّة جواز التقاء الساكنين في الوقف^٥.

٤- تقصير المد إن كان هناك روم، لعلّة أن روم الحركة حركة، وإن ضعفت وزال معظمها، فخالفت الساكن في حاجته للمد^٦.

٥- إشباع المد في موضع ليس فيه مد، لأمن اللبس حتى لا يقع في الهمز ما يسرع إلى همزه لكونه على زنة المهموز، كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا ﴾^٧ حتى لا يُظنُّ أنها (ليأساً) بالهمزة^٨.

٦- وجوب مد الممدود من حروف الهجاء الواردة في أوائل سور القرآن الكريم لعلّة التقاء الساكنين^٩.

وقد قدّم القرطبي للتشديد عللاً متعدّدة على النحو الآتي:

١- التشديد الذي يكون لعلّة التماثل أو علّة التقارب، وعلّة التماثل والتقارب هي الاعتماد الواحد، حيث إنّ اعتماد آلة النطق على موضع وارتفاعها عنه وعودها إليه ثم ارتفاعها عنه مُستنتل يشبه مشي المُقَيَّد^{١٠}.

^١ انظر: القرطبي، عبد الوهاب بن محمد: الموضح في التجويد، المصدر السابق، ص ١٢٨ - ١٢٩.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ١٢٩.

^٣ سورة البقرة: ١٦٤.

^٤ سورة الفاتحة: ٥.

^٥ انظر: القرطبي، عبد الوهاب بن محمد: الموضح في التجويد، المصدر السابق، ص ١٣١ - ١٣٢.

^٦ انظر: المصدر نفسه، ص ١٣٢.

^٧ سورة النبأ: ١٠.

^٨ انظر: القرطبي، عبد الوهاب بن محمد: الموضح في التجويد، المصدر السابق، ص ١٣٣ - ١٣٤.

^٩ انظر: المصدر نفسه، ص ١٣٦ - ١٣٩.

^{١٠} انظر: المصدر نفسه، ص ١٣٩ - ١٤٠.

٢- الياء والواو إذا جاءتا مشددتين، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾^١، وقوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾^٢ ينبغي أن يكون التشديد فيه مع تحقيقه أقل من إظهار حرفين، لنلا يخرجان بالتشديد عن المد واللين ويتحيز مخرجهما، فتكون الواو من الشفتين والياء من الشجر، وبالتحيز يلتحقان بغيرهما من الأصوات الصحاح^٣.

٣- التشديد عقيب المد واجب، لأن المد إنما حدث من أجله، بتقدير النقاء الساكنين (صوت المد والصوت الأول من المثليين)، وعدم الإتيان بالتشديد يبطل المد حقه لزوال علة النقاء الساكنين^٤.

٤- تشديد الراء ينبغي أن يكون ببسر من غير زيادة وذلك لعدة التكرار التي في صوت الراء التي أعطته منزلة حرفين^٥.



كما علل القرطبي الإدغام الذي يحصل بين أصوات اللغة العربية بما يأتي:

١- الإدغام الذي في النون الساكنة والتنوين والأصوات التي جمعها في (ولنمير) لعدة تماثل النون مع نفسها، وتقاربها مع باقي الأصوات^٦.

٢- الإدغام للطاء الساكنة وبعدها تاء، لعدة التقارب في المخرج، كما في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾^٧ وقوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتَنِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ

اللَّهِ﴾^٨ فتدغم الطاء في التاء، مع بقاء شائبة من الطاء لمزية الإطباق^٩.

^١ سورة آل عمران: ٣٧.

^٢ سورة يوسف: ١٨.

^٣ انظر: القرطبي، عبد الوهاب بن محمد: الموضح في التجويد، المصدر السابق، ص ١٤٢.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ص ١٤٢ - ١٤٣.

^٥ انظر: المصدر نفسه، ص ١٤٣.

^٦ انظر: المصدر نفسه، ص ١٤٤ - ١٤٦.

^٧ سورة النمل: ٢٢.

^٨ سورة الزمر: ٥٦.

^٩ انظر: القرطبي، عبد الوهاب بن محمد: الموضح في التجويد، المصدر السابق، ص ١٤٩ - ١٥٠.

٣- الإدغام للقاف الساكنة وبعدها كاف، لعلّة التقارب في المخرج، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ

نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾^١ مع بقاء شائبة من القاف لمزية الجهر والقوة والقلقلة والاستعلاء.^٢

٤- الإدغام للّام الساكنة في ثلاثة عشر صوتاً، وهي ما عدا الأصوات المجموعة في جملة (ابغ حجك وخف عقيمه)^٣ لعلّة الكثرة والمخالطة.^٤

كما أوضح القرطبي أنّ علة الإظهار هي التباعد في المخرج، وعلّة الإخفاء هي التوسط بين التباعد والتقارب.^٥

وعلّة القلب هي تقارب الأصوات كما في علة قلب النون ميم إذا وليها باء، وذلك لعلّة التقارب، حيث لم يكن بين النون والباء مشابهة تجمعهما، فجاء صوت الميم وسطاً لأن مخرجه من الشفة وهو مخرج الباء، وبه غنة كما في النون.^٦

كما ذكر القرطبي ضرورة حسن التخلص من دخول شوائب الأصوات بعضها على بعض لعلّة القرب والمجاورة، وذلك على النحو الآتي:^٧

| التعليل | حُسْنُ التَّخْلُصِ | الشاهد القرآني | الحرف المجاور | الحرف المجاور |
|---|--|---|---------------------|---------------|
| فراراً من التشديد الذي يؤدي إلى اللحن | تخليص اللام الأولى من تفخيم اللام الثانية | "أَنْزَلَ اللَّهُ" ^٨ | اللام المفخمة | اللام المرققة |
| لئلاّ تصير صادًا بالقرب من حروف الإطباق. | تخليص السين من الإطباق | "فَمَا اسْطَاعُوا" ^٩ | حرف من حروف الإطباق | السين الساكنة |
| لئلاّ تصير الصاد سيناً، والطاء تاءً لفرار اللسان من إطباقين، لعلّة الثقل. | تصفية الصاد والجهر بالطاء مع إعطائهما حظهما من الإطباق | "اصْطَنَعْتَنَّاكَ لِنَفْسِي" ^{١٠} | الطاء | الصاد الساكنة |
| لئلاّ تصير الصاد زايًا، لأنّ الزاي أخت الصاد في الصغير، وأخت الدال في | إخلاص الإطباق للصاد | "وَمَنْ أَصْدَقُ" ^{١١} | الدال | الصاد الساكنة |

^١ سورة المرسلات: ٢٠.

^٢ انظر: القرطبي، عبد الوهاب بن محمد: الموضح في التجويد، المصدر السابق، ص ١٥٠.

^٣ هي جملة تعليمية غرضها تسهيل الحفظ، معناها: اطلب فريضة الحج، واحذر الحج العقيم الذي لا فائدة منه لما يدخله من الرفث والفسوق والجدال.

^٤ انظر: القرطبي، عبد الوهاب بن محمد: الموضح في التجويد، المصدر السابق، ص ١٥١.

^٥ انظر: المصدر نفسه، ص ١٥٧.

^٦ انظر: المصدر نفسه، ص ١٧٤ - ١٧٥.

^٧ انظر: المصدر نفسه، ص ١٧٦ - ١٩٠.

^٨ سورة البقرة: ٩١.

^٩ سورة الكهف: ٩٧.

^{١٠} سورة طه: ٤١.

^{١١} سورة النساء: ٨٧.

| | | | | |
|---|--|---|-------------------|---------------|
| الجهر | | | | |
| لئلاً تنجذب الدال إلى الهمس فتصير تاء | إظهار جهر الدال | "يَدْخُلُونَ" ^١ | الخاء | الدال الساكنة |
| لئلاً تنقلب الدال ظاء، ولئلاً ترق الراء، بتأثير إحداهما على الآخر | بيان الدال ولفظها رقيقة، وتفخيم الراء | "نَدَرَ مَا كَانَ" ^٢ | الراء المفخمة | الدال |
| لئلاً تصير الضاد ظاء لقرب مخرج الدال من الظاء، وانفراد الضاد بالإطباق | تخليص إحداهما من الأخرى | "مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا" ^٣ | الدال | الضاد |
| لئلاً تصير سيناً، لأن السين تشارك التاء في الهمس وتقرب من الزاي في المخرج والصفير | تخليص الزاي من التاء | "مَا كُنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ" ^٤ | التاء | الزاي الساكنة |
| لأنّ الشين قريبة من مخرج الجيم ومواخية للتاء في الهمس، فصار اللسان أسرع إليها | تخليص الجيم من شائبة الشين | "فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ" ^٥ | التاء | الجيم الساكنة |
| لأنّ التاء من مخرج الطاء، فإذا جاورها إطباق شائبتها شائبة الطاء | تخليص التاء من الإطباق | "فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ" ^٦ | الطاء | التاء |
| لاشتراك العين والحاء بالهمس، وقرب العين من الحاء في المخرج | تخليص العين من انقلابها حاء | "يَوْمَ الْبَعْثِ" ^٧ | حرف من حروف الهمس | العين الساكنة |
| للقرب الغين من الخاء، ومشاركة هذه الحروف للخاء في الهمس | الإتيان بالغين أطف ما أمكن للتخلص من شائبة الخاء | "فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ" ^٨ | حرف من حروف الهمس | الغين الساكنة |
| لما بين الفاء والتاء | تخليص الظاء | "أظْفَرَكُمْ" | الفاء | الظاء |

^١ سورة النساء: ١٢٤.

^٢ سورة الأعراف: ٧٠.

^٣ سورة آل عمران: ٩١.

^٤ سورة التوبة: ٣٥.

^٥ سورة الحج: ٣٠.

^٦ سورة الكهف: ٤٥.

^٧ سورة الروم: ٥٦.

^٨ سورة المائدة: ٦.

| | | | | |
|---|-------------------------|------------------------------|-------|---------------|
| من الاشتراك في الهمس، وقرب مخرج الطاء من التاء | وحمايتها من شائبة التاء | عَلَيْهِمْ ^١ | | |
| لئلا تصير الطاء تاء، لما بين التاء والفاء من الاشتراك في الهمس، مع مشاركة التاء للطاء في المخرج وبعض الصفات | إنعام بيان إطباق الطاء | "مِنْ نُطْقَةٍ" ^٢ | الفاء | الطاء الساكنة |

أما لدى حديث القرطبي عن الاختلاس (خطف الحركة حتى يذهب جزء بسيط منها ويبقى الجزء الأكبر) فقد بين أن اختلاس حركة ما في موضع ما، يكون لعله أن الحركة تظهر على ذلك الحرف وفي ذلك المكان، ويُنتاع بها اللسان أكثر من انطباعه بها على حرف آخر وفي موضع آخر، فيكون الإشباع إليها أسرع، أي أن الاختلاس يدخل لعله التحرز من الإشباع.

ومما يبدو أن القرطبي قد أدرك في هذا الجانب دور علم اللغة النفسي على اللغة، فذهب إلى أن تحرز الاختلاس أت مما تستشعره النفس لدى فراغ الكلمة، حيث تجد راحة في اللفظ، فتلقي بعض ما عندها من الصّوت القوي، فيخرج النفس طاغياً بالحركة.^٣

كما علّل القرطبي موانع الاختلاس الثلاثة، وهي على النحو الآتي:^٤

| التعليل | مانع الاختلاس |
|--|---|
| حتى لا يزيد الخفاء مع الاختلاس، فتعين إظهارهما | أن يكون آخر الكلمة صوتاً خفياً (ا،و،ي،هـ) |
| لأن الحركات والسكنات تنقل بثقلها فلا تظهر، فتعين إظهارها. | أن يكون آخر الكلمة صوتاً من أصوات الحلق |
| لأن تكرار الصوت الواحد ثقيل في اللفظ، الذي يشبه مشي المقيد، ومتى لم توفّ الحركة حقها سبق السكون والإدغام | اجتماع صوتين مثلين في آخر كلمة وأول أخرى |

ومن التعليلات التي قدّمها القرطبي لدواعي الاختلاس ما يأتي:^٥

١- إسراع اللفظ بضمة الدال التي قبل فتحة الواو، كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ﴾^١، لأن الواو حرف خفي، وما لم يُتعمد بيان الفتحة عليها لا تتبين.

^١ سورة الفتح: ٢٤.

^٢ سورة النحل: ٤.

^٣ انظر: القرطبي، عبد الوهاب بن محمد: الموضح في التجويد، المصدر السابق، ص ١٩٢ - ١٩٣.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ص ١٩٣ - ١٩٦.

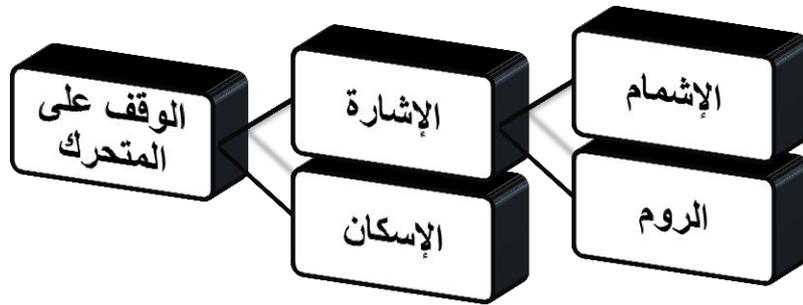
^٥ انظر: المصدر نفسه، ص ١٩٦ - ١٩٨.

٢- الباء إذا انفتحت وقبلها كسرة، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾^٢ ينبغي أن تختلس الكسرة التي قبل الباء اختلاصاً خفيفاً حتى لا تشبع فتصير في اللفظ ياءان.

٣- الواو إذا انفتحت وانضم ما قبلها، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^٣ يجب أن تكون الضمة قبلها مختلصة غير مُشبعة، لأنها إن زيدت على لفظها آلت إلى الإشباع، وإذا أشبعت صارت في اللفظ واوان.

كما علل القرطبي ظاهرة الإشباع التي تحدث بين الأصوات، مثل إشباع الضمة التي قبل الواو الساكنة، كما في قوله تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا﴾^٤ للتوصل إلى سكون الواو الثانية. وعلل إشباع الواو المشددة إذا وليها واو متحركة، كما في قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾^٥ من أجل حراسة الإدغام.^٦

وأما التعليل الصوتي لظاهرة الوقف لدى القرطبي، التي قسمها عدة أقسام، على أساس الموقف عليه، كان من أهمها التقسيم الذي يوضحه الشكل الآتي:^٧



^١ سورة الفاتحة: ٥.

^٢ سورة البقرة: ٧١.

^٣ سورة الإخلاص: ١.

^٤ سورة الأعراف: ٢٠.

^٥ سورة سورة النور: ٣٦.

^٦ انظر: القرطبي، عبد الوهاب بن محمد: الموضح في التجويد، المصدر السابق، ص ٢٠٠ - ٢٠١.

^٧ انظر: المصدر نفسه، ص ٢٠٦.

وأما الوقف بالإسكان فهو الأصل، ويجري في جميع الكلم (المُعرب والمبني) إلا في موضعين، وقد بيتهما القرطبي مع التعليل على النحو الآتي:^١



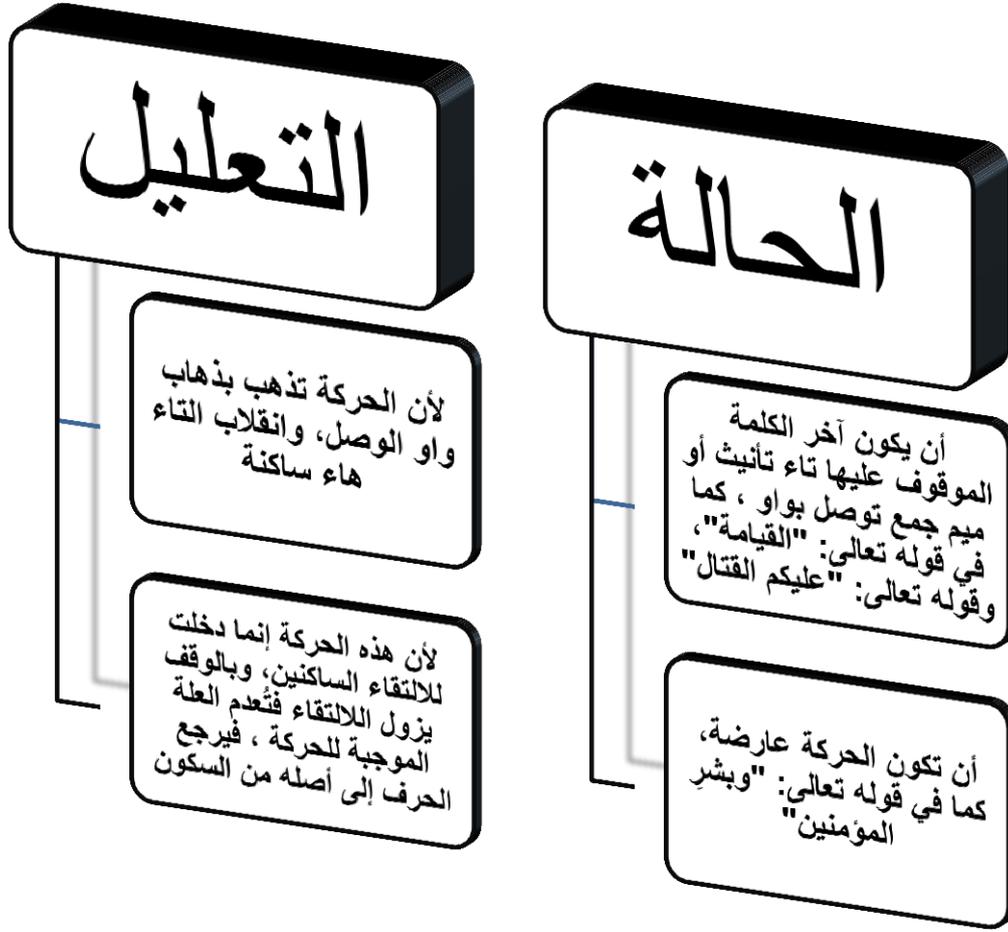
وأما الوقف بالإشارة (الروم والإشمام)، فقد أخبر القرطبي أنّ الروم يُعدُّ أتمّ من الإشمام لعلتين:^٢



^١ انظر: القرطبي، عبد الوهاب بن محمد: الموضح في التجويد، المصدر السابق، ص ٢٠٨.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ٢٠٨.

كما قدّم القرطبي بيانًا لموانع الروم والإشمام مع التعليل، وهي على النحو الآتي:^١



موانع الروم والإشمام مع التعليل

كما بيّن القرطبي علّة حصر الروم في المكسور والمضموم دون المفتوح، وذلك لأنّ المفتوح أخف، وحركته أسرع في الظهور، فلو رام الرائم الإتيان ببعضها وجزئها جاء بها كلها.^٢

^١ انظر: القرطبي، عبد الوهاب بن محمد: الموضح في التجويد، المصدر السابق، ص ٢٠٨ – ٢٠٩.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

• المطلب الرابع: التعليل الصوتي في كتاب التمهيد في علم التجويد لابن الجزري (٨٣٣هـ)

برز الجانب الصوتي لدى ابن الجزري في كتابه (التمهيد في علم التجويد)، الذي ألفه عندما كان في التاسعة عشر من عمره، مما يدل على فطنته الحادة منذ سنٍّ مبكرة.^١

وأول ملامح التعليل الصوتي لديه تظهر في الباب الخامس، لدى حديثه عن ألفات الوصل والقطع، عندما علل سبب تسمية همزة الوصل بهذا الاسم، وسبب إثبات همزة الوصل في الخط وإسقاطها في النطق، وذلك لأنك إذا وصلت الكلام، اتصل ما بعدها بما قبلها وسقطت في النطق، فسميت بهمزة الوصل. ووجه إثباتها في الخط أن الكتابة وضعت على أساس السكوت على كل حرف والابتداء بما بعده، فتثبت في الخط كما تثبت إذا ابتدئ بها.^٢

وقد عرف ابن الجزري العلل الثواني والعلل الثوالت في تعليقه الصوتي، لدى حديثه عن أنواع الألفات (الخاصة بالأفعال والخاصة بالأسماء)، وأما الألفات الخاصة بالأفعال وهي التي اختصها ابن الجزري بالتعليل دون الأسماء، فتنقسم إلى ستة أقسام، والبيان والتعليل في الجدول الآتي:^٣

| نوع الألف | طريقة معرفتها | آلية النطق بها | مثالها | وجه التعليل فيها |
|------------------------|---|--|-------------------------|--|
| ألف الأصل | تجدها فاء من الفعل ثابتة في المضارع | يبتدأ بها بالفتح في الماضي | أتى، يأتي (فعل، يفعل) | X |
| ألف الوصل (همزة الوصل) | تسقط في وصل الكلام، وتحذف من أول المضارع | تُبنى على ما قبل آخر المضارع، إن كان مكسورًا كُسرت، وإن كان مضمومًا ضُمَّت | اهدنا، اسقنا (افعنا) | يؤتى بها للتوصل بالنطق بالساكن، فالعرب لا تبدأ بساكن. وعلّة حذفها في الوصل أن الذي بعدها اتصل بما قبلها فلم يكن لنا حاجة إليها |
| ألف القطع | تأتي بالفعل الماضي مفتوحة وبالمصدر مكسورة | الفتح للماضي والكسر للمصدر | أخرج إخراج (أفعل إفعال) | علّة كسرهما بالمصدر هي أمن اللبس، لئلا تلتبس بالجمع (أخراج) |
| ألف المخبر عن نفسه | يحسن بعد الفعل الذي هي فيه لفظ (أنا) | الفتح في الماضي | "سبيلي" "أدعو" "أرني" | علل ابن الجزري فتحها مرة وضمها |

^١ انظر: ابن الجزري، محمد: التمهيد في علم التجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٢٩.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ٧٩ - ٨٠.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ص ٨٠ - ٨٦.

^٤ سورة يوسف: ١٠٨.

| | | | | |
|---|--|---|--|-------------------------|
| مرة وكتاهما ألف المخبر عن نفسه بعلّة السمع، أنّ الفتح في الماضي الثلاثي، والضم مطلقاً فيما لم يسمّ فاعله | أَنْظَرَ ^١ أَفْرَغَ "عَلَيْهِ" ^٢ | الثلاثي، والضم مطلقاً فيما لم يسّم فاعله | | |
| الفتح للاستفهام والكسر للخبر لعلّة أمن اللبس للتمييز بينهما (أفترى) (أفترى) والمد بالاستفهام لعلّة أمن اللبس للتمييز بين الاستفهام والخبر | "أَفْتَرَى" ^٣ "أَسْتَعْفَرْتُ" ^٤ "الذَّكْرَيْنِ" ^٥ "اللَّهِ خَيْرٌ" ^٦ | بالفتح وبالمدّ | مجيء أم بعدها أو هل موضعها | ألف الاستفهام |
| علّة الضم أنّ ما لم يسمّ فاعله يقتضي اثنتين (الفاعل والمفعول به) والضمة تدل على اثنتين لتقلها كونها أقوى الحركات وأتقلها كما يرى ابن الجزري | استحفظ، ابْتُلِيَ، أُخْرِجَ | مبنيّة على الضم | تكون ألف (استفعل) و (افعل) و (أفعل) | ألف ما لم يسمّ فاعله |

وقد عرض ابن الجزري اختلاف النحويين في ألف الوصل (همزة الوصل)، هل هي همزة أم ألف مع التعليل، وذلك على النحو الآتي:^٧



^١ سورة الأعراف: ١٤٣.

^٢ سورة الكهف: ٩٦.

^٣ سورة سبأ: ٨.

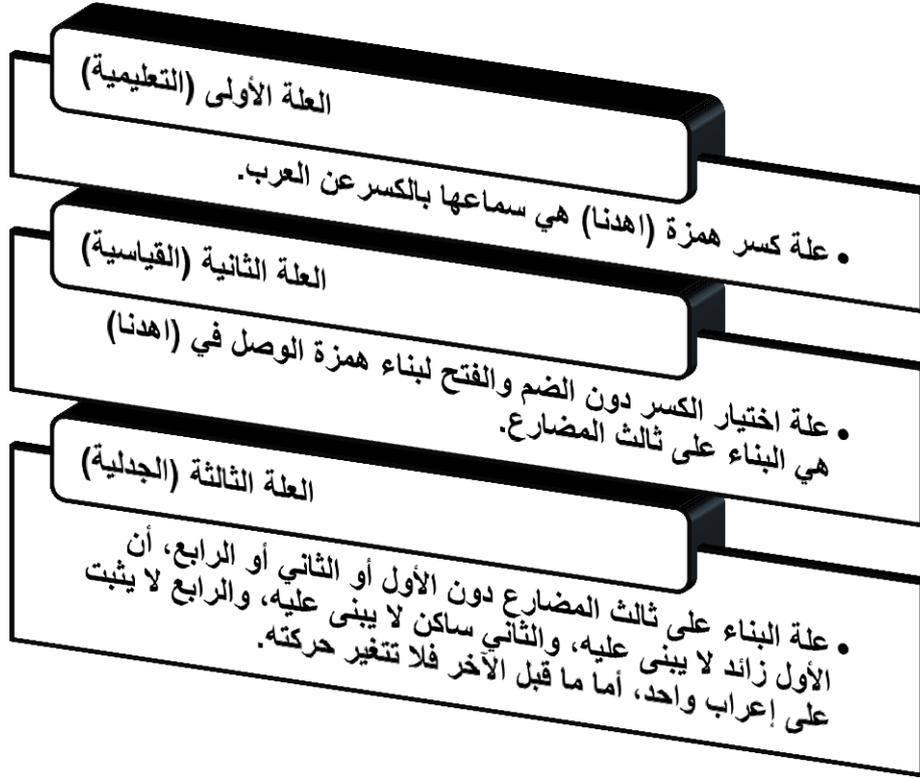
^٤ سورة المنافقون: ٦.

^٥ سورة الأنعام: ١٤٣.

^٦ سورة النمل: ٥٩.

^٧ انظر: ابن الجزري، محمد: التمهيد في علم التجويد، المصدر السابق، ص ٨١ - ٨٢.

وأما العلل بأنواعها الثلاث لدى ابن الجزري، فيمكن بيانها بتعليل كسر همزة الوصل في (اهدنا) على سبيل المثال، وذلك على النحو الآتي:^١



كما علّل ابن الجزري بناء همزة الوصل على الكسر إذا كان ثالث مضارعها مكسور (اسق - يسقي)، وعلى الضم إذا كان ثالث مضارعها مضموم (ادخل - يدخل)، وعلى الكسر أيضاً إذا كان ثالث مضارعها مفتوح (اسمع - يسمع)، بلعلة أمن اللبس، لئلا يلتبس المضارع بالأمر نطقاً (اسمع - أسمع). ويرى ابن الجزري أنّ علة اختيار الكسر محل الفتح، أنّ الفتح أخو الكسر.^٢

وقد اهتدى ابن الجزري بالمتقدمين من علماء اللغة والتجويد في بيانه لعدد أصوات اللغة العربية وصفاتها وألقابها وأحوالها ما بين وصف وتعليل. أما في بيانه لصفات أصوات اللغة العربية، فقد ردّ على من عدّ التّاء من أحرف القلقلّة، بأنّ هذا غاية في البعد، وذلك لأنّ أحرف القلقلّة مجهورة شديدة، ولولا الهمس في التّاء لكانت دالّاً، ولولا الجهر في الدّال لكانت تاءً، إذ المخرج واحد والصفات مشتركة.^٣

^١ انظر: ابن الجزري، محمد: التمهيد في علم التجويد، المصدر السابق، ص ٨٢.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ٨٣.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ص ١١٩.

ومما علّاه ابن الجزري في كتابه، ضرورة بيان العين في النطق إذا تكررت، كما في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَظْبِعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾^١ وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾^٢ لقوتها وصعوبتها على اللسان. أما إذا وقعت العين ساكنة ووليها صوت الغين، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَعَيْنَا لَيَّا بِلِسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي أَلْدِينِ﴾^٣ فيجب بيانها لقرب المخرج وللمبادرة اللفظ إلى الإدغام.^٤

كما علّل ابن الجزري جواز وقوع القاف محل الكاف في موضع يجوز أن تبدل منه أو العكس، مثل قراءة ابن مسعود (فلا تكهر)^٥ بالكاف في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾^٦. والعرب تبدل القاف كافا والكاف قافا لقرب مخرجيهما، وقرأ عبد الله: "وإذا السماء قشطت"^٧ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾^٨ والمعنى واحد.^٩

كما علّل ابن الجزري إدغام اللام الساكنة في النون في نحو (النار) (الناس) وإظهارها في قوله تعالى: ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾^{١٠} وذلك لعلّة مخافة الإجحاف، إذ لا يبقى بعد الإدغام من الكلمة إلا حرف واحد. وأما إجماعهم على إدغام قوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^{١١} لأن الراء حرف مكرر منحرف فيه ثقل وشدة، يضارع حروف الاستعلاء بتفخيمه، واللام ليس كذلك، فجذب اللام جذب القوي الضعيف، ثم أدغم الضعيف في القوي.^{١٢}

^١ سورة يونس: ٧٤.

^٢ سورة سبأ: ٢٣.

^٣ سورة النساء: ٤٦.

^٤ انظر: ابن الجزري، محمد: التمهيد في علم التجويد، المصدر السابق، ص ١٤٦.

^٥ عمر، أحمد مختار- مكرم، عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية، المصدر السابق، ٨ / ١٨٣.

^٦ سورة الضحى: ٩.

^٧ انظر: عمر، أحمد مختار- مكرم، عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية، المصدر السابق، ٨ / ٨٤.

^٨ سورة التكويد: ١١.

^٩ انظر: ابن الجزري، محمد: التمهيد في علم التجويد، المصدر السابق، ص ١٥١.

^{١٠} سورة الصافات: ١٨.

^{١١} سورة الكهف: ٢٢.

^{١٢} انظر: ابن الجزري، محمد: التمهيد في علم التجويد، المصدر السابق، ص ١٥٣ - ١٥٤.

• **المبحث الثالث: التعليل الصوتي في بعض كتب علم الأصوات العربية الحديثة**

- المطلب الأول: التعليل الصوتي في كتاب الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس (ت ١٩٧٧م).
- المطلب الثاني: التعليل الصوتي في كتاب مناهج البحث في اللغة لتمام حسّان (ت ٢٠١١م).
- المطلب الثالث: التعليل الصوتي في كتاب علم اللغة مقدمة للقارئ العربي لمحمود السّعران.
- المطلب الرابع: التعليل الصوتي في كتاب علم الأصوات لكمال بشر (ت ٢٠١٥م).

- المطلب الأول: التعليل الصوتي في كتاب الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس

قامت الدراسات الصوتية العربية الحديثة استكمالاً للجهود الصوتية القيمة التي أتى بها المتقدمون، ولا سيما في ملاحظة التطورات الصوتية التي أصابت بعض الأصوات، كما قامت لمواكبة الجهود الصوتية الأوروبية الحديثة، وإن أول دراسة صوتية عربية حديثة قيمة، يمكن التّاريخ لها من كتاب الأصوات اللغوية، لرائد الدراسات اللغوية العربية: (إبراهيم أنيس). الذي يؤثّر نسبة مؤلفه إلى الفرع الفونولوجي، الذي يُعنى بأثر الصوت اللغوي في تركيب الكلام نحوه وصرفه، أكثر من نسبته إلى الفرع الفوناتيكي، الذي يُعنى بالأصوات الإنسانيّة دون النّظر إلى ما تنتمي إليه من لغات، على الرّغم من الحدود المتشابكة المشتركة فيما بينهما.^١ وعلى الرغم من منهج إبراهيم أنيس الوصفي في الطّرح، إلا أنّ ذلك لم ينف وجود تعليلات صوتية لديه.



وأولى التّعليلات الصوتية التي قدّمها إبراهيم أنيس تظهر في حديثه عن جدّة الصوت لدى الأطفال والنساء وكونها أكثر من الرّجال، ذلك لأنّ الوترين الصوتيين لدى الأطفال والنساء أقصر وأقلّ ضخامة (أرفع) منها لدى الرّجال، مما يؤدي إلى زيادة في سرعتها وعددذبذباتها في الثّانية.

كما يعزو نعومة صوت الخصيّ إلى ضمور الوترين الصوتيين قبل سنّ البلوغ.^٢

وأوضح إبراهيم أنيس فيما يخصّ أعضاء النّطق، إضافة المحدثين للقصة الهوائية، التي ظنّ قديماً أنّ لا أثر لها في الصوت اللغوي.

وقد علّل إبراهيم أنيس إثباتها لدى المحدثين بالدور الذي تقوم به في درجة الصوت، حيث تعمل كفراغ رنان. كما أشار إلى ضرورة إضافة الرنين إلى أعضاء النطق، حيث من دونهما ينعدم الكلام بل تنعدم الحياة.^٣

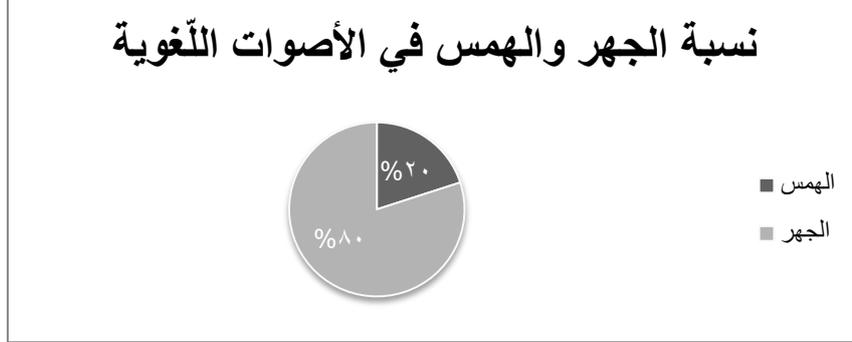
^١ انظر: أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، المرجع السابق، ص ٣.

ما بين الاتفاق والاختلاف في مفهومي: (الفوناتيكي والفونولوجيا)، يمكن القول بأنّ كلا العلمين يدرس المادة ذاتها: (الأصوات)، والهدف ذاته: (دراسة الأصوات). كما يمكن بيان الفرق بينهما بالنظر إلى التخصص، حيث يدرس الفوناتيكي الأصوات المفردة المجردة، ويدرس الفونولوجيا الأصوات في قواعدها وقوانينها ووظائفها ضمن السياق اللغوي.

^٢ انظر: أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، المصدر السابق، ص ٨.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ص ١٨ - ٢٠.

أما فيما يخصُّ صفات أصوات اللغة العربية، فقد علَّل إبراهيم أنيس الكثرة الغالبة للأصوات اللّغويّة المجهورة على المهموسة بدليل الاستقراء، بعلة الضرورة، حتى لا تفقد اللّغة عنصرها الموسيقي ورنينها الخاص. ويمكن بيان النسبة بين الجهر والهمس من خلال الرسم الآتي:^١



كما علَّل إبراهيم أنيس إدخاله صفة الحفيف على أصوات اللغة العربيّة، التي جعلها جانبًا إلى أصوات الصّفير، بما يحدث للصّوت اللّغويّ من اتساع في الفراغ بين العضوين الملتقيين مع نسبة أقل من الصّفير، مثل النّطق بالفاء، حيث تلتقي الشّفة العليا بالأسنان السّفلى تاركة فراغًا كافيًا لمرور الهواء.^٢

وعلَّل إبراهيم أنيس تسمية المتقدمين للأصوات (ل، ن، م، ر)، بالأصوات المتوسطة، التي يطلق عليها المحدثون الأصوات المائعة، بما يحدث لها أثناء النطق بها من التقاء للعضوين النّاطقين مع وجود فراغ واسع يسمح بمرور الهواء دون صفير أو حفيف، فتكون قد جاءت متوسطة بين الانفجارية (الشديدة) والاحتكاكية (الرخوة).^٣

وقد قدّم إبراهيم أنيس تعليلًا للتقسيم الذي جعله المحدثون للأصوات اللّغوية: الأصوات الساكنة (Consonants)، وأصوات اللّين (Vowels) بعلة وجود الحوائل والموانع، فحيث وُجد الحائل كان الصّوت ساكنًا، وحيث لم يوجد، كان لينيًا.^٤

كما علَّل إبراهيم أنيس تسمية (ل، م، ن) بأشباه أصوات اللّين، بقرب وضوحها السّمعي وبسعة المخرج، حيث إنّ أصوات اللّين تفوق الأصوات الساكنة بالوضوح السّمعي، وهذه الأصوات الثلاثة قريبة منها بالوضوح السّمعي.^٥

ومن التّعليقات الصّوتيّة التي قدّمها إبراهيم أنيس اعتناء المحدثين بالبحث في أصوات اللّين أكثر من غيرها، باختلافها الواضح بين اللّغات مقارنة مع غيرها من الأصوات، وبكثرة دورانها وشيوعها، فأقل انحراف فيها يجعل النّطق غريبًا، مما يتطلب بيانًا ومِرانًا أكثر للتّعرف على اللّغة الأجنبيّة. مما حدا بالمحدثين (دانيال جونز) إلى إيجاد مقاييس عامة

^١ انظر: أنيس، إبراهيم: الأصوات اللّغوية، المصدر السابق، ص ٢٢ - ٢٣.

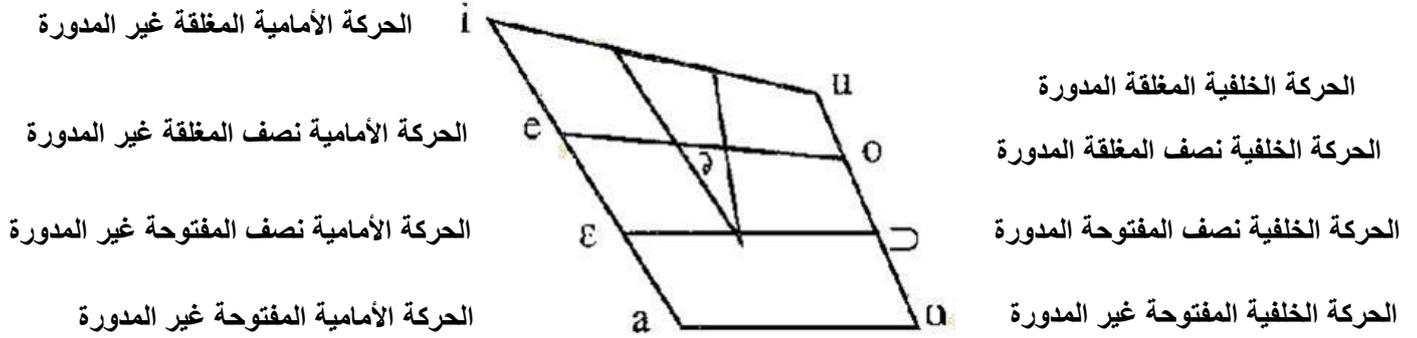
^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ٢٥ - ٢٦.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ص ٢٦.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ص ٢٧.

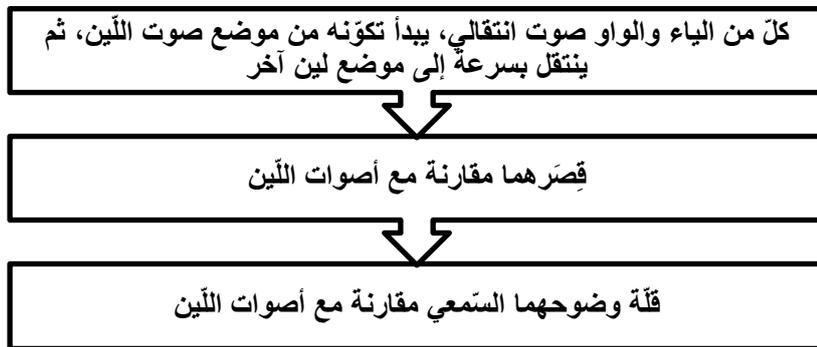
^٥ انظر: المصدر نفسه، ص ٢٧ - ٢٩.

لقياس أصوات اللين، تَمَكَّنُ أيّ متعلم لأي لغة من إتقانها إذا وعي هذه المقاييس. التي تم توزيعها كما في الشكل الآتي:^١



وأما فيما يخص أصوات اللين في اللغة العربية بشكل خاص، فقد وصف إبراهيم أنيس الكتابة أنها وسيلة ناقصة للتعبير عن هذه الأصوات، بعلّة أنها لم تُعَنَّ بها بوصفها رموز من صلب الكلم مثلها مثل الأصوات الساكنة.^٢ كما علّل إبراهيم أنيس الفرق بين الصوائت الثلاثة (الكسرة، الضمة، الفتحة) وأحرف المدّ واللين (الياء، الواو، الألف) بفرق الكميّة^٣، كما يرى أنّ الوسيلة الوحيدة لمعرفة كيفية نطق العصور القديمة لهذه الأصوات الثلاثة، نظرًا للتطور الكبير الذي أصابها في اللهجات، هي التلاوة المتواترة للقراءات القرآنية، حيث يتقيد مجيدو القراءات القرآنية بالتواتر دون التفاتٍ إلى اللهجات.^٤ كما علل اتفاق الأحكام الصوتية التي تُعطى للكسرة والضمة، واختلافها مع الفتحة، بعلّة الشبه، وذلك أنّ الكسرة والضمة صوتا لين ضيقين، أما الفتحة فصوت لين واسع.^٥

ويرى إبراهيم أنيس أنّ صوتي الياء والواو اللينين يستحقّان دومًا علاجًا خاصًا، لعلّة التقارب، أي قرب موضع اللسان معهما من موضع أصوات اللين ولاستعمالها في مواضع استعمال الصوائت. وقدّم تعليقاتٍ لعدّ هذه الأصوات من الأصوات الساكنة، يمكن بيانها بالآتي:^٦



^١ انظر: أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، المصدر السابق، ص ٣٠.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ٣٠.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ص ٤٠.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ص ٤٠ – ٤١.

^٥ انظر: المصدر نفسه، ص ٤٣ – ٤٤.

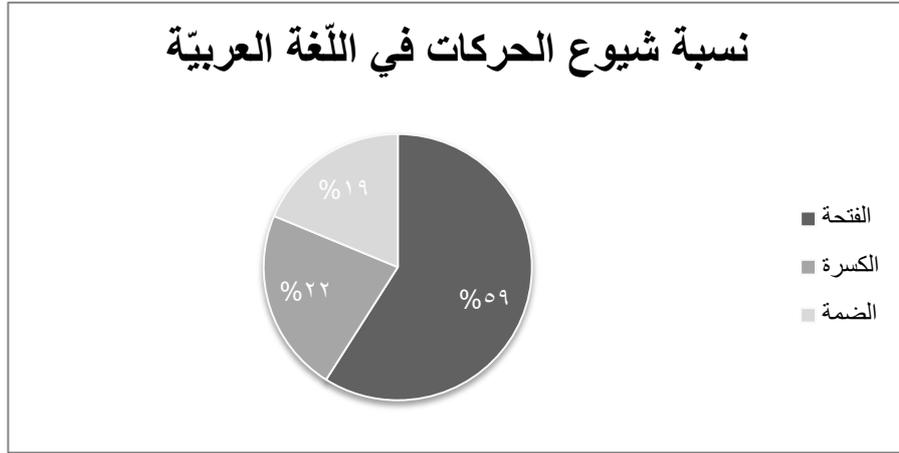
^٦ انظر: المصدر نفسه، ص ٤٥.

كما علّل إبراهيم أنيس الخطأ الذي وقع به المتقدمون حين عدّوا الواو صوتاً شفوياً، وهي صوت من أقصى اللسان حين يلتقي بأقصى الحنك، بعلّة وضوح استدارة الشفتين مع الواو.^١

أما عن سبب تسمية اللغة العربية قديماً بـ (لغة الضاد)، فقد علّل إبراهيم أنيس ذلك بأنّ الضاد القديمة كانت عصيّة النطق على أهالي الأقطار التي فتحها العرب، أو على الأعاجم الذين دخلوا الإسلام.^٢ لصفة الاستطالة التي تُميّزها، حيث إنها تختلف عن الضاد الحديثة.

كما علّل إبراهيم أنيس وصف المتقدمين للطاء بالجهر، باختلاف نطق الطاء القديمة عن الطاء الحديثة، حيث يُمكن أن تكون كالضاد الحديثة.^٣

وقد بيّن إبراهيم أنيس أنّ معرفة الأصل في صوت الرّاء من حيث التّفخيم أو التّرقيق لا يُغني شيئاً، لكنّ علّة الكثرة تقف مع أنّ أصل الرّاء التّفخيم، وذلك بالالتفات إلى نسبة شيوع الحركات في العربيّة، ويُمكن بيان ذلك وفق النّسب الآتية:^٤



أما فيما يخصّ صوت التّون، فقد علّل إبراهيم أنيس الأبحاث الخاصّة التي أفردت لصوت التّون، بعلّة سرعة تأثره بما يجاوره من أصوات، ولأته بعد اللام من أكثر الأصوات الساكنة شيوعاً في اللّغة العربيّة، وقد عدّ الغنة وسيلة لإعطاء صوت التّون بعض حقّه للإحالة دون فئائه، ولا سيّما مع التّطورات التي لوحظت على التّون حتى صار إلى الفناء في الكثرة الغالبة، وما الغنة إلا لإطالة الصّوت، فالفرق بين التّون المُظهرة ونون الغنة فرق في الكميّة، أي في زمن النّطق المُستغرق.^٥

^١ انظر: أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، المصدر السابق، ص ٤٥.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ٥٢.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ص ٥٣ - ٥٤.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ص ٥٧.

^٥ انظر: المصدر نفسه، ص ٥٩ - ٦٢.

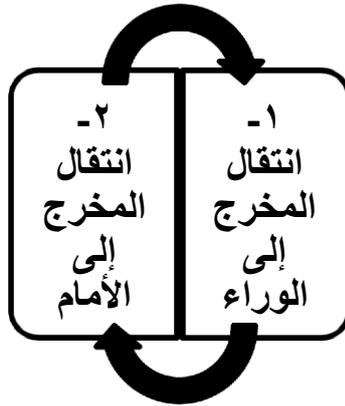
وقد نبّه إبراهيم أنيس القراء إلى ضرورة الاحتراز من إخفاء الميم مع صوت الفاء، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^١ وذلك لعلّة التقارب في المخرج بين الميم والفاء، لنلا تميل الميم إلى نوع من الإدغام.^٢

وكما علّل إبراهيم أنيس إخفاء الميم مع الباء، بعلّة أنّ الباء صوت شديد يؤثر في نظائره المجاورة، ورغبة بالاحتراز من فناء الميم في الباء، ظهرت الغنة التي تُشعر بوجود الميم.^٣

وقد أنكر إبراهيم أنيس قول القراء والمتقدمين بأنّ الغنة أصل في النون أكثر من الميم، وعلّل لهم ما ذهبوا إليه بعلّة الشبوح والكثرة، أي كثرة شبوح الغنة مع النون وقتها مع الميم.^٤

ويرى إبراهيم أنيس أنّ وصف الأصوات (س، ز، ص) بالأصوات الصّفيرية وصف غير دقيق رغم شهرته، ويُقدّم تسميتها بالأسلية. فالأصوات التي يُسمع لها صفير لدى المحدثين بسبب ضيق المخرج الذي يحدث عند نطق الصّوت، هي: (ث، ذ، ز، س، ش، ص، ظ، ف) على اختلاف في نسبة وضوح الصّفير، وعلّل حصر المتقدمين للأصوات الثلاثة (س، ز، ص) بصفة الصّفير بارتفاع نسبة وضوح الصّفير فيها أكثر من غيرها.^٥

أما صوت القاف، فقد علّل إبراهيم أنيس اختلاف وصف القاف بالجهر والهمس، بين المتقدمين والمحدثين، بعلّة التطور اللغوي عبر الزّمان، النّاجم عن الاختلاف اللّهجيّ، حيث يتطوّر الصّوت بتغير صفاته الذي أدى إلى تغيير في مخرجه بحثاً عن أقرب الأصوات شبهاً به، ويتّم هذا التطور بطريقتين، يبيّنهما الشكل الآتي:



^١ سورة البقرة: ٣٩.

^٢ انظر: أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، المصدر السابق، ص ٦٥.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ص ٦٥ - ٦٦.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ص ٦٦.

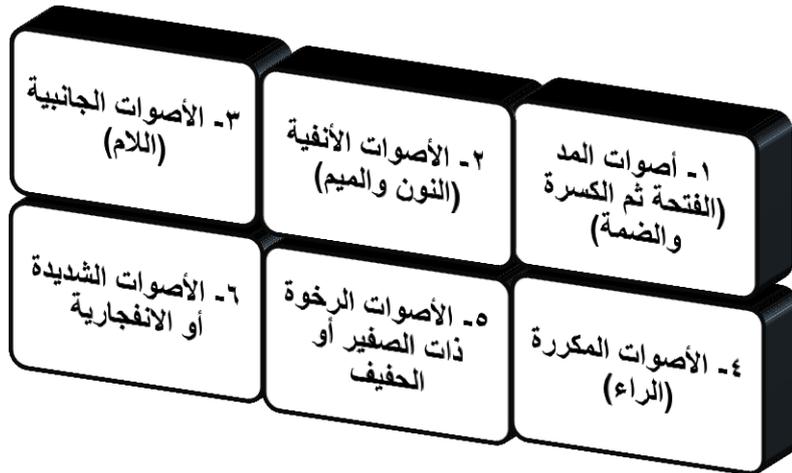
^٥ انظر: المصدر نفسه، ص ٦٧.

ويمكن بيان وتعليل اتجاهات بعض التّطوّرات لنطق القاف على النحو الآتي:^١

| التعليل | جهة التّطور | الصّوت المتطوّر له | الصّوت المتطور |
|--|-------------|--------------------|----------------|
| لوجود صوت الشدّة في كل منهما، الهمزة هي الصوت الحلقى الشديد الوحيد | إلى الوراء | الهمزة | القاف |
| لوجود الشدّة والجهر في كل من القاف الأصلية والجم القاهرية | إلى الأمام | الجم القاهرية | القاف |

أما صوت الهمزة، فقد علّل إبراهيم أنيس سبب عدّ صوت الهمزة بالصوت الشديد، الذي لا هو بالمهموس ولا بالمجهور، بأنّ فتحة المزمارة لدى نطقها تكون مغلقة إغلاّقاً تامّاً فلا يُسمع معها ذبذبة للوترين الصّوتيين، ولا يُسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمارة، وهي عملية تحتاج لجهد عضلي أكثر من أي صوت آخر، ومن هنا جاءت العربية بتسهيل الهمزة لعدة التخفيف من الثقل والجهد العضلي.^٢

ومما يظهر لدى إبراهيم أنيس اعتناؤه بمفهوم طول الصّوت اللّغوي، والمقصود به الرّمن المستغرق للتّطيق بالصّوت، والذي يُقدّر عادة بالجزء من الثّانية، وعلّة هذا الاهتمام حقيقة مفادها أنّ الإسراع أو الإبطاء بالتّطيق يؤثّر بالوضوح السّمعّي. وقد رتّب إبراهيم أنيس أطوال الأصوات على النحو الآتي:^٣



ترتيب أطوال الصوت اللّغوي العربي المُقدّر بالجزء من الثّانية لدى إبراهيم أنيس

^١ انظر: أنيس، إبراهيم: الأصوات اللّغوية، المصدر السابق، ص ٧٢ - ٧٣.

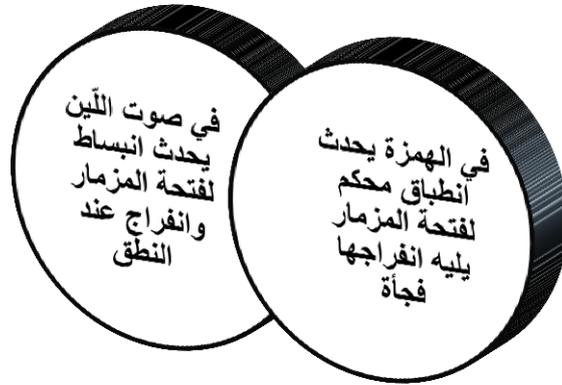
^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ٧٧ - ٧٩.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ص ٨٠ - ٨١.

ويُقرّر إبراهيم أنيس أنّ المقطع المنبور^١ أطول من المقطع غير المنبور، حيث إنّ المقطع المنبور يميل إلى القصر إذا وليه مقطع غير منبور، ذلك لعلّة الانسجام الصوتي، رغبة في تقارب مقاطع الكلام، فالألف في (كتاب) أطول من الألف في (كتاب تلميذ)^٢.

كما علّل إبراهيم أنيس الإتيان بالقلقلة في أحرف (قطب جد)، وهي إطالة الأصوات الشديدة المجهورة ليظهر جهرها، بعلّة شيوع همسها في بعض اللهجات، مع تذكيره لتطور نطق صوتي القاف والطاء^٣.

كما علّل إبراهيم أنيس إطالة الكميّة في أصوات اللين عن الوضع الطبيعي إذا وليها همزة أو صوت مدغم، لئلا يتأثر صوت اللين بمجاوره الهمزة أو الإدغام، لأنّ الجمع بين صوت اللين وصوت الهمزة يشبه الجمع بين متناقضين^٤.



أما لدى حديث إبراهيم أنيس عن النّظام المقطعي، فقد علّل ميل اللّغة العربيّة نحو الإمالة في لهجاتها، كما في إمالة (بيّت - bayt) لتصبح (بيت - bēt)، و (قَوْل - qawl) لتصبح (قول - qōl)، بعلّة التّخلص من النّظام المقطعي المزدوج، حيث يظهر انكماش في مقاطع الكلمة مع التّطور الصوتي الذي حدث بأثر لهجيّ^٥.

^١ النبر في أبسط مفهوم له: هو الضغط على مقطع معين في الكلمة، ليصبح أوضح في السمع من غيره.

^٢ انظر: أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، المصدر السابق، ص ٨٢.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ص ٨٣ - ٨٤.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ص ٨٥ - ٨٦.

ē: كسرة طويلة ممالّة.

ō: ضمة طويلة ممالّة.

^٥ انظر: أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، المصدر السابق، ص ٨٩.

كما بيّن إبراهيم أنيس علل انتقال النّبر في الكلم، وذلك على النحو الآتي^١:

| علة انتقال النّبر | شاهد موضع النّبر الأول | شاهد موضع النّبر الثاني |
|-------------------|---------------------------|-----------------------------------|
| الاشتقاق | (كَتَبَ) النّبر على (ك) | (يَكْتُبُ) النّبر على (ت) |
| العوامل اللّغوية | (يَكْتُبُ) النّبر على (ت) | (لَمْ يَكْتُبْ) النّبر على (يَكُ) |
| الإسناد | (كَتَبَ) النّبر على (ك) | (كَتَبْتُ) النّبر على (تَب) |

أما عن علة المماثلة لدى إبراهيم أنيس، التي هي مجاورة الأصوات بعضها لبعض في الكلام ليزداد مع مجاورتها قريبا في الصّفات أو المخارج، فقد بيّن إبراهيم أنيس أنّ غاية علة المماثلة هي تحقيق الانسجام الصّوتي. ويمكن التمثيل على علة المماثلة على النحو الآتي:

| شاهد المماثلة | حال الشاهد | وجه المماثلة |
|-----------------|---|---|
| دعا - ذكر - زاد | لدى صياغة الشاهد على وزن (افتعل) يصبح (ادّعى - اذتكر - ازتاد) | اجتمع صوتان، أحدهما مجهور والآخر مهموس، فتأثر الثاني بالأوّل، وانقلب صوتاً مجهوراً، حيث تصبح التاء دالاً (ادّعى-اذتكر-ازداد) |
| ظلم | لدى صياغة الشاهد على وزن (افتعل) يصبح (اظلم) | اجتمع صوتان، أحدهما مجهور والآخر مهموس، فتأثر الثاني بالأوّل، وانقلب صوتاً مجهوراً، حيث تصبح التاء طاءً. (اظلم) |
| صبر | لدى صياغة الشاهد على وزن (افتعل) يصبح (اصتبر) | اجتمع صوتان مهموسان، أحدهما مطبق والآخر مستقل، فتأثر الثاني بالأوّل، وانقلب صوتاً مطبقاً، فقلبت التاء إلى نظيرها المطبق وهو الطاء. (اصطبر) |

هذا إذا أدت المماثلة إلى انقلاب، ويحدث أن تؤدي المماثلة إلى فناء، أي فناء الأوّل بالثاني فناءً كاملاً، وذلك على النحو الآتي: (اذتكر اذتكر - اذتكر)، (ازتاد-ازداد-ازاد)، (اظلم-اظلم)، (اصتبر-اصطبر-اصتبر)، وقد نبّه إبراهيم أنيس أنّ هذا النوع من المماثلة غير مطّرد في العربية، حيث كثيرة هي الكلمات التي يلتقي فيها صوت مجهور بآخر مهموس في وزن افتعل دون تأثر مماثلة، كما في (امتنع، اغتصب)^٢.

^١ انظر: أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، المصدر السابق، ص ١٠٤ - ١٠٥.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ١٠٩ - ١١٣.

أما عن علّة المخالفة لدى إبراهيم أنيس، التي هي اشتغال الكلمة على صوتين متماثلين تمامًا، فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة، ذلك لأنّ الصّوتين المتماثلين يحتاجان لمجهود عضلي أثناء النطق بهما في كلمة واحدة، و غاية علّة المخالفة هي السهولة بتخفيف المجهود العضلي. ويمكن التمثيل على علّة المخالفة على النحو الآتي:^١

يتمطط ← يتمطّى

دسسا ← دساها

زح ← زاح

كما علّل إبراهيم أنيس للأصوات اللغوية لدى الأطفال، حيث علّل ضرورة فتح المجال للطفل بالبكاء إن لم تكن له حاجة من طعام أو نظافة، بعلة ضرورة تمرين عضلاته الصّوتية، فالبكاء (الصّراخ) نشاط عضلي يسبق مرحلة النضج النطقي.^٢

ويعلّل إبراهيم أنيس اختلاف نطق الأطفال عن نطق الكبار، بعلة عدم إدراك الطفل لمواضع اللسان السليمة لدى النطق، وبعلة عضوية تتمثل بطول الشّدق، حيث ذكر اختلاف أطوال الشّدق على النحو الآتي:^٣

| أطوال الشّدق التقريبية لدى الإنسان |
|------------------------------------|
| الرجال ٩٩ ملم |
| النساء ٩٣ ملم |
| نهاية العام الأول ٧٥ ملم |
| الشهر الثالث ٦٠ ملم |
| الولادة ٤٥ ملم |

كما ردّ إبراهيم أنيس على الرّأي الذي يذهب إلى أنّ إخراج الأطفال للأصوات الشّفوية كالباء والميم في بداية حياتهم لاعتمادهم على حركة الشفتين التي يرونها من ذويهم، بأنّ هذه العلة تستلزم مقدرة عقلية لا يصل إليها الطفل إلا في مرحلة متأخرة، واستدلّ بالطفل الأعمى الذي ينطق أيضًا بالأصوات الشّفوية أولاً، وعلّل إبراهيم أنيس نطق الأطفال للأصوات الشّفوية بعلة عضوية مفادها أنّ الشفتين أولى الأعضاء التي يستخدمها الطفل بالرضاعة.^٤

^١ انظر: أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، المصدر السابق، ص ١٣٩ - ١٤١.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ١٤٢.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ص ١٤٣.

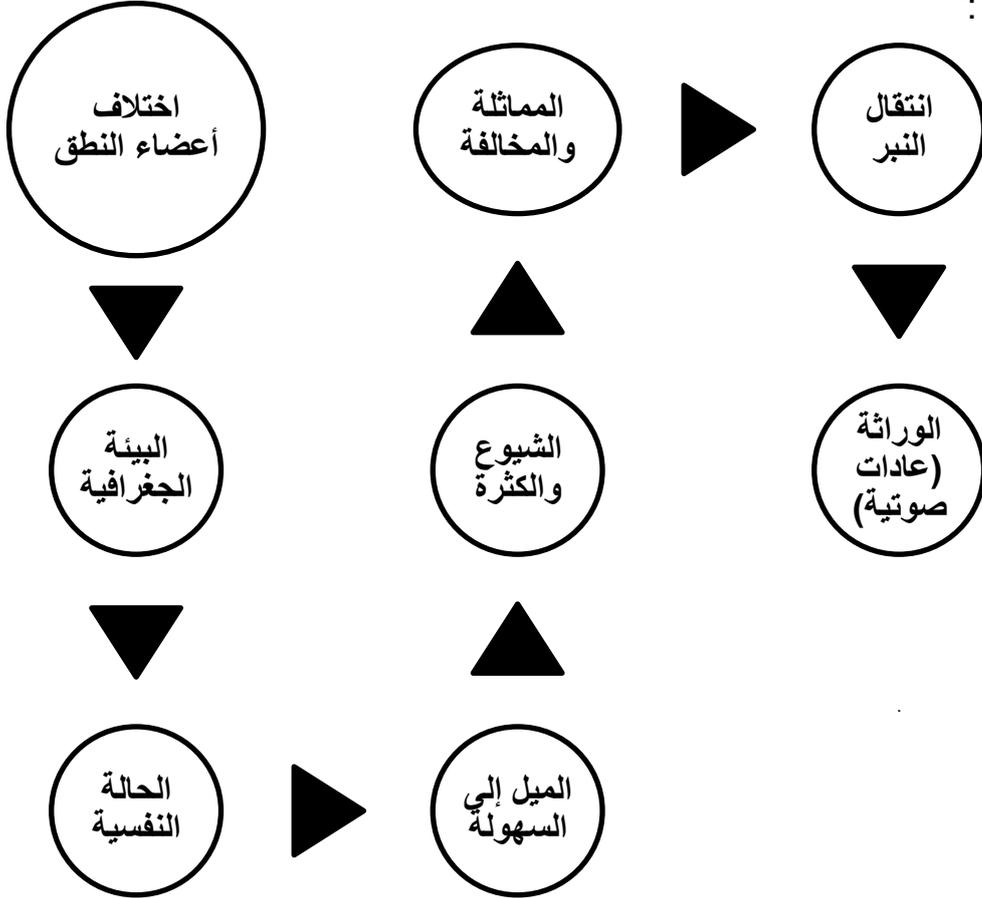
^٤ انظر: المصدر نفسه، ص ١٤٤.

وعَلَّ إبراهيم أنيس النَّقص في تقليد الأطفال لكلام الكبار، نحو نطق (كلب) بالنَّاء (تلب) بعَلَّة علاقة الأصوات مع بعضها، فالكاف والنَّاء يتحدان في صفتي الهمس والشَّدة، ولا فرق بينهما إلا في المخرج.^١

كما عَلَّ نطق الأطفال للرَّاء لأمَّا، بأنَّ الرَّاء صوتٌ شاقٌّ عسيرٌ على معظم الأطفال، واللام أسهل ولا تحتاج لجهد عضليٍّ مقارنة مع الرَّاء، والعلاقة بينهما أنَّهما من الأصوات المائعة التي تشبه أصوات اللين.^٢

أما عن ظاهرة بتر المقاطع لدى الأطفال، نحو نطق (بوبة) يريدون (أنبوبة)، فقد نفى إبراهيم أنيس عدم مقدرة الطِّفل على النُّطق بسلسلة من المقاطع، وعَلَّ البتر بضعف الذاكرة السَّمعية للطِّفل، فلا يدري كيف يُرتَّب ولا كيف يبدأ، ويكتفي بالمقطع الأخير.^٣

أما فيما يخص تطور الأصوات اللغوية، فقد عَلَّ إبراهيم أنيس ضالَّة ملامح التَّطور الصَّوتي بين لغة السلف ولغة الخلف، بالاعتماد على الكتابة، والكتابة وسيلة ناقصة للتعبير عن الأصوات. وقد علَّ إبراهيم أنيس التَّطور الصَّوتي بالآتي والذي سيأتي الحديث عنه فيما:^٤



^١ انظر: أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، المصدر السابق، ص ١٤٥.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ١٤٥ - ١٤٦.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ص ١٤٩ - ١٥٠.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ص ١٦٠ - ١٨٣.

- المطلب الثاني: التعليل الصوتي في كتاب مناهج البحث في اللغة لتمام حسان

يطغى على تمام حسان في كتابه مناهج البحث في اللغة الجانب الوصفي بشكل واضح، ومع ذلك كان لا بد من وجود تعليقات صوتية تُذكر له كونه أبرز علماء اللغة المحدثين.

ومما علله في كتابه، آلية دراسة الأصوات التي تقوم على الأساس الفردي لا الجمعي، حيث بيّن ضرورة اختيار عينة فردية لم تغادر منطقتها اللغوية، لضمان عدم تأثرها بأصوات من بيئات مختلفة، وأن تكون العينة الفردية أمية لا تقرأ ولا تكتب، بعلة أنّ صاحب العينة القارئ تتأثر لغته بمشارب متعددة.^١

كما علّل ضرورة عدم إخبار صاحب العينة بما تريد، حتى لا تجعله يضطرب في تحديد القيمة الصوتية الصحيحة للصوت المطلوب، فيبالغ بالتفخيم أو الترقيق أو التوسط مثلاً، ويرى تمام حسان أنّ وصول صاحب العينة لمرحلة الوعي بالنطق هي أولى مراحل التلجج بالكلام.^٢

كما تحدث تمام حسان عن آلية تسجيل الصوت؛ لتوسيع مدى الملاحظة الصوتية، ولإدخال عنصر الدوام على النطق - حيث الدوام ملمح قوة - بيّن أنّ جعل الصوت الحقيقي الصادر عن الجهاز الإنساني تماماً مثل الصوت المسجّل غير ممكن لعلتين:^٣

١- الصوت الإنساني أوضح من التسجيل، فيرى أننا أمام أصل وتقليد.

٢- التسجيل يعطي فرصة السماع فحسب، أما الصوت الحي فيعطي فرصة السماع بالأذن، والرؤية بالعين لحركات الشفتين واللسان والفك.

كما تحدث تمام حسان عن البلاتوغرافيا (بصمة الصوت)، وهو الحنك الصناعي الذي يدخل إلى الفم المرشوش عليه مادة بيضاء، ثم يخرج من الفم لبيان موضع نطق الصوت بدقة، وتمام حسان لا يثق بهذه الآلية بعلة أن اللغة تبنى من النطق الكامل، لا من نطق الأصوات المستخرجة من بيئتها الطبيعية. ويرى أن أبرز وظيفة صوتية يمكن أن تسجل لهذه البصمات هي المقارنات النطقية بين الأصوات، مع وجود مشكلة أكبر في عدم وجود بصمات لبعض الأصوات الصحيحة، مثل: الباء والفاء والميم والواو وأصوات الحلق التي لا تعتمد في مخرجها على الحنك.^٤

ومن التعليقات الصوتية التي قدمها تمام حسان، علة همس صوت الدال في بعض المواطن مع أنه بالأصل صوت مجهور، لعلة المجاورة، كما في همس الدال في كلمة (يدفن) في العامية، كونه متلو بصوت مهموس (الفاء)، وكما همسه في كلمة (رغد)، كونه مسبوق بصوت مهموس (الفاء).

^١ انظر: حسان، تمام: مناهج البحث في اللغة، المرجع السابق، ص ٦٨.

^٢ انظر: المرجع نفسه، ص ٧٠.

^٣ انظر: المرجع نفسه، ص ٧٠.

^٤ انظر: المرجع نفسه، ص ٧٣ - ٧٧.

كما علّل تمام حسان جهر صوت الكاف المهموس في بعض المواطن بعلّة المجاورة أيضاً، كما في مجاورة صوت الكاف المهموس صوتاً مجهوراً كالدال على سبيل المثال، كما في كلمة (يكذب) في العامية المصرية، يُنطق (yigdib).

وعلّل بالمجاورة جهر صوت الفاء المهموس إذا جاور صوتاً مجهوراً كالزاي مثلاً، كما في جهر فاء كلمة (يفزع) يُنطق (yavza'a). وعلّل بالمجاورة جهر صوت الصاد المهموس إذا جاور صوتاً مجهوراً كالدال مثلاً، كما في كلمة (قصدك) يُنطق صوت الصاد بالمقابل المجهور له (z).^١

كما عرض تمام حسان تعليلاً صوتياً لاختلاف المتقدمين والمحدثين حول همس صوت الطاء وجهره، فالمتقدمون رأوه مجهوراً والمحدثون رأوه مهموساً، مُعللاً ذلك باختلاف نطق الطاء لدى المتقدمين بدليل جعلهم الدال مُقابلاً مُرقفاً للطاء، وإن كنت أختلف مع هذا التعليل استناداً لما لدى الفراهيدي حينما قال عن قلب التاء طاء في صيغة (افتعل): "الطاء من فخام حروف الشجر التي قُرِبَت مخرجها من التاء، فضَمَّوا إليها حرفاً فخماً مثلها ليكون أيسرَ على اللسان لتبائن مَدْرَجَة الحروف الفخام من مدارج الحروف الخفت، وكذلك تحويل تلك التاء مع الضاد والصاد طاءً لأنها من الحروف الفخام".^٢

أما المحدثون فقد اعتدوا بما يحدث للأوتار الصوتية من إقفال تام أثناء النطق، مما يمنعذبذبة الأوتار الصوتية، مما جعلهم يعدّون صوت الطاء من الأصوات المهموسة.^٣

ومن التعليلات الصوتية التي قدّمها تمام حسان اختلاف المحدثين عن المتقدمين في وصف صوت العين بالتوسط والاحتكاك، فالمتقدمون رأوه متوسطاً لعدم الوضوح السمعي للاحتكاك حال نطق صوت العين، والمحدثون يرونه رخوياً لاعتمادهم على صورة الأشعة الخاصة بنطق صوت العين، والتي تُظهر تضييقاً كبيراً للحلق لدى نطقه.^٤

وقد علّل تمام حسان الفرق بين العامية والفصحى في اعتناء الفصحى بالجهر، واعتناء العامية بالإجهار (جهر المهموس)، واعتناء الفصحى بالهمس واعتناء العامية بالإهماس (همس المجهور)، وارتباط التفخيم والترقيق بالفصحى بالأصوات، وارتباطه بالعامية بالسياق، باعتماد العامية على الموقعية (العادات الصوتية اللهجية).^٥

^١ انظر: حسان، تمام: مناهج البحث في اللغة، ص ٩٣ - ١٠٠.

^٢ الفراهيدي: العين، المصدر السابق، ١٦٧/٨.

^٣ انظر: حسان، تمام: مناهج البحث في اللغة، المرجع السابق، ص ٩٤ - ٩٥.

^٤ انظر: المرجع نفسه، ص ١٠٢.

^٥ انظر: المرجع نفسه، ص ١٥١ - ١٥٣.

- المطلب الثالث: التعليل الصوتي في كتاب علم اللغة مقدمة للقارئ العربي لمحمود السعران

أمّا محمود السعران في الباب الثاني من كتابه علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، الذي عرض فيه لعلم الأصوات اللغوية، فيطغى عليه الجانب الوصفي بشكل واضح.

وأولى التعليقات الصوتية لديه، يمكن ملاحظتها لدى حديثه عن علة تسمية معجم العين بهذا الاسم، وأن المواد مرتبة فيه على أساس مخارج الأصوات من أقصى الحلق فُدماً نحو الشفتين، وأنّ الفراهيدي رأى صوت العين أقصى الأصوات مخرجاً في الحلق، ويخطئ محمود السعران ما سبق بعلّة أنّ همزة القطع أقصى مخرجاً في الحلق من العين.^١

ويرى محمود السعران أنّ إدراك علماء الأصوات المحدثين لعلم الأصوات اللغوية يفوق إدراك اليونان والرومان والهنود والعرب الأوائل، وذلك لجملة من العلل تتمثل بالآتي:^٢

١- التقدم العلمي الخاص بأعضاء النطق وتشريحها وآلية عملها وبعلم الطبيعة الذي يفوق ما توصل إليه الأوائل.

٢- توفر فرص إمكانية مقارنة لغات كثيرة مختلفة لم تكن متوفرة سابقاً.

٣- امتلاك وسائل ملاحظة وفحص وإبانة وتسجيل حديثة افتقر إليها الأوائل.

كما علّل محمود السعران ضرورة إطالة الاستماع إلى الأسطوانات المسجّل عليها الأصوات اللغوية والنصوص المختارة، مبيّناً أن إطالة الاستماع من أهم عناصر الثقافة الصوتية التي تساعد في تعلم النطق وتكوين الأذن المرهفة الضرورية لتعلم وإتقان الأصوات اللغوية.^٣

وقد علّل محمود السعران عدم عدّ صوت الصاد المسموع في الإنجليزية في مثل (sun - شمس) و (son - ابن) من فونيمات هذه اللغة، وإنما فرع من الفونيم المعروف بالسين، بعلّة أنه لا يستخدم في الإنجليزية للتفريق بين المعاني، كما هو الحال في العربية، كما في (سَبَر) و (صَبَر) فالصاد في العربية فونيم والسين فونيم.^٤

وفي حديث محمود السعران عن الأبجدية الصوتية الكتابية، علّل عدم الاعتماد على نظم رموز كتابية دقيقة صالحة لتقرير الدراسة الصوتية، مثل نظام الكلام المنظور الذي وضعه (بل) معتمداً على رسوم تخطيطية لأعضاء الكلام لدى نطق الفونيمات المختلفة، أو مثل طريقة العالم الدنماركي (أوتويسيرين) المسماة بالخط الألف بائي، والتي تمثل الفونيم الواحد بمجموعة من الرموز، والاكتفاء بالألف باء التقليدية، مع إضافة بعض التعديلات كإضافة خط أفقي صغير

^١ انظر: السعران، محمود: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، المرجع السابق، ص ٩٤.

^٢ انظر: المرجع نفسه، ص ١٠٣.

^٣ انظر: المرجع نفسه، ص ١١١.

^٤ انظر: المرجع نفسه، ص ١١٤-١١٥.

فوق الحرف، أو نقطتين فوق بعضها، أو تحوير صور بعض الحروف، وذلك طلباً للتيسير والسهولة، ولأن غير هذه الطريقة يُعدُّ صعباً ومُعقِّداً، ويحتاج مجهوداً عضلياً وذهنياً كبيراً.^١

وقد علَّل محمود السعران لمدى حاجة الدراسات اللغوية لعلم الأصوات اللغوية، راداً على من يراها ترفاً علمياً، ولا ضرر على الدراسة اللغوية إذا هي أهملته بما يأتي:^٢

١- لا يمكن دراسة لغة أو لهجة ما دون الوعي بأنظمتها الصوتية، فاللغة سلسلة من الأصوات.

٢- الدراسة الصوتية جزء أصيل من دراسة المعنى، فكثيرة هي اللغات التي تستعمل التنغيم على سبيل المثال استعمالاً وظيفياً للتفريق بين المعاني.

٣- علم الأصوات اللغوية لا يخدم لغة بذاتها وحسب، وإنما يخدم الدراسة اللغوية التاريخية والمقارنة.

٤- علم الأصوات اللغوية يعين على إصلاح الأبجديات التقليدية لتكون أدق تمثيلاً للمنطوق.

٥- مدى حاجة المعاجم للثقافة الصوتية اللغوية.

٦- إتقان لغة أجنبية أمر شاق، وعلم الأصوات اللغوية يقدّم عوناً كبيراً لإجادتها.

وقد بيّن محمود السعران أن تسمية أعضاء النطق بهذه التسمية، هي تسمية خاصة بعلم الأصوات اللغوية، بعلّة أن هذه الأعضاء لها وظائف أخرى غير النطق، كالذوق وتحريك الطعام للسان، ومضغ الطعام وكسره للطواحن والأسنان والشم للأنف والتنفس للرئتين.^٣

وقد قدّم محمود السعران تعليلاً لتصنيف علماء اللغة الأصوات اللغوية إلى صوامت وصوائت، فالصائت ما لا يعترض مجرى الهواء لدى نطقه عارض أو تضيق من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً، وما لا يصدق عليه ذلك يكون صامتاً. كما أنّ الوضوح السمعي للصوائت أشدّ من الوضوح السمعي للصوامت.^٤

كما علَّل محمود السعران جمع العلماء أصوات الفقلقة في المجموعة المتمثلة بأصوات جملة (قطب جد)، وذلك للخاصية الصوتية التي تشترك فيها هذه المجموعة الصوتية الانفجارية، التي يحدث لها انحباس تام لمجرى الهواء ومع سكونها يمتنع النفس من الانفجار لدى نطقها، مما يتطلب صوتياً أو نبراً ينقل هذه المجموعة الصوتية من الوقف إلى شبه الحركة.^٥

^١ انظر: السعران، محمود: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، المرجع السابق، ص ١١٧-١١٩.

^٢ انظر: المرجع نفسه، ص ١٢٣-١٢٩.

^٣ انظر: المرجع نفسه، ص ١٣١.

^٤ انظر: المرجع نفسه، ص ١٤٨-١٥٠.

^٥ انظر: المرجع نفسه، ص ١٦٠-١٦١.

- المطلب الرابع: التعليل الصوتي في كتاب علم الأصوات لكمال بشر

جمع كمال بشر في كتابه علم الأصوات مادة صوتية ضخمة، يظهر فيها مدى اهتمامه بالتعليل الصوتي، وأولى التعليقات الصوتية البارزة في كتابه، لدى حديثه عن الخطوات الخمس التي تنتظم عملية الكلام، حيث علل سبب إهمال أغلب المحدثين للخطوتين الأولى والخامسة بأنهما جانبان نفسيان عقليان، واللغة تُعنى بالمنطوق فعلاً لا أثرًا، وبأنهما عمليتان معقدتان، واللغوي ليس مؤهلاً للنظر فيها.^١



الخطوات الخمس التي تنتظم عملية الكلام

ويرى كمال بشر أنّ علّة قلة الاهتمام بالدراسة في علم الأصوات السمعي وعلم الأصوات الفيزيائي - في بداية الأمر- مقارنة مع علم الأصوات النطقي، تعود إلى تلك الصعوبات الجمة التي تعترض الدارس اللغوي، ومدى حاجتها إلى عالم متخصص في علوم أخرى كعلم الفيزياء وعلم التشريح غير البحث اللغوي. أما علم الأصوات النطقي فله بيئة سهلة يمكن تحصيلها بتركيز الملاحظة وبالممارسة الصوتية الشخصية وبتفصيل الذوق اللغوي. كما أخبر كمال بشر عن فندريس إسقاطه لعلم الأصوات السمعي من الحسبان، بعلة أن الصورة السمعية الداخلية ليس لها أية قيمة أمام الصورة النطقية، فالسامع يفترض منه حتى يتم التواصل اللغوي امتلاكه ما قد حوّل المتكلم إلى أحداث نطقية، مما يعني إمكانية الاستغناء عن دراسة السامع.^٢

ويُعلّل كمال بشر القصور والنقص الموجود - إلى حد ما- في الدراسات الصوتية القديمة، باتجاهات الأمم في بدايات درسها الصوتي إلى لغاتها الخاصة دون غيرها من اللغات.^٣

وقد علّل كمال بشر الخطأ الذي يقع به بعض الدارسين الذين يرون أن الفونولوجيا لا علاقة لها بالدراسات التاريخية، بعلة عدم وضوح الفرق بين الفوناتييك والفونولوجيا نظرًا للتشابه الكبير فيما بينهما. وهنا يرى كمال بشر ضرورة تعريب مصطلح فوناتييك لا ترجمته، لأن

^١ انظر: بشر، كمال: علم الأصوات، المرجع السابق، ص ٣٧-٣٨.

^٢ انظر: المرجع نفسه، ص ٤٤-٤٧.

^٣ انظر: المرجع نفسه، ص ٥٩.

الترجمة إلى (علم الأصوات) تؤدي إلى اللبس في سياق المقابلة بين الفوناتييك والفونولوجيا، فالتعريب يضمن أمن اللبس.^١

كما علّل كمال بشر لاعتراض كثير من الدارسين على عدّ الفوناتييك هو علم أصوات الكلام، وعدّ الفونولوجيا هو علم أصوات اللغة، بأن اللغة والكلام في نظر هؤلاء جانبان لشيء واحد، فكلام الفرد لا ينفصل عن لغته، وكلاهما فردي وجماعي، مادي وعقلي. ويرى كمال بشر أنّ مسألة الفصل بينهما ليس لها قيمة عملية، مُعللاً ذلك بأنّ كليهما يُكَمَل بعضه الآخر، والاقتصار على أحد الفرعين دون الآخر يوصل لنتائج غير صحيحة. وبالمقابل فقد أخبر كمال بشر عن الاتجاه الذي يخرج علم الفوناتييك من مباحث علم اللغة كلياً، وذلك لعله أنهم يرون أن موضوع الفوناتييك هو الكلام نفسه وليس اللغة، وليس الكلام من مباحث علم اللغة.^٢

ويعد كمال بشر في كتابه - ولا يرى نفسه مبالغاً - جهاز النطق هو الإنسان بكل أجهزته العضوية والنفسية، بعلّة أنّ كل الأعضاء لها دخل في عملية النطق، والاكتفاء بجزء النطق المحدد في جسم الإنسان هو من باب المجاز.^٣

وفيما يخص تعليقات بعض التسميات في علم الأصوات، فقد علّل كمال بشر سبب تسمية همزة القطع بهذا الاسم بالنظر إلى السمة البارزة عند نطق هذا الصوت، وهي قطع النفس عند بداية النطق. وعلّل تسمية اللغات باسم اللسان، كما يقال: اللسان العربي ولسان العرب، بعلّة النظر إلى أهم أعضاء النطق وهو اللسان. كما علّل أفضلية تسمية الأصوات الصامتة بهذا الاسم بدلاً من الأصوات الساكنة بعلّة أمن اللبس، وذلك حتى لا يُفهم من الأصوات الساكنة الأصوات المشكّلة بالسكون.^٤

أما عن اكتفاء ابن جني بصوت الألف دون صوتي الياء والواو لدى حديثه عن جريان الصوت اللغوي غير محصور، فقد علّل كمال بشر ذلك بأنّ حرية مرور الهواء وانطلاقه داخل الفم، تتحقق بصورة أفضل في نطق الألف كونها أوسع أحرف المد.^٥

وقد عقد كمال بشر مقارنة بين الترتيب المعاصر لمخارج الأصوات وترتيب المتقدمين، مُعللاً الاختلافات بينهما باحتمالية حدوث تطور للأصوات عبر الزمان، كما علّل عدم إضافته مخرج الجوف إلى مخارج الأصوات الصامتة، بأن مخرج الجوف يختص بالصوائت (الحركات الطويلة). ولم يقبل كمال بشر الاعتذار الذي قدمه بعض الدارسين لابن جني الذي وضع في ترتيب أصواته الألف بعد الهمزة بعذر الترادف فكانه قال الهمزة التي هي الألف، ويؤكد كمال بشر أنه لا مجال للتسامح مع ابن جني في هذا الموضع، وأنه لم يكن دقيقاً في تحديد المخرج، وأن الموطن ليس موطن ترادف.^٦

^١ انظر: بشر، كمال: علم الأصوات، المرجع السابق، ص ٦٢-٦٦.

^٢ انظر: المرجع نفسه، ص ٧٨-١٠٦.

^٣ انظر: المرجع نفسه، ص ١٣١.

^٤ انظر: المرجع نفسه، ص ١٣٧-١٤٩.

^٥ انظر: المرجع نفسه، ص ١٦٢.

^٦ انظر: المرجع نفسه، ص ١٨٨-١٩٥.

ومما علّله كمال بشر في كتابه اضطراب الدارسين في وصف الراء، وذلك بعلّة تنوع الصور النطقية للراء (العادات النطقية المختلفة) من حيث وقفات الهواء وكيفية خروجه ومواضع نطق هذا الصوت، وهو في العربي صوت مكرر ذو وقفات متقطعة.^١

أما فيما يخص صوتي الميم والنون، فقد ردّ كمال بشر على مَنْ عدّ هذين الصوتين من الأصوات الاحتكاكية، بعلّة أن الهواء في الأصوات الاحتكاكية ينفذ من منفذ ضيّق ولا يخرج حرّاً طليقاً، والهواء في هذين الصوتين يخرج حرّاً طليقاً وإن كان من جهات مختلفة.^٢

كما يعلل كمال بشر الخلل الذي يحدث مع الشخص الذي ينطق لغة أجنبية عنه، بعلّة وهم المماثلة، وذلك حين يخلط المتكلم بين صوائت لغته التي اعتاد عليها وصوائت اللغة الأجنبية عليه، مما يوقع أصحاب اللغة الأجنبية في لبس عدم الفهم على المتحدث لغتهم وليس منهم. ويرى كمال بشر أنّ وضوح الخطأ في نطق الصوائت أكثر منه في الصوامت، لعلّة الوضوح السمعي الذي تمتاز به الصوائت مقارنة مع الصوامت. وقد علّل كمال بشر ابتكار حركات معيارية ليست مأخوذة من لغة بعينها وإنما تصلح لأن تقاس عليها حركات أية لغة، لمحاولة تضيق الخطأ بالصوائت إلى أقصى حد ممكن.^٣

أما عن كثرة وقوع الصوائت المعيارية الثلاث {u-a-i} في اللغات المختلفة، حيث أصبحت معياراً أساسياً يعتمد عليه لدى الإشارة إلى الصوائت، وهو ما يمكن ملاحظته في اللغة العربية بقطع النظر عن الصوائت الفرعية كالإمالة والإشمام والروم، فقد علّل كمال بشر ذلك بأنّ هذه الصوائت تمثل النهايات القصوى لدرجات ارتفاع اللسان وانخفاضه عند النطق بها، وذلك على النحو الآتي:^٤

| | | |
|-----------|----------|---|
| a: | a | أقصى درجات الارتفاع والانخفاض النسبي بين الجانبين الأمامي والخلفي من اللسان |
| u: | u | أقصى درجات ارتفاع اللسان من جزئه الخلفي |
| i: | i | أقصى درجات ارتفاع اللسان من جزئه الأمامي |

النهايات القصوى لدرجات ارتفاع اللسان وانخفاضه عند النطق بالصوائت ورموزها

^١ انظر: بشر، كمال: علم الأصوات، المرجع السابق، ص ٢٠٠-٢٠١.

^٢ انظر: المرجع نفسه، ص ٢٠٥.

^٣ انظر: المرجع نفسه، ص ٢٢٣-٢٢٥.

^٤ انظر: المرجع نفسه، ص ٢٣٥-٢٣٦.

ومن التعليقات الصوتية التي قدّمتها كمال بشر فيما يخص صفات الأصوات ومخارجها، تعليله ما ذهب إليه بعض المتقدمين من عد التاء من أصوات الفلقلة، وذلك حماية لها من الاحتكاك، وتحقيقاً للانفجار المكمل لنطقها الصحيح. كما علّل كمال بشر ما ذهب إليه بعض المتقدمين من عد الكاف من أصوات الفلقلة، باحتمالية وقوع الكشكشة فيها، وإتباعها بصوبت خفيف لدى سكونها (الفلقلة) يحقق النطق الصحيح لها ويحميها من الاحتكاك.

كما يُعلّل كمال بشر في هذا السياق الخط الذي وقع به المتقدمون وبعض المحدثين في تحديد مخرج الكاف والقاف ووضعهما في حيز واحد بعلتين، هما:^١

١- أنّ هؤلاء يحسبون اللهة منطقة واسعة تغطي أقصى الحنك.

٢- أنّهم يتكلمون عن صورة أخرى من صور نطق القاف.

وقد علل كمال بشر موقف الخليل وسيبويه وابن جني حين جعلوا صوت القاف في موضع تال للغين والحاء وأنها لهوية، بأنهم لو كانوا يقصدون أنها لهوية نسبة إلى موضع اللهة لوجب عكس هذا الترتيب (غ خ ق ك) بحيث تخرج الغين والحاء من منطقة تلي اللهة لا تسبقها، ويعلل ما ذهبوا إليه بأنهم إما أن أخطأوا في التقدير، أو أنهم لم يفتنوا إلى موضع اللهة في الجهاز النطقي، بدليل إضافتهم الكاف للأصوات اللهوية وهي ليست منها، أو أنهم يتكلمون عن قاف تختلف عن قافنا الحاضرة وتشبه الجيم القاهرية.^٢

كما علل كمال بشر الوهم الذي وقع به الخليل ومن تابعه حين عدّوا الهمزة صوتاً هوائياً أو من الجوف وحين عدّوها من أصوات المد الثلاثة (ا و ي) بالرأي الذي يرى أنّ الخليل لما نطقها، لم ينطقها وحدها وإنما نطقها متلوة بحركة فبدت لو كانت هوائية، ويرى كمال بشر أن هذا التعليل يشوبه الوهم، ووجه التعليل لديه أخذه من طريقة نطق الخليل للأصوات، فالخليل عند نطقه للصوت يفتح فمه بالهمزة ثم ينطق الصوت (اب ات اث اج).

لذا فإنه لما أراد نطق الهمزة أتى بهمزتين، واجتماع همزتين متتاليتين أمر فيه ثقل جعل منهما همزة واحدة ممدودة ينطق فيها الهواء بحرية. وقد رفض كمال بشر الاعتذار الذي قدم على لسان الخليل في عدم بدء الألفباء بالهمزة لما يلحقها من التبديل والنقص بعلة المعاملة التي عاملها الخليل للهمزة بنسبتها لأحرف المد وعدم نسبتها لحيز محدد.^٣

^١ انظر: بشر، كمال: علم الأصوات، المرجع السابق، ص ٢٤٩-٢٥٧.

^٢ انظر: المرجع نفسه، ص ٢٧٧-٢٧٩.

^٣ انظر: المرجع نفسه، ص ٢٨٩-٢٩١.

وأما صوت الجيم لدى كمال بشر فقد قدم له قصة طويلة تقوم على التعليل الصوتي المنطقي، تحكي أنّ التطورات النطقية التي مر بها هذا الصوت هي العلة الأولى التي جعلت أوصافه مختلفة بين المتقدمين والمحدثين، ومستنداً بأمثلة من التراث والحاضر، وقد أثبت لصوت الجيم ستة أوجه نطقية معبراً عنها برموزها اللسانية العالمية، يمكن بيانها على النحو الآتي:^١

| |
|--|
| ١- الرمز الصوتي g والذي يسمى بالجيم القاهرية الشديدة. |
| ٢- الرمز الصوتي g والذي يسمى الجيم الفصيحة المركبة |
| ٣- الرمز الصوتي d وهي لغة من يقولون ديش في جيش. |
| ٤- الرمز الصوتي j والذي يسمى بالجيم الشامية. |
| ٥- الرمز الصوتي y وهي لغة لأهل الخليج الذين يقولون دياي في دجاج. |
| ٦- الرمز الصوتي z وهي لغة من يقولون زرادة في جرادة وأخرز في أخرج. |

^١ انظر: بشر، كمال: علم الأصوات، المرجع السابق، ص ٣١١-٣٤٢.

الفصل الثالث

أثر العلة الصوتية على البنية اللغوية في شواهد الأشباه والنظائر

- المبحث الأول: العلة الصوتية في الدرس الصوتي العربي.

- المبحث الثاني: التغيرات الصوتية التي تعترى البنية اللغوية.

- المبحث الثالث: علة المماثلة الصوتية.

- المبحث الرابع: علة المخالفة الصوتية.

- المبحث الخامس: علة الإبدال الصوتي.

- المبحث الخامس: علة الحذف الصوتي.

- المبحث السادس: علة أمن اللبس الصوتي.

- المبحث السابع: علة القلب المكاني.

الفصل الثالث

العلة الصوتية في شواهد الأشباه والنظائر

• المبحث الأول: العلة الصوتية في الدرس الصوتي العربي.

استقصاء العلة سنة جليل عليها العقل البشري إزاء ما يدور حوله من ظواهر مختلفة؛ تُعينه على الوصول إلى قواعد علمية تُفسر له ما يحيط به مما يراه ويسمعه.

لذا كان من شأن دارس اللغة العربية الأخذ بمبدأ العلية في البحث عن علة القواعد التي عرفها الدرس اللغوي، بعد دراستها دراسة عقلية فاحصة؛ بغية التثبت من الأحكام اللغوية، وإذا كان السماع عن العرب هو من جلب الأحكام اللغوية، فإن العلة هي من أكدت هذه الأحكام اللغوية ونقلتها من حيز الشك إلى حيز اليقين.

• المطلب الأول: مفهوم العلة الصوتية

عرّفت المعاجم اللغوية العلة بمعانٍ متعددة منها: المرض والحدث الشاغل والعذر والسبب^١. وكلها معانٍ تخدم المعنى الاصطلاحي الذي بين يدي الدراسة، فالعلة في اصطلاح اللغويين: هي الوصف الذي يكون مظنة وجه الحكمة في اتخاذ الحكم. وهي علة تشغل اللغوي في محاولته الوصول إليها عن كلّ ما عداها، وتتطلب منه كدّ الفكر وإعمال النظر مرّة بعد أخرى؛ حتى يطمئن إلى سلامتها وصحة الوثوق بها^٢.

وعليه يمكن تعريف العلة الصوتية بأنها: المُسوِّغ الذي أكسب السلوك الصوتي الوجه الذي جاء عليه.

وقد تتبعت في الفصل الثاني من هذه الدراسة أصول التعليل الصوتي، وتبينت ملازمة نشأة العلة الصوتية لنشأة الدرس اللغوي. وكيف قامت العلة بدافع فطريّ وعفويّ إزاء ما احتاج البيان والتعليل، أو بدافع لغوي اقتضته البنية اللغوية.

ومن أشهر الروايات التي توضح فطرية العلة ما حكاه الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء، أنه سمع بعض العرب يقول: فلان لغوب، جاءت كتابي فاحتقرها. فقلت له: أنقول: جاءت كتابي؟ فقال نعم: أليس بصحيفة؟ فقلت له ما اللغوب؟ فقال: الأحمق^٣. فكان تأنيث الكتاب وهو مذكّر، بزيادة مورفيم تاء التأنيث الساكنة على بنية الفعل المرتبط به لعلة الحمل على المعنى.

^١ انظر: ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ٤٧١/١١. ابن فارس: مقاييس اللغة، المصدر السابق، ١٣/٤-١٤.

^٢ انظر: مناهج جامعة المدينة العالمية: أصول النحو، ٢، جامعة المدينة العالمية، ص ٩.

^٣ انظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ١/ ٢٦.

• المطلب الآخر: العوامل المرتبطة بالعلّة الصوتيّة

ترتبط العلة في الدرس اللغوي بعوامل متعدّدة، أولها: المُعِلُّ، وهو الشّخص الذي يحاول أن يُقَدِّم موهبته العقلية وقوته العلميّة، للإتيان بأدلة وبراهين وعِلَل لم تتأتّ لأحد قبله. وإذا أخبر ابن سلام (ت: ٢٣٢هـ) بأسبقية الحضرمي (١١٧هـ) لبعج النحو ومدّ القياس والعلل، وكونه أشدّ تجرّيداً للقياس^١، وعليه يُمكن القول بأسبقية الفراهيدي (١٧٥هـ) في بعج علم الأصوات ومدّ القياس والعلل فيه؛ ذلك بعد النّظر في مُقدّمة العين خاصّته وبيان مواطن التعليل الصوتي فيها، بوصفها أكثر المُصنّفات اللغويّة المُشتملة على مادّة لغويّة صوتيّة تقدّمًا.

ومما يذكر عن الفراهيدي ويُخصّص دور المُعِلِّ المتمثّل بالشّخص الحكيم الذي يحاول إصابة العلة والتماسها فيما ثبت من كلام العرب، وأنّ باب الاجتهاد في العلل مفتوح، فقد تتأتّى لشخص آخر علة أخرى بدليل آخر، أنّه لما سُئل عن العلل التي يعتلّ بها هل أخذها عن العرب أم اخترعها من نفسه، قال: إنّ العرب نطقت على سجيّتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقام في عقولها علله وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتلت أنا بما عندي أنّه علة لما علّته منه. فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمس، وإن تكن هناك علة غير ما ذكرت فالذي ذكرته مُحتمل أن يكون علة له. ومثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل دارًا مُحكمة البناء عجيبه النّظم والأقسام وقد صحت عنده حكمة بانيتها بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة فكأما وقف هذا الرّجل في الدار على شيء منها قال: إنّما فعل هذا هكذا لعلّة كذا وكذا ولسبب كذا وكذا لعلّه سنحت له وخطرت بباله مُحتملة أن تكون علة لتلك فجانز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلّة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار وجانز أن يكون فعله لغير تلك العلة إلا أنّ ما ذكره هذا الرّجل مُحتمل أن يكون علة لذلك فإن سنحت لغيري علة لما علّته من النحو هي أليق ممّا ذكرته بالمعول فليأت بها^٢.

ثانيها: المُعِلُّ، وهو حقل العلة وموضوعها، فقد عرف علماء اللّغة العربيّة العلة في مستويات اللّغة العربيّة كافّة، ويمكن القول بأنّ التعليل الصوتي أساس التعليلات اللغويّة؛ من منطلق أنّ اللّغة قبل أن تكون علم تركيب هي علم أصوات ومقاطع. كما ترى الباحثة أنّ التعليل النحوي أبسط من التعليل الصوتي، فالأوّل يعتمد على السّماع والنص المكتوب ثمّ القياس، أمّا الثاني فيُضاف إليه اعتماده على الفحص والتّشخيص والتّجريب، ورصده للصوت اللغوي وتنقلاته النطقية والسّمعيّة والفيزيائيّة.

ثالثها: درجة العلة، فقد عرف الدرس اللغوي للعلّة درجات متعدّدة، اختلفت حسب وجهة نظر علمائها، وعلى الرّغم من ظاهر اختلافها إلا أنّ الباحثة ترى بها أوجه تقارب على النحو الآتي:

قسّم ابن السّراج العلة إلى علة وعلة العلة. أي العلة التعليميّة التي تؤدي إلى كلام العرب، والعلتان: القياسية والجدلية، اللتان تؤدّيان إلى الحكمة من كلام العرب.

^١ انظر: الجمحي، ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدّة، ١٤/١.

^٢ السيوطي، جلال الدين: الاقتراح في أصول النحو، تحقيق: عبد الحكيم عطية، دار البيروتي، ط٢، دمشق، ٢٠٠٦م، ص١١٢.

وقد تبعه بذلك الرَّجَاجِي الذي جعل العلل على ثلاث درجات: عِلل تعليمية وعلل قياسية وعلل جدلية^١، فيكون قد فصل نوعي علة العلة بالقياسية والجدلية.

ثم تقسيم ابن جنّي الذي قال: " عِلل التّحويين على ضربين: أحدهما واجب لا بد منه؛ لأنّ النَّفس لا تُطيق في معناه غيره. والآخر ما يمكن تحمّله إلا أنّه على تجشّم واستكراه له."^٢. ومقصود كلام ابن جنّي في التّفسيم السّابق كما ترى الباحثة مختلف عن تقسيم سابقه في جهة النظر، حيث أراد التّفريق بين العلة الواجبة التي لا بدّ منها، والعلة الجائزة التي هي فرع عن أصل. وبهذا التّفريق استدلل السيوطي على الفرق بين العلة والسبب، حيث قال: "ما كان موجباً يُسمّى علةً وما كان مجوراً يُسمى سبباً"^٣.

ومما نقله السيوطي عن الجليس الدّينوري (ت: ٢٣٤هـ) صاحب كتاب ثمار الصنّاعة فيما يخصّ أقسام العلة الذي يشترك فيه مع سابقه مضموناً قوله: "اعتلالات التّحويين صنفان: علة تطرد على كلام العرب وتنساق إلى قانون لغتهم وعلة تُظهر حكمتهم وتكشف عن صحّة أغراضهم ومقاصدهم في موضوعاتهم. وهم للأولى أكثر استعمالاً وأشدّ تداولاً. وهي واسعة الشعب إلا أنّ مدار المشهورة منها على أربعة وعشرين نوعاً وهي: علة سماع وعلة تشبيه وعلة استغناء وعلة استتقال وعلة فرق وعلة توكيد وعلة تعويض وعلة نظير وعلة نقيض وعلة حمل على المعنى وعلة مُشاكلة وعلة مُعادلة وعلة فُرب ومُجاورة وعلة وجوب وعلة جواز وعلة تغليب وعلة اختصار وعلة تخفيف وعلة دلالة حال وعلة أصل وعلة تحليل وعلة إشعار وعلة تضادّ وعلة أولى"^٤.

ومما يتضح من تقسيم الدّينوري أنّ العلة التي تطرد على كلام العرب هي العلة التعليمية الأولى، وأنّ العلة التي تُظهر حكمة العرب وتكشف عن أغراضهم تدخل تحتها العلتان: القياسية والجدلية، مع تميّز الدّينوري في تعداده لأنواع العلل التي سيأتي بيانها فيما بعد.

وقد قسم السيوطي العِلل إلى عِلل بسيطة وعلل مُركّبة، عندما قال: "العلة قد تكون بسيطة وهي التي يقع التعليل بها من وجه واحد كالتعليل بالاستتقال والجوار والمُشابهة ونحو ذلك. وقد تكون مُركّبة من عدّة أوصاف اثنين فصاعداً كتعليل قلب ميزان بوقوع الياء ساكنة بعد كسرة فالعلة ليس مجرد سكونها ولا وقوعها بعد كسرة بل مجموع الأمرين وذلك كثير جداً"^٥. وهو تقسيم لدرجات العلة من جهة نظر مختلفة، من حيث الأوجه التي تحتاجها العلة للاكتمال، فإن أخذت وجهًا واحدًا سميت علة بسيطة، وإن أخذت أكثر من وجه سميت علة مُركّبة.

^١ انظر: الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، تحقيق: محمد السيد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م، ص ٦.

^٢ ابن جنّي: الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، مصر، ٨٩/١.

^٣ السيوطي، جلال الدين: الاقتراح في أصول النحو، المصدر السابق، ص ١٠٢.

^٤ المصدر نفسه، ص ٩٨.

^٥ المصدر نفسه، ص ١٠٤.

• المبحث الثاني: التغيرات الصوتية التي تعترى البنية اللغوية

تنتظم الأصوات الإنسانية داخل البنية اللغوية انتظامًا متجانسًا، يُدركه أهل اللغة ذاتها، ولا سيّما من ينتقل من لغة إلى أخرى بغرض تعلّمها. ففي ذهن كل متكلم سلاسل من الأصوات المُجمّعة (مدلول) يستدعيها عند الحاجة إليها بطريقة منطوقة (دال) شعورية أو لا شعورية.

حيث إنّ من أهمّ ما تتميز به اللغات الإنسانية بشكل عام، هو قدرة البنية الواحدة على الإبداع في تشكيل جمل وتراكيب جديدة لم تُسمع من قبل، ودون أن تنقص من شأن الفصاحة اللغوية، ما دام الأساس الصوتي من أصوات ومخارج وصفات مُتعارفًا عليه. فدماع الإنسان قادر على اختزان ورصّ صور نطقية مختلفة في ذاكرته، وتشكيل قوالب نحوية منسجمة ولغته، قدرة على التعبير عن حاجاته وأفكاره وعواطفه.

ومما يميّز به أبناء المجموعة الصوتية الواحدة هو امتلاكهم (ملكة الحدس) في التفكير الصوتي على درجات متفاوتة، بحيث تكون قدرة على استيعاب التنوعات الصوتية المختلفة، ورصد ما يُعرف بالتغيرات الصوتية.

• المطلب الأول: مفهوم التغيرات الصوتية وخصائصها

يُقصد بالتغيرات الصوتية: التحوّلات التي تعترى البنية اللغوية من زيادة أو حذف أو تغيير، بفعل عوامل من داخل البنية اللغوية أو خارجها؛ بهدف تحقيق انسجام صوتي يُسهّل عملية النطق، فاللغات تجنح في تغيراتها نحو السهولة والتيسير.

وهي تغيّرات مُسوّغة وحاصلة على ذريعة بالإجازة من قبل أهل اللغة؛ لوجود علّة صوتية تُبرّر السبب الجوهري للتغير الصوتي، فالعلّة الصوتية تقوم لبيان وتبرير البنية اللغوية المُتغيّرة.

وقد تبين في الفصل الثاني من البحث (أصول التعليل الصوتي) إدراك علماء اللغة العربية والتجويد للتغيرات الصوتية التي تطرأ على البنية قديمًا وحديثًا، باختلاف آلية تناول التغيرات الصوتية، إذ بدأت دراسة التغيرات الصوتية مُتناثرة في المُصنّفات التي عالجت ظواهر الإدغام والإبدال والحذف والإعلال والإمالة وغيرها، التي تطلّبت دراستها إقامة علّة لتبرير التغير اللغوي، حتى بات موضوع العلّة والتعليل يشغل حيّزًا ملموسًا في الدراسات الصوتية.

ومن الأساليب الحديثة التي اتخذها اللغويون المُحدثون لدراسة التغيرات الصوتية وعللها ما يُعرف بالقوانين الصوتية، ويُقصد بها: القوانين التي توضح طبيعة التغيرات التي تحدث للأصوات اللغوية للغة ما، عبر مراحل زمنية مُتباعدة وبفعل عوامل داخلية أو خارجية، وتختلف عن القوانين العامة كالفيزياء والكيمياء وغيرها بأنها لا تصدق دائمًا لكلّ زمان ومكان وتكون قابلة للتغير^١.

^١ انظر: عبد التّوّاب، رمضان: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٨-١٩.

ولعلّ خير دراسة توصلت إليها الباحثة لدراسة التغيّرات اللغوية ما جاء به رمضان عبد التواب في كتاب (التطور اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه)، ولا يقصد بالتطور اللغوي الحكم على الشيء بالحسن أو الفبح، فالتطور اللغوي يُساوي التغيّر اللغوي.

وقد تحدّث رمضان عبد التواب عن مجالات التطور اللغوي، أي في أي نظام لغوي يحدث التغيّر اللغوي بشكل أكبر، في الأصوات أم البنية أم التركيب أم الدلالة، مُبيّنًا أنّ أنظمة اللغة العربيّة كلّها تقبل التغيّر اللغوي لكنها ليست سواء في سرعة قبول التغيّر اللغوي؛ فالبنية الصوتية تحتاج زمنًا طويلًا، وكذلك البنية الصرفية والنحوية التي يتطلّب تغييرها وقتًا أطول ويتطلب تعاقب أجيال عدة. على عكس النظام الدلالي، الذي يميّز بسرعة تغيّر مفرداته ودلالاتها نظرًا لارتباطه بظروف المجتمع أكثر، لذا فإنّ التطور اللغوي يزداد بازدياد انتشار اللغة بين غير أهلها (بالتنوع السكاني) وبالتغيّر الحضاري^١.

أما عن خصائص التطور الصوتي، فقد أجملها رمضان عبد التواب في ستّ نقاط على النحو الآتي^٢:

| خصائص التطور الصوتي |
|---|
| ١- غير شعوري وغير مُتعمّد (لا دخل للإرادة فيه). |
| ٢- غير فردي، إذ ليس بوسع فرد معين فرض نمط لغويّ على غيره. |
| ٣- يسير ببطء وتدرّج، فلا يحدث فجأة. |
| ٤- محدود بمكان مُعيّن. |
| ٥- محدود بزمان مُعيّن. |
| ٦- مُطرّد في التغيرات التاريخية التي سيأتي بيانها بعد قليل. |

^١ انظر: عبد التواب، رمضان: التطور اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه، المرجع السابق، ص ١٥-١٨.

^٢ انظر: المرجع السابق، ص ٢٠-٢٣.

● المطلب الآخر: أقسام التغيرات الصوتية

تنقسم التغيرات الصوتية إلى قسمين^١:

١- التغيرات التاريخية، التي يحدث التغير الصوتي فيها في نظام الصوت اللغوي في جميع سياقاته، وترى الباحثة أنّ قانون الأصوات الحنكية يمكن أن يكون أطيب مثال لبيان التغيرات التاريخية. وهو قانون خاص بالأصوات التي تخرج من أقصى الحنك، وهي الجيم القاهرية والكاف والقاف المجهورة^٢.

وفيما يخص صوت الجيم على سبيل المثال فإن اختلاف وصف المُتقدِّمين والمُحدثين في وصفه دليل على التغيرات التاريخية التي حدثت له، فالجيم في وصف المُحدثين صوت مُركَّب من الدال والشين المجهورة، يبدأ انفجارياً وينتهي احتكاكياً، أما الجيم في وصف المُتقدِّمين فيبدو أنها كانت تُنطق كالجيم القاهرية.

ومن الأدلة على نطق الجيم الأصلية كالجيم القاهرية الحالية، الكتابة الألفبائية للجيم في الحديث النبوي الشريف في حديث الاستنجاء بالروث وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنَّه رُجْسٌ"^٣. وكيف أن الكتابة الصوتية هي التي اقتضت أن يُقصد بالركس النطق بالجيم القاهرية (rigs) والأصل (رجس) بالجيم.

وقد درس رمضان عبد التّواب التّغير الصوتي من الجيم المفردة إلى الجيم المركبة تحت قانون الأصوات الحنكية، الذي بدأ بالجيم المتلوة بصائت أمامي (كسرة قصيرة أو طويلة أو مماله) اجتذبتة إلى الأمام قليلاً فتغير ليخرج من وسط الحنك، ولأنّ اللغة العربية تسعى للتخلص من تعدد العلامات تم طرد الباب على وتيرة واحدة، فتحوّل مخرج صوت الجيم إلى وسط الحنك بأي صائت بعده^٤.

ومن الأمثلة التي يسجلها الواقع اللغوي للتغيرات الصوتية لصوت الجيم ما يُسمع من تحوّل الجيم إلى شين، ما في (مُشتمع) بدلاً من (مُجتمع). وتحوّل الجيم إلى ياء كما (ياي ويايب معي دياي) بدلاً من (جاي وجايب معي دجاج).

والكاف من أصوات أقصى الحنك التي يُمكن دراسته وفق قانون الأصوات الحنكية، ولا سيّما اللّهجات التي ارتبطت به كالكشكشة والكسكسة والشنشنة. فالكشكشة على سبيل المثال وهي تحويل كاف المُخاطبة المؤنثة إلى صوت مُركَّب يبدأ بالتاء وينتهي بالشين (ch) وصفها السيوطي بأنها من مُستبشع اللغات ومُستبشع الألفاظ^٥.

^١ انظر: عبد التّواب، رمضان: التطور اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه، المرجع السابق ص ٢٤-٢٠٩.

^٢ انظر: المرجع نفسه، ص ١٣٢.

^٣ ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناجي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م، ٢/٢٥٩.

^٤ انظر: عبد التّواب، رمضان: التطور اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه، المرجع السابق، ص ١٣٢-١٣٤.

^٥ انظر: السيوطي: المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، المرجع السابق، ١/ ٢٢١.

ومن الشواهد القرآنية عليها قراءة "إنَّ الله اصطفاهِ وطهرش" ^١ في (اصطفاك) و (طهرك). وقراءة "وقد جعل ربش تحتش سرياً" ^٢ في (ربك) و (تحتك).

وعليها الشاهد الشعري الذي يُروى لمجنون ليلي ^٣:

فعيناك عيناها وجيدك جيدها سوى أن عظم الساق منك دقيق

ويُدرس هذا التحوّل الصوتي من نُطق الكاف المفردة (k) إلى الكاف المُركّبة (ch) تحت قانون الأصوات الحنكيّة، حيث إنّ الكسرة بعد الكاف اجتذبتّها إلى الأمام، ومع تقادم الأزمان طُرد الباب على وتيرة واحدة وصارت الكشكشكة للكاف مهما كان الصائت بعدها.

٢- التغيّرات التركيبية، التي يُقصد بها التغيّرات التي تُصيب الأصوات من جهة الصلّات التي تربط الأصوات مع بعضها في كلمة واحدة، حيث إنّها تغيّرات مشروطة وليست عامّة في كلّ سياقات الصّوت اللّغوي. وعلى هذه التغيّرات تركّزت دراسة العلل الصوتيّة في شواهد السيوطي في الأشباه والنظائر، على العلل الآتية:

- أ- علة المماثلة الصوتيّة.
- ب- علة المخالفة الصوتيّة.
- ج- علة الإبدال الصوتي.
- د- علة الحذف الصوتي.
- هـ- علة أمن اللبس الصوتي.
- و- علة القلب المكاني.

^١ الخطابي، أبو سليمان: غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م، ٣ / ٦١٩. سورة آل عمران: ٤٢.

^٢ الأشموني، أبو الحسن: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٨م، ٤ / ٨٤. سورة مريم: ٢٤.

^٣ الملوح، قيس: ديوان مجنون ليلي، رواية: أبي بكر الوالبي، دراسة وتعليق: يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٩م، البحر الطويل، ص٤٥. والشاهد مكتوب في الديوان دون كشكشة، ومكتوب في سر صناعة الإعراب بالكشكشة، على النحو الآتي:

(فعيناك عيناها وجيدش جيدها ... سوى أن عظم الساق منش دقيق) ابن جني: سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ٢٠٦ / ١.

المبحث الثالث: علة المماثلة الصوتية

تتأثر الأصوات اللغوية ببعضها أثناء الكلام؛ لغاية تحقيق الانسجام الصوتي بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو الصفات، تأثراً غابته إحداث نوع من الانسجام بين الأصوات المتنافرة، أطلق عليه المحدثون اسم المماثلة^١.

وهو تغيير ينتج عنه تغيير في مخارج أو صفات بعض الأصوات اللغوية؛ لنتفق في مخرج أو صفة أصوات أخرى مُحيطَة بها، على أنّ الصوت لا يمكن أن يتحول إلى صوت آخر بعيداً عنه في المخرج أو الصفات، فلا ينقلب صوت من أصوات الحلق إلى صوت من أصوات الشفة على سبيل المثال، لذا فقد خطأ ابن جني من قال: (حَثُوا) يريد (حَثُوا) لانعدام التقارب في المخرج، وأخبر أنّ إبدال الناء الوسطى حاء مردود وفساد؛ لعله فساده أنّ أصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها، كما في الدال والطاء والياء، والذال والطاء والياء، والهاء والهمزة، والميم والنون وغير ذلك مما تدانت مخارجه. فأما الحاء فبعيدة من الناء وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها^٢.

١- المطلب الأول: مفهوم علة المماثلة الصوتية

قام علماء اللغة المحدثون ببيان مفهوم علة المماثلة من خلال تعريفات متعددة، منها تعريف ماريوباي: "جعل الصوتين غير المتماثلين متماثلين"^٣.

وتعريف صلاح حسنين بأنها: "عملية إحلال صوت محل صوت آخر تحت تأثير صوت ثانٍ قريب من الكلمة"^٤.

وهو تعريف قريب من تعريف دانيال جونز للمماثلة بأنها: عملية استبدال صوت بأخر تحت تأثير صوت ثالث قريب منه في الكلمة أو في الجملة، وذكر أن المماثلة تتسع لتشمل الحالات التي يتم فيها فناء أحد الصوتين في الآخر بحيث يؤلفان صوتاً واحداً، ويكون بهذا النوع مقابلاً للإدغام^٥.

وقد أدرك علماء اللغة المتقدمون علة المماثلة بمترادفات متعددة، أشهرها (الإدغام)، فالإدغام شكل من أشكال المماثلة الكلية أو التامة، وليس كل إدغام مماثلة. ومنها ما جاء في كتاب سيبويه تحت عنوان (المضارعة) في باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه والحرف الذي يُضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه^٦، وأطلق عليها ابن جني اسم (التقريب)^٧، وأطلق عليها ابن يعيش اسم التجنيس أو تقريب الصوت من الصوت^٨، وقد جاءت

^١ انظر: عبد التواب، رمضان: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مرجع السابق، ص ٣٠.

^٢ انظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، مصدر السابق، ١ / ١٨٠.

^٣ ماريوباي، أسس علم اللغة، مرجع السابق، ص ١٤٧.

^٤ حسنين، صلاح: المدخل في علم الأصوات المقارن، مكتبة الآداب، ٢٠٠٥م، ص ١٢٨.

^٥ انظر: عطية، خليل إبراهيم: في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٣م، ص ٧١.

^٦ انظر: سيبويه: الكتاب، مصدر السابق، ٤ / ٤٧٧.

^٧ انظر: ابن جني: الخصائص، مصدر السابق، ٢ / ١٣٩.

^٨ انظر: ابن يعيش: شرح المفصل، مصدر السابق، ١٠ / ١٢١.

دراسة السيوطي للمماثلة بشكل مباشر تحت عنوان الإتياع أي التوافق الحركي وهي المماثلة بين الصّوائت^١ وسيأتي بيانها بعد صفيحات، بالإضافة لدراسة بعض الشواهد التي لمست فيها الباحثة مماثلة بين الصّوامت.

وقد عرّف عبد الرزّاق القادوسي المماثلة بأنها: "تأثير الأصوات المجاورة بعضها في بعض تأثراً يؤدي إلى التقارب في الصّفة والمخرج، تحقيقاً للانسجام الصوتي، وتيسيراً لعملية النطق، واقتصاداً في الجهد العضلي"^٢.

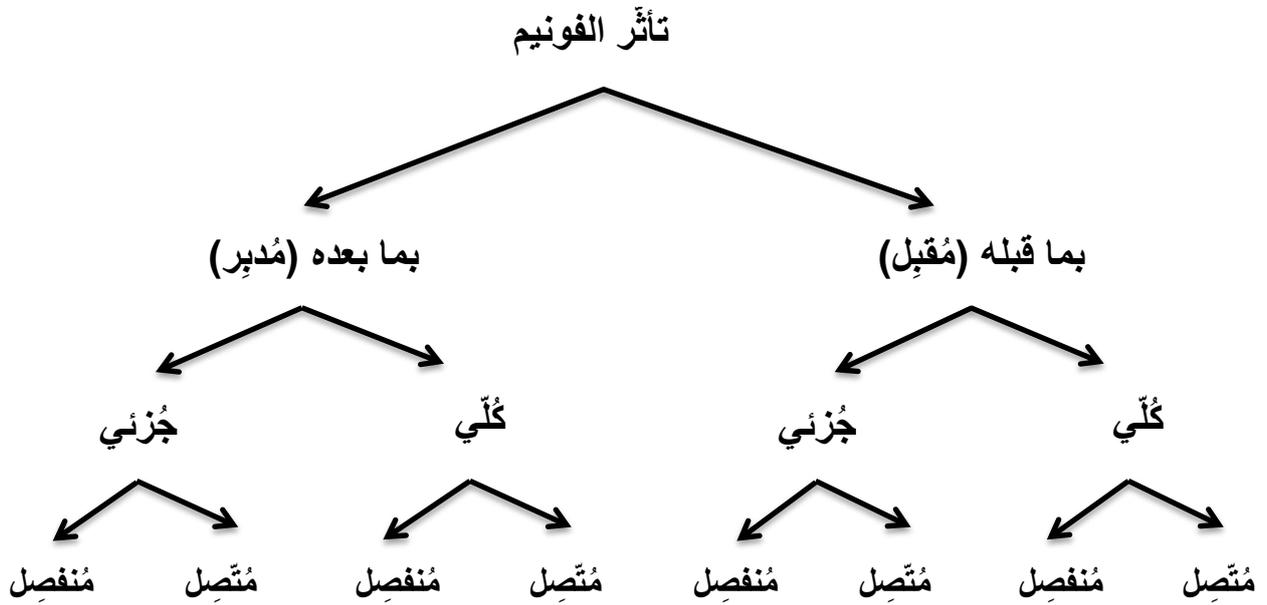
وعليه فإنّ أساس علة المماثلة قائم على التّأثر والتّأثير الذي من شأنه أن يُغيّر في الملامح التّمييزيّة للفونيم، ليحوّله من فونيم إلى آخر، من خلال دعوة فونيمين مختلفين إلى التّمائل أو التقارب؛ بهدف تحقيق الانسجام الصوتي في الكلام والاقتصاد في الجهد العضلي.

^١ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ١٣.
^٢ القادوسي، عبد الرزاق: أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية، تاج العروس أنموذجاً، جامعة حلوان، ٢٠١٠م، ص ٤٠.

٢- المطلب الثاني: أشكال علة المماثلة الصوتية

لعلة المماثلة أشكال متعددة، صنّفها علماء اللّغة وفق الصّوابط الآتية^١:

- ١- جهة التّأثر (مُقبِل - مُدبِر)، فإن أثر الفونيم الأوّل بالفونيم الثّاني فالتّأثر مُقبِل، وإن أثر الفونيم الثّاني بالفونيم الأوّل فالتّأثر مُدبِر.
 - ٢- كميّة التّأثر (كُلّي - جُزئي)، فإن حدثت مُماثلة تامّة بين الفونيمين فالتّأثر كِلّي، وإن حدثت مُماثلة بين في بعض ملامح الفونيم فالتّأثر جُزئيّ.
 - ٣- حالة التّأثر (مُتّصل - مُنفصل)، فإن فصل بين الفونيمين (المؤثّر والمُتأثر) فاصل من الصّوامت أو الصّوائت، فالمُماثلة مُنفصلة، وإن لم يفصل بينهما فاصل فالتّأثر مُتّصل.
- ويُمكن بيان هذه الأشكال على النحو الآتي:



أشكال علة المماثلة

^١ انظر: عبد التّوّاب، رمضان: التطور اللغوي مظاهره وعلمه وقوانينه، المرجع السابق، ص ٣١.

٣- المطلب الثالث: تطبيقات علة المماثلة في شواهد الأشباه والنظائر

• التوافق الحركي

تُعرف المماثلة بين الصّوائت عند اللّغويين المُحدثين باسم التّوافق الحركي Vowel Harmony وهي مُماثلة صائت لصائت آخر، أو مماثلة صائت لصامت مُماثلة كليّة أو جزئيّة، فأصل حركة الضّمير الهاء على سبيل المثال الضّم، نحو: منه، فوقه، تحته، لكنّ هذه الضّمة الأصليّة بعد (الهاء) لا تثبت بل تتغيّر مُتأثراً بما قبلها من صوائت مثل (الكسرة الطّويلة أو القصيرة) أو (الياء) فنقلب إلى تلك الكسرة^١.

فأصل (به- bi/hi) أن تكون هاء الضمير مضمومة (به- bi/hu).

تأثرت الضّمة (u) بالكسرة قبلها (i)، وتحوّلت إلى كسرة مُماثلة لها بشكل كليّ، مع وجود فاصل الهاء بينهما، فتشكّلت مُماثلة مُدبرة كئيّة مُنفصلة. وتتضح من خلال هذا التطور أهميّة المماثلة في تحقيق الانسجام الصّوتي والاقتصاد في الجهد العضليّ.

ولا يُفهم من هذا المثال ضرورة كسر كلّ هاء ضمير مسبوقة بكسر أو ياء، ففي القرآن الكريم خير مُمثّل للغة العربيّة الفصحى شواهد على الاحتفاظ بالضمّ، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَنَسَيْتُهُ إِلَّا الشَّيْطَانَ أَنِ أَذْكَرَهُ﴾^٢، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسْيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^٣.

وقد أخبر سيبويه عن حفاظ أهل الحجاز على الصّورة الأصليّة لضمير الهاء بالضمّ فقال: اعلم أنّ أصل الهاء الضّم، والهاء تُكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة... نحو قولك: مررت بهي قبل، ولديهي مال، ومررت بدارهي قبل، وأهل الحجاز يقولون: مررت بهو قبل، ولديهو مال. ويقراءون: فحسفنأ بهو وبدار هو الأرض^٤.

وقد درس السيوطي مُماثلة التّوافق الحركي تحت عنوان الإتياع، وهو غير الإتياع الذي عرفه ابن فارس (٣٩٥هـ) فقال: "هو أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها إشباعاً وتأكيذاً"^٥ نحو: طعام سائغ لائغ، وكثير بثير، وشيطان ليطان. فقد قصد السيوطي بالإتياع نوعاً من أنواع المماثلة، وتظهر في شواهد الإتياع في الأشباه والنظائر على النحو الآتي:

^١ انظر: القادوسي، عبد الرزاق: أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية، تاج العروس أنموذجاً، المرجع السابق، ص ٥٧.

^٢ سورة الكهف: ٦٣.

^٣ سورة الفتح: ١٠.

^٤ انظر: سيبويه: الكتاب، مصدر السابق، ٤/ ١٩٥.

^٥ ابن فارس: الصحابي في فقه اللغة، منشورات محمد علي بيضون، ط١، ١٩٩٧م، ص ٢٠٩.

١- مُماتلة حركة آخر الكلمة المُعربة لحركة أول الكلمة بعدها، كقراءة الحمد لله: بكسر الدال اتباعاً لكسرة اللام (الحمد لله) ^١ ← (مماتلة مُدبرة كُليّة مُنفصلة (في كلمتين)).

?al/ham/du – li/laa/hi → ?al/ham/di – li/laa/hi

وقراءة (الحمد لله) ^٢ بضم اللام اتباعاً لحركة الدال ^٣ ← (مماتلة مُقبلة كُليّة مُنفصلة).

?al/ham/du – li/laa/hi → ?al/ham/du – lu/laa/hi

وقد اعتمد السيوطي في تعليقه الصوّتي لهذه القراءة على تعليل ابن جني في المُحتسب، الذي قال: علّة هذه القراءة هي الشبوع والاستعمال، وكثرة الاستعمال تستوجب التّغيير، وذلك لما كثر الاستعمال شبّهوا الشينين بالواحد، ويرى أنّ قراءة الضّم أسهل من قراءة الكسر لأنّ القياس أن يكون الثاني تابعاً للأول، كما أنّ ضمة الدال في الحمد لله إعراب وكسرة اللام في به بناء. ومن المعلوم أن حركة البناء أقوى من حركة الإعراب، والأولى أن يغلب الأقوى على الأضعف لا عكسه.^٤

٢- لم يُلدّه أبوان : فتح الدال اتباعاً لفتحة الياء عند سكون اللام.^٥ وهذا المثال جزء لشاهد من شواهد سيويه الشعريّة التي ذكرها في الكتاب لرجل من أزد السّراة، حيث قال:

ألا رُبّ مَوْلودٍ وليس له أبٌ وذى وُلد لم يُلدّه أبوان^٦

ب - - ب / - - ب - - ب / ب - - ب / ب - - ب ب - - ب / - - ب - - ب / ب - - ب

ومما يُلحظ على الشّاعر أنه لجأ إلى المُماتلة للضرورة الشعريّة حتى يستقيم الوزن الشعريّ، ويقصد بالمولود الذي ليس له أب عيسى عليه السلام، وبالوالد الذي ليس له أبوان آدم عليه السلام، حيث إنّه لما أسكن اللام تخفيفاً، وقع أمام التّقاء ساكنين، اللام التي هي عين الكلمة، والدال التي سكنت بفعل دخول الجازم عليها، ولما التقى ساكنان اختار تحريك الدال بالفتحة، مُماتلة مع الحركة القريبة منها.^٧ ورأى ابن جني أن الشاعر أسكن اللام استنفالاً للكسرة، وكانت الدال ساكنة فحركها لالتقاء الساكنين^٨، فتشكّلت في البنية مُماتلة على النحو الآتي:

- يُلدّه ya/li/du .

- يُلدّه ya/da/du ← (مماتلة مُدبرة كُليّة مُنفصلة).

^١ عمر، أحمد مختار- مكرم، عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية، المرجع السابق، ص ٥. سورة الفاتحة: ٢.
^٢ عمر، أحمد مختار- مكرم، عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية، المرجع السابق، ص ٦. سورة الفاتحة: ٢.
^٣ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ١٣.
^٤ انظر: ابن جني: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٩م، المجلد الأول، ص ٣٦.
^٥ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ١٤.
^٦ سيويه: الكتاب، المصدر السابق، ٢/٢٦٦- البحر الطويل
^٧ انظر: القيسي، أبو علي: إيضاح شواهد الإيضاح، تحقيق: محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٨٧م، ١/٣٥٣-٣٥٤.
^٨ انظر: ابن جني: الخصائص، المصدر السابق، ٢/٣٣٥.

٣- ضم الفاء والعين في لغة من قال (لُدْ) في (لُدُن)، وعلّة ضم فاء الظرف هي المُماثلة مع عينه، فتشكّلت في البنية المُماثلة على النحو الآتي:

la/dun (مُماثلة مُدبّرة كُليّة مُنفصلة) lu/du

أما فيما يخص حذف النون في لدن، فقد شغلت هذه المسألة حيزاً ملموساً في كتب اللّغويين، مثل سيبويه وابن جني وابن السراج والأستراباذي وغيرهم. ومن الشواهد على حذف نون لدن في كتاب سيبويه قول الراجز غيلان في وصف طول رقبة الناقة:

يَسْتَوِّعُ الْبُوعَيْنِ مِنْ جَرِيرِهِ مِنْ لُدْ لَحْيَيْهِ إِلَى مُنْحُورِهِ^٢

- ب - - / - ب - - / - ب - - / - ب - - / - ب - -

ويتضح من التقطيع العروضي أنّ حذف النون جاء للضرورة الشعريّة حتى يستقيم الوزن الشعريّ، حيث لو بقيت النون لاختلّ الوزن الشعريّ، وأنّه لا علاقة لعلّة المُماثلة بين الصّوائت في تصويب الوزن الشعري في هذا الشاهد، فمماثلة التوافق الحركي في هذا الشاهد لم تأت بغية الضرورة الشعريّة، وإنما لتحقيق الانسجام الصّوتي والاقتصاد في الجهد العضليّ.

وقد علّل ابن جني حذف العرب نون (لدن) أنهم شبهوا النون في لدن بالتّنين في ضارب ووجه الشّبه بينهما اختلاف حركة الدّال قبل النّون وذلك لأنه يقال لُدُن ولَدُن بضم الدّال وفتحها، فلما اختلفت الحركتان قبل النّون شابته النّون التّنين وشابهت الحركتان قبلها باختلافهما حركات الإعراب في نحو هذا ضارب زيّداً ورأيت ضارباً زيّداً^٣، ورأى الأستراباذي شذوذ حذف نون لدن، وعلّة الشذوذ لديه السقوط في موضع دون التّقاء الساكنين^٤.

٤- مُماثلة حركة الميم لحركة الخاء والتاء في قولهم مُنْخَرٌ^٥ ومُنْتِنٌ^٦. مُنْتِنٌ بضم التاء اتباعاً لضمة الميم، ومِنْتِنٌ بكسر الميم اتباعاً لكسرة التاء. وعلّل السيوطي هذه المُماثلة لكون الحاجز بين الصّائتين المُتأثرين فونيم النّون، والنّون لخفائها وكونها عُنة من الخيشوم، حاجز غير حصين^٧.

- مُنْتِنٌ (mun/tin) مُماثلة مُدبّرة كُليّة مُنفصلة مُنْتِنٌ (min/tin).

- مُنْخَرٌ (min/xur) مُماثلة مُدبّرة كُليّة مُنفصلة مُنْخَرٌ (mun/xur).

^١ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ١٤.
^٢ سيبويه: الكتاب، المصدر السابق، ٤ / ٢٣٤. بحر الرجز. صَوَابٌ إنشاده كما أنشده سيبويه إلى مُنْحُورِهِ، بِالْحَاءِ، وَالْمُنْحُورِ: النَّخْرُ؛ وَصَفَ الشَّاعِرُ فَرَساً بِطُولِ الْعُنُقِ فَجَعَلَهُ يَسْتَوْعِبُ مِنْ حَبْلِهِ مِقْدَارَ بَاعَيْنِ مِنْ لَحْيَيْهِ إِلَى نَخْرِهِ. ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ١٩٨/٥.

^٣ انظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ٥٤٢ / ٢.
^٤ انظر: الأستراباذي، محمد بن الحسن الرضي: شرح شافية ابن الحاجب، المصدر السابق، ٢٣٣ / ٢.
^٥ نَخْرٌ / مُنْخَرٌ / مُنْخَرٌ [مفرد]: ج مُنَاخِرٌ: (شر) مُنَاخِرٌ، تَقَبُّبُ الْأَنْفِ، مُذَكَّرٌ وَلَا يَجُوزُ تَأْنِيثُهُ. عمر، أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م، ٣ / ٢١٨٢.

^٦ مُنْتِنٌ: مَنْ تَنْتَنُ؛ حَبَّتَتْ رَانِحَتُهُ وَفَسَدَتْ، عَفِنَ، تَنْتَنُ اللَّحْمُ / الطَّعَامُ، الْمَرْجِعُ نَفْسَهُ، ٢١٦٧ / ٣.
^٧ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ١٤.

٥- قراءة (فَلَامِهِ التَّلْثُ) ^١ في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَاوَدٌ وَوَرِثَةٌ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ التَّلْثُ﴾ ^٢

فقد أخبر السيوطي أنّ كسر الهمزة جاء لانكسار ما قبلها، حيث هجمت كسرت الإبتاع على ضمة الإعراب فابتزّتها موضعها^٣. وقد جعل ابن جني مثل هذه القراءة تحت باب: (هُجُوم الحركات على الحركات)، حيث قال: هجمت كسرة الإبتاع على ضمة الإعراب، فابتزّتها موضعها، وهذا شاذٌّ لا يُقاس عليه^٤. ومما يُلاحظ استخدام مُصطلح: (الهجوم) يُريدون عملية: (التأثير والتأثير). واستخدام مُصطلح (الابتزاز) لبيان خُلول صائت في موقع صائت آخر. ويكون وجه المُماثلة على النحو الآتي:

li/?im/mi/hi ← (مُماثلة مُقبِلة كُليّة مُنفصلة) li/?um/mi/hi

وقد عرض أبو البركات الأنباري (ت: ٥٧٧هـ) لهذه القراءة في مسألة القول في أصل حركة همزة الوصل، ورأى تقديم وجه الإبتاع، وأنه جاء لتحقيق الانسجام الصوّتيّ فقال: " وإذا كانوا كسروا ما يجب بالقياس ضمّه وضمّوا ما يجب بالقياس كسره للإبتاع طلباً للمجانسة فلأن يضمّوا هذه الهمزة أو يكسروها للإبتاع ولم يجب لها حركة مخصوصة كان ذلك من طريق الأولى".^٥ ومما يلاحظ طرد الباب على وتيرة واحدة في همزة (أمّ) في كثير من اللهجات، حتى بات الكسر فيها سائداً دون حاجة إلى مكسور قبلها يهجم عليها، سيّما في لهجات أهل الشام.

٦- مُماثلة حركة الحرف الذي قبل آخر الاسم المعرب لحركة الإعراب في الآخر وذلك في امرئ وابنم، نحو^٦:

﴿إِنْ أَمْرُؤُا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَاوَدٌ وَلَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفٌ مَّا تَرَكَ﴾ ^٧. مُماثلة مُدبِرة كُليّة مُنفصلة

امروء: فاعل لفعل محذوف يُفسّره المذكور بعده، أي إن هلك امرؤ. تأثرت حركة عين الكلمة بحركة الإعراب وماتلتها بالضم.

﴿يَتَأَخَّتْ هَرُونَ مَّا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَعِيًّا﴾ ^٨. مُماثلة مُدبِرة كُليّة مُنفصلة

امراً: خبر كان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، تأثرت حركة عين الكلمة بحركة الإعراب وماتلتها بالفتح.

﴿لِكُلِّ أَمْرِي مِّنْهُم مَّا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِنِّمِ﴾ ^٩. مُماثلة مُدبِرة كُليّة مُنفصلة امرئ: مضاف

إليه مجرور وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة على آخره، تأثرت حركة عين الكلمة بحركة الإعراب وماتلتها بالكسر.

^١ عمر، أحمد مختار- مكرم، عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية، المرجع السابق، ١١٤ / ٢.

^٢ سورة النساء: ١١.

^٣ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ٢٠٥.

^٤ ابن جني: الخصائص، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٤١.

^٥ الأنباري، أبو البركات: الإنصاف في مسائل الخلاف، المكتبة العصرية، ط ١، ٢٠٠٣م، ٢ / ٦٠٦.

^٦ انظر: المصدر نفسه، ص ١٣.

^٧ سورة النساء: آية ١٧٦.

^٨ سورة مريم: آية ٢٨.

ونحو: جاء ابْنُ، رأيتُ ابْنَمًا، سلّمت على ابْنِمِ ← (مُماثلة مُقبلة كُليّة مُنفصلة).

وقد بيّن ابن السّراج علةَ مُماثلة التّوافق الحركيّ في كلمة (ابنم) وأصلها (ابن)، بأنّ الميم في (ابنم) زائدة، والإعراب يكون على آواخر الكلم، وخشية زوال الزيادة وضياح حركة الإعراب، كانت علة المماثلة لعلّة أمن اللبس^٢.

٧- مُماثلة حركة فاء الكلمة للامها، خاصة في (مرئ) و (فم)، فإن الفاء تتبع الميم في بعض اللغات فيقال: هذا مُرء وفُم، ورأيت مُرأ وفَمًا، ونظرت إلى مرء و فِم ولا ثالث لهما^٣.

٨- مُماثلة حركة عين الكلمة لفائها في الجمع بالألف والتّاء، كما في تَمرة وتَمرات بالفتح وسبيرة وسبيرات بالكسر، وعُرُفة وعُرُفات بالضمّ،^٤ والأصل سكون عين الثلاثي في هذه الكلمات.

٩- قراءة أبي جعفر "للملائكة اسجدوا"^٥ بضمّ التّاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا

لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾^٦، بمُماثلة مُدبّرة كُليّة مُنفصلة مع

ضمّة همزة الوصل، والقياس على كسرها كونها في موقع جر بحرف الجرّ اللّام، ويرى السيوطي أنّه لا يجوز استهلاك الحركة الإعرابية بحركة الإتياع إلا في لغة ضعيفة^٧، وممّا يتضح من كلامه احترامه للقاعدة اللّغويّة وتقديمها أمام وجه المماثلة، باستثناء القراءة القرآنيّة التي ليس له أن يتعارض معها كونها توقيفيّة.

lil/ma/laa/?i/ka/tis/ju/du

مُماثلة مُدبّرة كُليّة مُنفصلة

lil/ma/laa/?i/ka/tus/ju/du

ويرى ابن جني أنّ هذه القراءة ضعيفة جدًّا؛ بعلّة أن (الملائكة) في موضع جر، فالتاء إذن مكسورة، ويجب أن تسقط ضمة الهمزة من (اسجدوا) لسقوط الهمزة أصلًا إذا كانت وصلًا، وهذا إنما يجوز ونحوه إذا كان ما قبل الهمزة حرف ساكن صحيح، نحو: (ادخلُ ادخلُ)، فضمّ لالتقاء الساكنين لتخرج من ضمة إلى ضمة، فأما ما قبل همزته هذه متحرك - ولا سيما حركة إعراب- فلا وجه لأن تحذف حركته ويحرك بالضم، ألا تراك لا تقول: قل للرجل ادخلُ، ولا: قل للمرأة ادخلي؛ لأن حركة الإعراب لا تُستهلك لحركة الإتياع إلا على لغة ضعيفة^٨.

^١ سورة النور: آية ١١.

^٢ انظر: ابن السراج: الأصول في النحو، المرجع السابق، ٣٧٠/١.

^٣ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ١٣.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ص ١٤.

^٥ عمر، أحمد مختار- مكرم، عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية، المرجع السابق، ٤٥/١.

^٦ سورة البقرة: ٣٤.

^٧ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ١٧.

^٨ انظر: ابن جني: المحتسب في تبيين وجوه القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف، ١٩٩٩م، ٧١/١.

وقد استأنست الباحثة بأُمات كتب القراءات التي أوضحت أنّ قراءة أبي جعفر لم تكن بالضمّ الخالص وإتّما بالإشمام بين الضمّ والكسر ليدلّ على الابتداء بالضمّ، فقد علّل النّحاس (ت ٣٣٨هـ) قراءة أبي جعفر بقوله: "أحسب أنّ أبا جعفر كان يخفض ثم يشمّ الضمّة ليدلّ على أنّ الابتداء بالضمّ"، أي كان يقرأ بين الضمّ والكسر. ومن الأمثلة التي يمكن أن تُقاس على قراءة أبي جعفر إذا نُظر إليها من زاوية المُماثلة، فتح آخر الفعل (يقدر) وموقعه الجزم بالسكون في الشاهد الشعريّ الذي أورده السيوطي:

في أيّ يَوْمِيّ مِنْ الْمَوْتِ أَفِرُّ أَيَوْمَ لَمْ يَقْدِرْ أَمْ يَوْمَ قَدِرْ؟!^٢

- - - ب - / - / - ب ب - / - ب - / - ب ب - / - ب ب -

وهو شاهد على بحر الرّجز، يلاحظ من خلاله أثر المُماثلة الحركيّة في التّخلي عن الحركة الإعرابية الأصلية إلى حركة مجاورة لها، ومما يلاحظ أيضاً انتقال تفعيلة (يقدر أم) من (مستفعل - - -) وهي تفعيلة غير مقبولة في حشو الرّجز، إلى (مستعلن - ب ب -) في (يقدر أم)، كما يُلاحظ فيه أثر المُماثلة الحركيّة في التّخفيف من النّظام المقطعيّ، من المقطع الثالث إلى المقطع الثّاني على النّحو الآتي:

lam - yaq/der - ?am - لم يقدر أم

ص ح ص / ص / ص ح ص / ص ح ص

lam - yaq/de/ra - ?am مُماثلة مُدبّرة كُليّة مُنفصلة

ص ح ص / ص / ص ح ص / ص ح ص

وقد علّل السيوطي الشاهد بقوله: الأصل يقدر بالسكون ثم لما جاورت الهمزة المفتوحة أخذت حكمها^٣ أي أنّ التغيّر الحركي جاء لعلّة المُماثلة التي سوّغتها المجاورة. ويرى أبو البركات الأنباري أنّ علّة تحريك الرّاء بالفتح في (لم يقدر) مع أنها سبقت بجازم أن الشاعر أراد أن يقول: في يوم لم يقدرن بتوكيد الفعل المضارع المبني للمجهول المنفي بلم لكنه حذف نون التوكيد الخفيفة وهو يريد لها، ولولا ذلك لسكن "يقدر" لكونه مسبوفاً بلم^٤. وقد أخبر ابن هشام الأنصاري أنّ في هذا شذوذين: توكيد المنفي بلم وحذف النون لغير وقف ولا ساكنين^٥. وقد أورد صاحب بحث: (ظاهرة التقارض في النحو العربي) آراء اللغويين الذين يرون وجود لغة النصب ب (لم)^٦، ولعلها مما يفسر على هذا الوجه اللغوي أيضاً، وعلى كل الأحوال تبقى من الصيغ الخاصّة التي لا يُعتمد عليها في التّعبيد اللّغوي.

^١ النّحاس، أبو جعفر: إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م، ١/٢١٢.

^٢ ابن جني: الخصائص، المصدر السابق، ٣/٢٢١. بحر الرّجز

^٣ السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، مصدر السابق، ص ١٧٩.

^٤ الأنباري، أبو البركات: الإنصاف في مسائل الخلاف، مصدر السابق، ١/١٨٠.

^٥ انظر: ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: مازن المبارك- محمد علي حمد الله، دار الفكر، ط٦، دمشق، ١٩٨٥م، ص ٣٦٥.

^٦ انظر: عبد الله، أحمد محمد: ظاهرة التقارض في النحو العربي، مجلة الجامعة الإسلامية، لمدينة المنورة، العدد الثامن والخمسون، ص ٢٤٣.

١٠- المُماتلة الحركيَّة في المُنادى المبنيِّ على الضَّم، نحو: يا زيد بن عمرو.

ya/zay/dub/na (مُماتلة مُدبِّرة كُليَّة مُنفصلة) yaa/zay/dab/na

أخبر السيوطي أنه يجوز في المنادى وجهان:

- الضَّم على الأصل (مُنادى مبني على الضم في محل نصب).
- النَّصْب على الإِتباع (مُماتلة مُدبِّرة كُليَّة مُنفصلة) ففتح الدال من (زيدا) مُماتلة لفتحة النون، ونقل السيوطي عن ابن يعيش استغرابه من الإِتباع على هذا الوجه؛ كون الصفة تتبع الموصوف وهنا تتبع الموصوف الصفة مُعللاً ذلك بكثرة الاستعمال التي جعلت الاثنين كالواحد^١.

وترى الباحثة أنَّ جواز النَّصْب في اسم العلم المُنادى المقطوع عن الإضافة والأصل بناؤه على الضَّم في محل نصب، جاء لعلَّة الحمل على الموضع لا لعلَّة المُماتلة، إذ إنَّ الأصل في موضع المُنادى النَّصْب، والحركة الإعرابية قد تخرج من محلها إلى محل آخر حملاً على الموضع، كما في قولنا: (ليس زيدٌ بجبانٍ ولا بخيلاً)، حيث تأثر الاسم المعطوف (بخيلاً) بالموضع الأصلي للجار والمجرور المحمول عليه (بجبانٍ) وهو النَّصْب، على أنه خبر ليس.

١١- مُماتلة الفاء لعين الفعل في كل فعل على (فِعَل) وعينه حرف حلق، بكسر عينه، نحو: (نِعم) و (بِئس).^٢

- نِعمَ na/ʔi/ma (مُماتلة مُقبلة كُليَّة مُنفصلة) نِعمَ ni/ʔi/ma

- بِئسَ ba/ʔi/sa (مُماتلة مُقبلة كُليَّة مُنفصلة) بِئسَ bi/ʔi/sa

١٤- ضم الذال في (ما رأيتَه مُدُّ اليوم): التي حُرِّكت لالتقاء الساكنين، وعلَّة اختيار الضمة هي طلب المماتلة مع ضمة الميم قبلها، ومما يدلُّ أنَّ حركتها إنَّما هي لالتقاء الساكنين، أنه لما زال التقاءهما سكنت الدال^٣، ولم يُعتدَّ بالنون حاجزاً في (مُنْدُ)^٤.

- مُدُّ اليوم mu/ḍil/yaw/mi (حالة التقاء الساكنين).

- مُدُّ اليوم mu/ḍul/yaw/mi (مُماتلة مُدبِّرة كُليَّة مُنفصلة عالجت التقاء الساكنين).

والحقيقة أنَّ ظاهرة التقاء الساكنين إحدى الظواهر المهمَّة التي تستحقُّ الدراسة لجريانها في الكلام الفصيح نُطقاً وإعراباً، وتقوم هذه الظاهرة على أساس التَّخلص من التقاء الساكنين بالاجتزاء إذا كان أحد الساكنين مُعتلاً أو بالتحريك إذا كان الساكن صحيحاً.

^١ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ٥٩.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ١٤.

^٣ 3: رمز صوت العين.

^٤ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ٣٥٧.

^٥ انظر: المصدر نفسه، ص ١٤.

والأصل ببنية الكلمة أن لا يلتقي بها ساكنان، وما الالتقاء إلا بسبب العوامل الداخلة على البنية، كما في المثال السابق، الذي في أصله سكون واحد، والطارئ عليه حين الوصل هو المسبب للالتقاء الساكنين.

وقد عرض السيوطي في الأشباه والنظائر إلى قضية جواز التقاء الساكنين في الكلمة الواحدة لغير الوقف العارض، وأخبر عن إجماع العرب على عدم جواز الجمع بين الساكنين في حشو الكلمة لعله أن اجتماع الساكنين يبطل الكلام ويقف في طريقه^١.

١٥- المُماتلة الحركية من أجل بنية كلمة مُجاورة، نحو مُماتلة حركة فاء كلمة لحركة فاء كلمة أخرى لكونها فُرنت معها، وسكون عين كلمة لسكون عين أخرى، فمثلاً نقول: (جِرسًا) بفتح فاء الكلمة، فإذا قلت: ما سمعت له لا حِسًا ولا جِرسًا. كسرت الجيم لعلّة المُماتلة التي أجازتها المُجاورة، وكما في: (نَجس) تكون مفردة بفتح فاء الكلمة فإذا سبقت بـ: (رجس)، كسرت فاء الكلمة، فتقول: (رجس ونجس)^٢.

ومما يُلاحظ على تطبيقات علّة المُماتلة السابقة في كتاب الأشباه والنظائر اقتصارها على مُماتلة التوافق الحركي؛ ربما لأنّ السيوطي في كتابه لم يُعنّ بالدّرس الصّوتي بذاته، وإنما بالدّرس اللّغويّ العام، سيّما الصّرفي والنّحوي.

ولعلّ المثال الوحيد الذي استطاعت أن تصل إليه الباحثة على المُماتلة بين الصّوامت، هو مُماتلة ضمير المُذكَر لضمير المُؤنث، كما في حديث: "اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَّاحِ وَمَا دَرَيْنَ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا"^٣.

والأصل (أضلوا) بضمير الذكور، لأنّ الشّياطين جمع تكسير وإنما أتت المُماتلة في أكثر من كلمة لأضللن وأقللن، مُماتلة مُدبرة كُلية مُنفصلة^٤.

^١ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ١٧٢.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ١٤

^٣ النسائي، أبو عبد الرحمن: السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ٢٠٠١م، ١١٧/٨.

^٤ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ١٥.

• المبحث الرابع: علّة المخالفة الصوتيّة

تتّجه الكثير من الممارسات اللّغويّة بشكل انسيابيّ نحو تحقيق السّهولة والتّيسير في النّطق واقتصاد الجُهد العضليّ، مُرتبطة بطبيعة الصّوامت والصّوائت المكوّنة للبنية الصوتيّة. والمخالفة إحدى التّغيّرات الصوتيّة المؤثّرة في حقيقة السّهولة والتّيسير، ولا سيّما مع الثّقل النّاتج من مجاورة صوتين مُتماثلين.

وقد فطن علماء اللّغة العربيّة مُذ وقت مُبكرٍ إلى أثر المخالفة في تيسير الجُهد العضليّ، وكانوا يُعبّرون عنها بـ (كراهيّة التّضعيف) أو (كراهيّة اجتماع حرفين من جنس واحد) أو (اجتماع الأمثال مكروه)^١.

ومما قاله الخليل بن أحمد الفراهيدي مُستخدمًا مُصطلح المخالفة بصيغة الفعل المُضارع لا المصدر: (يختلف): "أما مهما فإن أصلها: ما ما، ولكن أبدلوا من الألف الأولى هاء ليختلف اللفظ"^٢.

maa/maa ← mah/maa

فقد استُبدل فونيم الهاء (h) بصائت الفتحة القصيرة (a) ، الأمر الذي أدّى إلى الانتقال من المُماثلة إلى المخالفة. وقد ذكر ابن جني في باب قلب لفظ إلى لفظ بالصنعة والتأطّف لا بالإقدام والتّعجرف أمثلة على المخالفة بين الصّوامت التي جاءت لاستئصال التّكرير، منها قول العرب: (تسرّيت) من لفظ (س ر ر) أحواله الصنعة إلى لفظ (س ري). ونحو: (قصّيت أظفاري) هو من لفظ (ق ص ص) وقد آل بالصنعة إلى لفظ (ق ص ي). والأصل في تركيب (قضي) أنه من (ق ض ض) ثم أحواله ما عرّض من استئصال تكريره إلى لفظ (ق ض ي). وكذلك قولهم : تلّعيث - من اللّعاة - أي خرجت أطلبها - وهي نبت - أصلها (ل ع ع) ثم صارت بالصنعة إلى لفظ (ل ع ي)^٣.

وقد جاء في لسان العرب أمثلة على المخالفة في كلام العرب، نحو من يقول: حنّظ في حظّ وإذا جمعوا قالوا حظوظ، ومن يقول: الرّز في الرّزّ، وأثرُنجة في أثرُجة^٤.

ومما يُلاحظ على الأمثلة السّابقة سيرها بعكس علّة المُماثلة السّابقة، حيث تعمل على تغيير أحد الصّوتين المُتماثلين في الكلمة إلى صوت آخر. فالصّوت الذي تغيّر في كلمة (حظّ) على سبيل المثال هو الظّاء الثّانية، الذي تغيّر إلى صوت من الأصوات المائعة هو النّون.

hadu / du ← han/du

^١ انظر: عبد التّواب، رمضان: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، المرجع السابق، ص ٦٢.

^٢ الفراهيدي: معجم العين، المصدر السابق، ٣/٣٥٨.

^٣ انظر: ابن جني: الخصائص، المصدر السابق، ٢/٨٨-٩١.

^٤ الرّزّ الشّيء في الأرض وفي الحائط يزرّه رزّا فازنّز أثبته فنّبّت والرّزّ رزّ كلّ شيء تثبته في شيء مثل رزّ السّكين في الحائط يزرّه فينّزّ فيه. ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ٣/١٦٥٣.

^٥ انظر: المصدر نفسه، ٢/٩١٩.

١- المطلب الأول: مفهوم علة المخالفة الصوتية.

المخالفة الصوتية إحدى طرق العرب في تحقيق السهولة والتيسير في كلامهم، وقد ذكر اللغويون تعريفات متعددة لعلّة المخالفة، منها تعريف رمضان عبد التّواب: تغيير أحد الصّوتين المُتمثالين في كلمة ما إلى صوت آخر مُخالف، يغلب أن يكون من الصّوائت الطّويلة أو أنصاف الصّوائت أو الأصوات المائعة (ر، ل، م، ن)، مُعللاً ذلك بصعوبة تتابع المقاطع والأصوات المُتمائلة في النّطق^١.

وقد عرّف أحمد مختار عُمر المخالفة بأنّها: تعديل الصّوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مُجاور، لكنّه تعديل عكسيّ يودّي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصّوتين^٢.

وقد عرّف برتيل مالبرج المخالفة بأنّها: تغيير أصواتيّ يهدف إلى تأكيد الاختلاف بين وحدتين صوتيتين. مُميّزاً بين مفهومي المخالفة والتنوّيع، فالمخالفة تكون مع الأصوات المُتمائلة المُتباعدة (المُنْفَصِلَة)، والتنوّيع يكون بين الأصوات المُتمائلة المُتصِلَة^٣.

وإذا أخبر اللّغويون بأنّ علة المخالفة هي السهولة والتيسير والاقتصاد في الجهد العضليّ، فإنّ بروكلمان أرجع علة المخالفة بين الأصوات اللّغوية إلى أسباب نفسية محضة حيث قال: إذا توالى مقطعان، أصواتهما الصّامتة مُتمائلة، أو مُتشابهة جدّاً، الواحد بعد الآخر في أول الكلمة، فإنّه يُكتفى بواحد منهما، بسبب الارتباط الذّهني بينهما^٤.

وكما تكون المخالفة بين الصّوامت فإنّها تكون بين الصّوائت، وتُسمّى حينئذٍ: (المخالفة التّوعية بين الحركات). نحو جمع المؤنّث السّالم، الذي يُنصب بالكسرة بدلاً من الفتحة، فإنّ الأصل هو النّصب بالفتح، وقد بقي شيء من الرّكّام اللّغوي شاهداً على ذلك، كما روي عن الكوفيين عن بعض العرب قولهم: سمعت لغاتهم. ونحو نصب اسم (لعلّ) وخبرها، وقد علّل رمضان عبد التّواب نصب الجزأين في اسم لعلّ وخبرها بأنّ (ليت) أصلها: (رأيت)، بدليل بقاء هذا الأصل، بعد تخفيف الهمز، في اللّهجات العامية، إذ يقال في مصر مثلاً: (يا ريتني غني!). وقد قلبت راؤها لأمّا منذ زمن بعيد في الفصحى، وحُمّل التّمني في معناها، على التّرجي في (لعلّ)^٥.

ومن الرّكّام اللّغويّ الشّاهد على نصب الجزأين بعد (ليت) قول عبد الله بن مسلم الهذليّ:

لكنّه شاقّه أن قيلَ ذا رَجَبٍ يا لَيْتَ عِدَّةَ دَهْرِي كُلِّهِ رَجَباً

-- ب - / - ب - - / - ب - - / - ب - - - - ب - / - ب - ب -

^١ انظر: عبد التّواب: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، المرجع السابق، ص ٥٧.

^٢ انظر: عمر، أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، المرجع السابق، ص ٣٨٤.

^٣ انظر: مالبرج، برتيل: علم الأصوات، ترجمة: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ١٤٨.

^٤ انظر: بروكلمان، كارل: فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التّواب، جامعة الرياض، السعودية، ١٩٧٧م، ص ٧٩.

^٥ انظر: عبد التّواب، رمضان: بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، ط ٣، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٧٣-٧٥.

^٦ ثعلب، أبو العباس: مجالس ثعلب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، ط ٢، ٢٠٠٨م، ٩/ ٤٠٧. البحر البسيط.

والتقطيع العروضيّ السّابق ينفي أن تكون المُخالفة التي في نصب خبر (ليت) جاءت من قبيل القافية، حيث إن المُخالفة جاءت في علّة الضّرب التي تُشبع ما دامت مُتحرّكة سواء بالفتح أم الضّم.

ومن الشّواهد الشّعريّة على نصب جزأي (ليت)، قول الشاعر:

ألا يا لَيْتِي حَجْرًا بَوَادٍ أقامَ وَلَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدُنِي^١

ب - - - / ب - ب - ب - / ب - - - ب - - -

موطن الشّاهد في البيت السّابق في ليت الأولى (يا ليتني) التي نصبت الخبر والأصل رفعه، أما ليت الثّانية (ليت أمي) فلم تظهر القرينة اللفظية على الشّاهد كون الخبر جاء على هيئة جُملة فعلية.

ومما يتضح في هذا الشّاهد الشّعريّ أنّ المُخالفة لم تأتِ مُساندة للضرورة الشّعريّة، حيث لو رُفِع خبر (ليتني) على الضّم لبقى التقطيع العروضي نفسه، مُتمثلاً بالمقاطع الآتية: (ب ب -) سيّما دخول التّنوين في الرّفْع والنّصب.

وبناء على ذلك فقد عرّف تمام حسان المُخالفة بالنّظر إلى القيم الخِلافية المؤثّرة بالوجه الإعرابيّ قائلاً: هي مظهر من مظاهر تطبيق استخدام القيم الخِلافية بجعلها قرائن معنوية على الإعرابات المُختلفة. كما في المثالين الآتيين:

- نحن العربُ نُكرم الضّيف ونُغيث الملهوف.

- نحن العربُ نُكرم الضّيف ونُغيث الملهوف.

فالعربُ في الجملة الأولى خبر، وما بعده مستأنف، والعربُ في الجملة الثّانية مفعول به منصوب على تقدير أخصّ، وما بعده خبر، ولو اتّحد المعنى لاتّحد المبني، ولأصبحت الحركة واحدة فيهما، ولكن إرادة المُخالفة بينهما كانت قرينة معنوية تتضافر مع اختلاف الحركة لبيان أن هذا خبر وهذا مختص .

وعلى النّقيض من الميل نحو السّهولة والتيسير في علّة المُخالفة، تجد اللّغة أحياناً تميل نحو الصّعب، فتهمز ما ليس أصله الهمز حفاظاً على قوانينها وثوابتها، كأن تتحاشى الجمع بين الساكنين فتهمز (الضّالّين) في قوله تعالى: ﴿وَلَا الضّالّينَ﴾^٢. وتهمز دون التّقاء ساكنين نحو

قراءة (سأقيها) بالهمزة، في قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصّرحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ

عَن سَاقِيهَا﴾^٣. وقد يؤثّر الهمز أحياناً في تغيير المعنى، ممّا يُثري النّص القرآنيّ، نحو قراءة

^١ السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، مصدر السابق، ١/ ١٣٤. البحر الوافر.

^٢ عمر، أحمد مختار - مكرم، عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية، مرجع السابق، ١/ ١٤. سورة الفاتحة: ٧.

^٣ عمر، أحمد مختار - مكرم، عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية، مرجع السابق، ٤/ ٣٥٧. سورة النمل: ٤٤.

(خُطَوَات) ^١ في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ ^٢، حيث يُحتمل أن تكون جمع خُطوة، والهمز من قبيل همز ملا يهمز، ويُحتمل أن تكون من الخطأ ^٣.

وبناءً على ما سبق ترى الباحثة أنّ مفهوم المُخالفة عليه أن يتّسع ليشمل كلّ سلوك لغوي مؤثّر في تعديل بنية المُماثلة الصّوتية إلى المُخالفة الصّوتية، سواء بالتّغيير أم بالحذف أم بالزيادة، وألاً ينحصر في سلوك التّغيير فقط؛ ذلك أنّ الغاية التي تجمع السلوكات اللّغوية على اختلافها واحدة، وتتمثّل في تأكيد الاختلاف بين الوحدتين الصّوتيتين؛ لتحقيق السّهولة والتّيسير، والاقتصاد في الجهد العضلي والنّفسي.

^١ المرجع نفسه، ٤ / ٢٤٢.

^٢ سورة النور: ٢١.

^٣ انظر: القادوسي، عبد الرزاق: أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية، تاج العروس أنموذجاً، مرجع السابق، ص ١٣٩.

وقد أخبر السيوطي أنّ إبدال الهاء من نصف الصّامت الياء كراهة اجتماع الأمثال^١، أيّ أنّ الإبدال قام لعلّة المُخالفة بين المُتماثلين لتحقيق السّهولة والتيسير على النّحو الآتي:

hu/nay/ya/tun ← hu/nay/ha

٣- المُخالفة بالإبدال الصّوتي في حيوان وأصلها حيان، حيث قُلبت الياء الثّانية واوًا وإن كانت الواو أثقل منها كراهة اجتماع الأمثال^٢. وقد ذكر ابن جني علّة إبدال المُخالفة في (حيان) تحت باب: (العدول عن التّقليل إلى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف)^٣ أيّ الفرار من ثقل الصّوتين المُتماثلين بعلّة المُخالفة.

ḥa/ya/yaan ← ḥa/ya/waan

٤- المُخالفة بالإبدال الصّوتي في وزن (فيعال) الذي أصله (فَعَال)، نحو: دينارٌ وديباجٌ وقيراطٌ وديماسٌ وديوانٌ، أصلها دَنَارٌ ودَبَاجٌ ودَوَانٌ وقَرَاطٌ ودمَاسٌ، قلب أحد حرفي التّضعيف ياء كراهة اجتماع الأمثال^٤. واستدلّ ابن جني على أنّ الإبدال جاء لاستتقال توالي الأمثال بجمع: (دبابيج) بالباء على أن أصله (دَبَاجٌ) وأنه إنما أبدل الباء ياء استتقالاً لتضعيف الباء^٥. ويُمكن بيانه على النّحو الآتي:

dii/naa/run ← din/naa/run

dii/baa/gun ← dib/baa/gun

qii/raa/Tun ← qir/raa/Tun

dii/maa/sun ← dim/maa/sun

dii/waa/nun ← diw/waa/nun

^١ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، مصدر السابق، ص ٢٤.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ٢٤.

^٣ انظر: ابن جني: الخصائص، مصدر السابق، ١٨ / ٣.

^٤ ḥ : رمز صوت الحاء.

^٥ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، مصدر السابق، ص ٢٤.

^٦ انظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، مصدر السابق، ٣٧٣ / ٢.

٥- المُخالفة بالإبدال الصَوْتِيّ في الفعل: (لَبَّيْتُ) وأصله (لَبَّبْتُ). أبدلت الباء الثانية ياء هرباً من توالي الأمثال^١، فصار: (لَبَّبْتُ)^٢.

lab/ba/ba ← lab/bab/tu ← lab/bay/tu

ومما يلحظ على التمثيل الصوتي السابق، أنّ الإبدال الصوتي من الباء إلى الياء ضروريّ لتحقيق السهولة والتيسير، ولا سيّما مع الجهد العضليّ الذي يوفّره النطق بثلاثة باءات في بنية واحدة.

٦- المُخالفة عند توالي همزتين بإبدال الهمزة الثانية ياء، كما في اسم الفاعل من الفعل المعتل الأجوف، نحو: (جاء) و(شاء). حيث تُقلب عين الفعل همزة عند صياغة اسم الفاعل من الفعل المعتل الأجوف، فإذا كانت لام الفعل همزة يحدث التقاء همزتين (جائي - شائي)، ولاستئصال اجتماع الهمزتين قلبت الأخيرة ياء (جائي - شائي) وقاعدة الاسم المنقوص النكرة تقوم على حذف الياء والتعويض عنها بتنوين العوض (جاء - شاء)^٣.

gaa/?i? ← gaa/?ii ← gaa/?in

jaa/?i? ← jaa/?ii ← jaa/?in

ومما يُمكن ملاحظته على التمثيل السابق أن ياء الاسم المنقوص لم تُحذف ولم تتعرّض لاجتزاء، وإنّما حصلت مخالفة صوتيّة أخرى تتمثل بإبدال الجزء الثاني من الياء الطويلة نون.

ومن الشواهد الشعريّة التي أوردها ابن جني في باب شواذ الهمز على اجتماع الهمزتين دون مُخالفة، وأنّ الاحتفاظ بصورة الهمزتين في (جائي) لم يأت من قبيل الضرورة الشعريّة:

فإنّك لا تُدرِي متى الموتُ جائيٌ إليك ولا ما يُحدثُ الله في غدٍ

ب - ب / ب - ب / - - ب / - - ب / - - ب - ب

٧- المُخالفة عند النسب إلى المعتل لآخر، كما في: (شج: شجوي) و(عم: عموي)، والقياس على (شجبي) و(عمبي)، حيث أبدلت الياء الأولى واوا كراهة اجتماع الأمثال، وفتحت عين الكلمة، على النحو الآتي:

ja/ga/wiyy ← ja/gi/yiyy

^١ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، مصدر السابق، ص ٢٤.

^٢ انظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، مصدر السابق، ٢/ ٧٤٦.

^٣ السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، مصدر السابق، ص ٥٠.

^٤ ابن جني: الخصائص، مصدر السابق، ٣/ ١٤٥. البحر الطويل

^٥ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، مصدر السابق، ص ٢٨-٢٩.

3a/ma/wiyy ← 3a/mi/yiyy

ومما يمكن رؤيته أن التطور التاريخي عبر الزمان أثر على (شج) بالتنوين مولدًا منها جذورًا حفظتها اللغة العربية في معاجمها على أنها جذور، فالشجُو بالواو هو الهمُّ والحزُن^١، والشجَبُ بالباء هو الهمُّ والحزُنُ والأعرَفُ شَجُنُ بالنون^٢، والشجُنُ بالنون هو الهمُّ والحزُن^٣. ولعلَّ علَّة التطور الصوتي بين (شج) بالتنوين، و(شجن) بالنون تتبين بعلَّة الوضوح السمعي بين التنوين والنون، ولعلَّ علَّة التقارب المخرجي بين الباء والنون والاشتراك المخرجي بين الباء والواو توضح علَّة التطور الصوتي بين (شجن) و(شجب) و(شجو).

٨- المخالفة النوعية بين الصوائت عند التقاء الساكنين، فإذا التقى ساكنان، الأول أصلي والثاني لام التعريف بعد سقوط همزة الوصل وصلًا، يُحرَّك الأول الأصلي بالفتح أو الضم أو الكسر، طلبًا للسهولة والتيسير.^٤

نحو: (مِنَ النَّاسِ)، وقوله تعالى: ﴿فَمِ الْيَلِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^٥، ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾^٦ وصلًا، حيث إنَّ همزة الوصل التي اجتلبت للتوصل بالتطوق بالساكن تسقط وصلًا، فظهرت الحاجة لتحريك الساكن الأول لتشكيل المخالفة النوعية بين الساكنين التي يتوصل من خلالها إلى التخلُّص من التقائهما، على النحو الآتي:

mi/nan /naa/si ← min/?in/naa/si

ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص

qu/mil/lay/la ← qum/?il/lay/la

ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص

bi/hu/mul/?as..... ← bi/him/?il /?as.....

ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص

^١ ابن منظور: لسان العرب، مصدر السابق، ٢٢٠٣/٤.

^٢ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، مصدر سابق، ٢١٩٦/٤.

^٣ المصدر نفسه، ٢٢٠١/٤.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ص ٢٩ / ص ٣٣٤.

^٥ سورة المزمل: آية ٢.

^٦ سورة البقرة: آية ١٦٦.

المبحث الخامس: علة الإبدال الصوتي

علة الإبدال علة لغوية كثيرة الدوران في أمات كُتِب اللّغة العربيّة، حيث صنّفت فيها مُصنّفات خاصّة، نحو كتاب القلب والإبدال لابن السكيت (٢٤٤هـ)، وكتاب الإبدال لأبي الطيّب اللّغويّ (ت ٣٥١هـ) وغيرها، كما صنّفت ضمن مُصنّفات عامة تناولتها بشكل عام ضمن أبوابها.

وقد أفرد السيوطي في كتبه: الأشباه والنظائر في النّحو، والمزهر في علوم اللّغة العربيّة وأنواعها، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع، أبوابًا خاصّة لعلة الإبدال نقل فيها ما قدّمه علماء اللّغة العربيّة عن علة الإبدال، من حيث إنّها سنّة من سنن العرب تقوم على إبدال أصوات اللّغة العربيّة وإقامة بعضها مقام بعض، نحو مَدَحَه وَمَدَهه، وفَلَقَه وفَرَقَه، وجاسوا وحاسوا، وفناء الدار وثناء الدار، وجدّث القبر وجدّث القبر، وهَرَّت الثّوب وهَرَدَه إذا خَرَقَه، كما نقل أنّ المراد من الإبدال ليس تعويض صوت مكان صوت وإنّما هو لغاتٌ مختلفة لمعانٍ مُتَّفقة تتقاربُ اللَّفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفا إلا في صوتٍ واحد^١.

١- المطلب الأوّل: مفهوم علة الإبدال الصوتي

اختلف علماء اللّغة العربيّة المُتقدّمون في تحديد ما يدخل ضمن علة الإبدال، فمنهم من رأى أنّ كلّ لفظين اختلفا في صوت واحد، واتّفقا في سائر الأصوات هما من باب الإبدال، ومن هؤلاء أبو الطيّب اللّغويّ. ومنهم من يشترط لكي تُعدّ الكلمتان من الإبدال تقارب الصوتين، أي: وجود علاقة صوتيّة بينهما تُسوّغ إحلال أحدهما محل الآخر، مثل علاقة التقارب المخرجي، ومن هؤلاء ابن جني^٢.

أمّا المُحدثون ومنهم صُبّحي الصّالح فقد عرف الإبدال على أنّه تنوّع لهجيّ، يقوم على إبدال صوت مكان صوت، ولم يُفسّره على أنّه ضرب من المُصادفة أو الاتّفاق، ولا بتعمّد العرب تعويض صوت من صوت، وقد أيدّ كلامه بملاحظة الشّواهد التي تكشف تخالف العرب في نُطق الأصوات، فتميم تجنح إلى الأشدّ الأفخم؛ لأنّها بدويّة، وفُريش تختار الأرقّ الأنعم؛ لأنّها حضريّة^٣.

ويرى إبراهيم أنيس أنّ الإبدال كلمات جاءت نتيجة التطوّر الصوتي؛ أي أنّ الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروي لها المعاجم صورتين أو نطقتين، ويكون الاختلاف بين الصّورتين لا يجاوز صوتاً من أصواتها، نستطيع أن نُفسّرها على أنّ إحدى الصّورتين هي

^١ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ١٥ / انظر: السيوطي، جلال الدين: المزهر في علوم اللّغة العربيّة وأنواعها، المصدر السابق، ٣٥٥/١. انظر: السيوطي: جلال الدين: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، المصدر السابق، ٤٦٦/٣.

^٢ انظر: قشاش، أحمد بن سعيد: الإبدال في لغات الأردن، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ٢٠٠٢م، ص ٤٣٢-٤٣٣.

^٣ انظر: الصّالح، صبحي: دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٦٠م، ص ٩٦.

الأصل والأخرى فرع لها أو تطوّر عنها، غير أنّه في كلّ حالة يُشترط أن نلاحظ العلاقة الصوتية بين الصوتين المبدل والمبدل منه^١.

ومما يمكن أخذه على أحمد مختار عمر ترجمته التّغيرات النّحويّة التي ذكرها ماريوباي في كتابه (أسس علم اللّغة) تحت مصطلح الإبدال، حيث قال: التغيير في صوت العِلّة من foot إلى feet ومن man إلى men يندرج تحت مصطلح الإبدال replacement، ومعناه تغيير أحد فونيمات الكلمة للحصول على صيغة نحوية مختلفة^٢.

والإبدال في اللّغة العربيّة على ضربين: الإبدال القياسيّ (المُطرّد) ويكون لازماً في الاستعمال، نحو إبدال تاء الافتعال في اصتبر إلى طاء لتصير (اصطبر).

والإبدال السّماعيّ (غير المُطرّد) الذي يأتي تبعاً للّهجات والعادات النّطقيّة عند الشّعوب، من باب السّهولة والتّيسير. وسيأتي البيان في تطبيقات علة الإبدال الصّوتيّ.

^١ انظر: أنيس، إبراهيم: من أسرار اللّغة، مكتبة أنجلو المصرية، مطبعة البيان العلمي ط ٢، ص ٥٨.

^٢ انظر: ماريوباي: أسس علم اللّغة، المرجع السابق، ص ١٠٦.

٢- المطلب الآخر: تطبيقات علة الإبدال الصوتي في شواهد الأشباه والنظائر

١- علة إبدال إعراب أواخر الكلم بالصّوامت بدلاً من الصّوائت، على الرّغم من أنّ غالب معهود العرب في كلامها الإعراب بالصّوائت، قد تأتي لغاية تصحيح نظام البنية المقطعية. كما في إعراب الأفعال الخمسة التي تُرفع بثبوت النّون، وتُنصب وتُجرم بحذفها، فإذا أخذنا نموذج النصب لهذه الأفعال على سبيل المثال، كما في (لن يدرسا الولدان) ونصبنا الفعل بالفتح وأثبتنا النون، لتشكّل مقطع مرفوض في اللّغة العربية يتمثّل بتوالي ثلاثة صوائت، على النّحو الآتي:

lan/yad/ru/saaan

ولوجب سقوط ضمير الاثنين التي قبلها، لتعديل النّظام المقطعي، ومن ثمّ فإنّ سقوط ضمير الاثنين لتعديل البنية، يؤدّي إلى خلل في إسناد الفعل لضميره^١ على النحو الآتي:

lan/yad/ru/san

لذا كان من باب أولى معالجة توالي الصوائت، بنصب الفعل على حذف النون، ومعالجة التقاء الساكنين بين ألف الاثنين وألف التعريف بعده، بالفونيم التطريزي (النّبر).

lan/yad/ru/saal/wa/la/daa/ni

٢- علة إبدال الفتح بالضمّ في الاسم المصغر هي علة صوتية، حيث لو كسر الأوّل لاجتمعت كسرتان مع ياء التّصغير وثقل النّطق بتوالي الأمثال، ولو فُتح الأوّل لاجتمعت فتحتان وثقل النطق بتوالي الأمثال.^٢ كما في المثال الآتي:

du/ray/him ← da/ray/him ← dj/ray/him ← dir/ham


٣- من الشّواهد التي وردت في كتاب السيوطي ويمكن أن تُدرج تحت علة الإبدال السّماعي ما أسماه السيوطي بالتّفاص. والتفاصّ علة صوتية أساسها الشّيوخ والكثرة التي تؤدي إلى تسهيل النّطق، أي أنّ كثرة قصّ الكلم (سرده وتداوله) أثّرت في إبدال صوت من أصواته مكان الآخر، كما في إبدال الهاء همزة نحو: ماء وشاء وأصلهما موه وشوه^٣، أو إبدال الهمزة هاء، نحو: أرقت الماء في هرقت الماء وأرحت الماشية في هرحت الماشية وهياك في إياك^٤.

^١ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ٩٥.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ٢٨.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ص ١٢٦-١٦٣.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ص ٢٢١-٢٢٢.

ولعلّ التناوب في إبدال الهمزة هاء، وإبدال الهاء همزة لتحقيق السهولة والتيسير قادر على بيان أنّ مفهوم السهولة والتيسير مفهوم نسبيّ يختلف من شخص لآخر. سيّما أنّ ظاهر السهولة والتيسير يتحقّق بإبدال الهمزة هاء، كونه انتقل من صوت حنجريّ انفجاريّ صعب إلى صوت حنجريّ احتكاكيّ سهل.

٤- ومن أمثلة الإبدال القياسيّ في شواهد الأشباه والنظائر ما نقله السيوطي في كتابه من قول بعضهم التقطت النوى واستقطت النوى وامتقطت النوى فقد يجوز أن تكون الضاد بدلاً من اللّام، والسّين بدلاً من اللّام^١. ويبدو أنّ الإبدال في الثانية هو إبدال الشّين من اللّام وليس السّين من اللّام كما جاء في الخصائص: "التقطت النوى واشتقطته وامتقطته، فقد يجوز أن تكون الضاد بدلاً من الشّين في اشتقطته"^٢. والشاهد الشّعري على إبدال الضاد لأمّ، قول منظور بن حية الأسد يصف ذنباً يطارد فريسة^٣:

ياربّ أباز من العفر صدع تقبض الذئب إليه واجتمع
لما رأى أن لادعه ولا شيبع مال إلى أرطاة جفّف فأطجع

أبدل لام الطجع من الضاد وأقر الطاء بحالها مع اللام ليكون ذلك دليلاً على أنها بدل من الضاد^٤. وذلك على النحو الآتي:

أصل الكلمة من (ضَجَع) بمعنى ارتاح، عند صياغتها على وزن افتعل، تصبح (اضتجع)، ومن ثمّ يحدث أن يتأثر صوت التاء بصفة الإطباق في الضاد المجاورة له، فينقلب إلى نظيره المفخم وهو الطاء، لتصبح الكلمة (اضطجع). ويحدث إبدال الضاد لأمّ (الطجع)، على النحو الآتي:

?il/Ta/ga3 ← ?id/Ta/ga3

^١ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ٣٥١-٣٥٢.

^٢ ابن جني: الخصائص، المصدر السابق، ٣٥١/٢.

^٣ الأسترابادي: شرح شافية ابن الحاجب، المصدر السابق، ٣٢٤/٢. بحر الرّجز، أباز من الأبرز أي كثير الففز، والعفر الطّبي المعفر بالتراب، صدع: أي حجمه معتدل لا بالضخم ولا بالصغير، تقبض الذئب بمعنى جمع أنفاسه وتهياً للوثوب على الطّبي، لا دعة: أي لا راحة. مال بمعنى ركن، أرطاة: شجر له ثمر كالغناص، جفّف: ما اعوج من الشجر. يصف الشاهد حال الذئب الذي تعب في مطاردة فريسته بحثاً عن الطعام والراحة، إلى أن ركن بجانب شجرة ليستريح. انظر: النجار، محمد عبد العزيز: ضياء السالك إلى أوضاع المسالك، مؤسسة الرسالة، ط ١، ٢٠٠١م، ٣٥٤/٤.

^٤ السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ٣٥١-٣٥٢.

المبحث السادس: علة الحذف الصوتي

تحتلّ علة الحذف الصوتي في اللسان العربي حيزاً ملموساً؛ ذلك أنّ غايتها التخفيف وتحقيق السهولة والتيسير. وعن غايتها أخبر التفتازاني حيث قال: الحذف رعاية لأمر لفظي، لا يفتقر إليه في تأدية أصل المراد، ولو صرّح به لكان إطناً بل تطويلاً^١.

وتظهر علة الحذف جلياً في شواهد التطور اللغوي، تلك الشواهد التي تعكس الاختلاف الذي يطرأ على اللفظ الواحد عبر مرور الزمن، وضمن بيانات مختلفة. وقد تناول رمضان عبد التّواب علة الحذف تحت عنوان: (بلى الألفاظ). أي أنّ كثرة استعمال الألفاظ تُبليها وتجعلها عرضة للحذف والقص. ومن الشواهد التي ذكرها على علة (بلى الألفاظ) ما يأتي^٢:

| | | |
|----------------------------|---|-------------|
| أنعم صباحاً | ← | عم صباحاً |
| صَبَحَكَ اللهُ بِالْخَيْرِ | ← | الله بالخير |
| للساعة | ← | لسة |
| أي شيء تقول | ← | إيش |
| من أين | ← | منين |

وكون الحذف يأتي طلباً للاختصار، فهذا لا يعني كونه والاختصار واحداً، فالاختصار كما بيّنه العسكري في الفروق اللغوية يرجع إلى المعاني، وهو أن يؤتى بلفظ مفيد لمعان كثيرة لو غير بغيره، لاحتاج إلى أكثر من ذلك اللفظ، فبين الحذف والاختصار عموم وخصوص، فكلّ حذف اختصار، وليس كل اختصار حذف^٣. وقد أوضح الثعالبي أنّ غاية الحذف، نفسية محضة، تتجلى في حفظ توازن اللغة، حيث قال: "العرب تزيد وتحذف حفظاً للتوازن وإيثراً له"^٤.

وقد ذكر السيوطي أنواعاً مختلفة من الحذف التي يمكن أن تشكل بذاتها أسباباً خاصة،

وهي:

١- الحذف الاعتيادي: أي الحذف الذي لا يملك مسوغاً، وذلك عندما قال: قد تحذف النون اعتباراً عيناً ولاماً، كما في منذ ولدن (مُذ - لُد)°.

٢- الحذف للطول: واستدل عليه بقول الشاعر: أبني كليب إن عمي اللذا^٥.

٣- الحذف للاختصار: حيث قال: تُحذف الياء لكثرة الكلام كما في لا أدر^٦.

^١ انظر: التفتازاني، سعد الدين: مختصر المعاني، دار الفكر، ط١، ١٤١١هـ، ص١٦٢.
^٢ انظر: عبد التّواب، رمضان: التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، المرجع السابق، ص١٣٥-١٤٤.
^٣ انظر: العسكري: أبو هلال: معجم الفروق اللغوية، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، إيران، ١٤١٢هـ، ١٧٩-١٨٠.

^٤ الثعالبي، أبو منصور: فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠٢م، ص٢٣١.

^٥ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص٣٦٤.

^٦ انظر: المصدر نفسه، ص٣٦٤.

^٧ انظر: المصدر نفسه، ص٣٦٥.

١- المطلب الأول: تطبيقات على علة الحذف للتخفيف في شواهد الأشباه والنظائر

١- إذا اجتمعت همزتان مُتَفَتَتان في كلمتين نحو: جاء أجْلهم، والبغضاء إلي، أولياء أولئك جاز حذف إحداهما تخفيفاً. على النحو الآتي:

gaa/?a-?a/ga/lu/hum ← (يجوز حذف إحدى الهمزتين)

وعليها قراءة ابن محيصن (سواء عليهم أنذرتهم)^٢ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^٣ بحذف همزة الاستفهام في (ءأنذرتهم) للتخفيف^٤. على النحو الآتي:

?an/?an/dar/ta/hum ← ?an/dar/ta/hum

٢- إذا اجتمعت ياءان في كلمة واحدة، نحو: يستحي بيائين في لغة الحجاز وأما تميم فتقول يستحي بياء واحدة فيحذفون إحدى اليائين تخفيفاً^٥. وذلك على النحو الآتي:

Yas/ta/ħii ← Yas/taħ/yii/yii

ومما يُلاحظ على البنية المقطعية السابقة، أنها لم تتعرض لتخفيف بحذف الياء فقط، وإنما تقليل لعدد المقاطع الصوتية المكونة للبنية اللغوية، من خلال حذف الياء الأولى، واجتزاء الياء الثانية.

٣- اجتزاء الصائت الطويل بصائت قصير، وذكر السيوطي عليه الشاهد الشعري الآتي:

كَفَاكَ كَفَتْ لَا تَلِيْقُ دِرْهَمًا جوداً وَأُخْرَى تُعْطِ بِالسَّيْفِ الدَّمَآ

-- ب -- /- ب - ب - ب - -- ب -- /- ب - ب - ب -

ومما يلاحظ على التقطيع العروضي السابق أنّ الحذف لم يأت لغرض التخفيف بقدر ما جاء لغرض الضرورة الشعرية، إذ لو لم تُجتزأ الياء المدية الطويلة بكسرة قصيرة لاختلّ الوزن

^١ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ٤٨.

^٢ عمر، أحمد مختار- عبد العال سالم مكرم: معجم القراءات القرآنية، مرجع السابق، ٢٢/١. سورة البقرة: ٦.

^٣ سورة البقرة: ٦.

^٤ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ٤٩-٥٠.

^٥ انظر: المصدر نفسه، ص ٤٩.

^٦ ابن جني: سر صناعة الإعراب، مصدر السابق، ١٧٧ / ٢. بحر الرجز. يظهر من البيت الشعري السابق أنه أنشئ في غرض المدح، حيث يمدح الشاعر شخصاً ما بكرمه وكيف أنه لا يليق درهما بيده أي لا يبغي، كناية على شدة السخاء، ويمتدحه بالشجاعة، فاليد الثانية اعتادت على الدماء كناية على الفروسية والشجاعة.

الشّعريّ وتشكّلت التفعيلة الآتية: (- - -). ومنه قوله تعالى: ﴿يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ﴾^١ بحذف ياء المتكلم، وهو كثير أن تحذف الصائت الطويل وتُقرّ الصائت القصير نائباً عنه ودليلاً عليه^٢.

٤- الحذف للتخفيف من قد وقط إذ أصلهما التثقل، أي التشديد؛ لأنّهما من قددت وقططت^٣.

qad ← qadd

qaT ← qaTT

٥- تخفيف ياء سيّما، من خلال حذف أحد المثلين، نحو قول الشاعر^٤:

فَهْ بِالْعُقُودِ وَبِالْإِيْمَانِ لِاسِيْمَا عَقْدَ وِفَاءٍ بِهِ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرْبِ

- - - ب / - ب - / - - ب - / - ب - - - - ب / - ب - / - - ب - / - ب -

الشاهد في تخفيف (سيّما) التي تتكون من جزأين (سيّ بمعنى: مثل + ما)، بحذف فونيم الياء، على النحو الآتي:

Si/ya/ma ← Siy/ya/ma

ومما يلاحظ على التقطيع العروضي السابق، أنّ الحذف جاء من قبيل الضرورة الشعريّة، حيث إن تفعيلة عروض البسيط لا تأتي تامّة، ويجب فيها الحذف، وبقاء التشديد لاسم لا النافية للجنس (سيّ) يُشكّل التفعيلة الرئيسيّة (- ب-)، وزوال التشديد يُشكّل التفعيلة الثانويّة (ب ب -).

٦- حذف حرف الجرّ (الباء)، كما في: كيف أصبحت: خير عافاك الله. أي بخير، ويمكن عدّ قراءة حمزة: (وَالْأَرْحَامِ) بالكسر^٥، في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^٦. على من ذهب إلى حذف حرف الجرّ الباء، أي: بالأرحام؛ حيث إنّ

^١ سورة الزّمر: آية ١٦.

^٢ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ٢٠١.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ص ٣٣١.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ص ٤٤.

^٥ انظر: المصدر نفسه، ص ٢١٧.

^٦ عمر، أحمد مختار- عبد العال سالم مكرم: معجم القراءات القرآنية، المرجع السابق، ١٠٤/٢. سورة النساء: ١.

في توجيه القراءة خلاف بين من أول الجارّ، ومن أنكر عطف الاسم الظاهر على المضمّر إلا بتكرار الجارّ، ومن عدّ الواو في: (والأرحام) للقسم.

٨- أخبر السيوطي أنّ تصغير (صمّح) ^١ على (صمّيح) بحذف الحاء الأولى ^٢. ولعلّ الحذف للحاء والميم، إذ إنّ في (صمّح) تكرار لأصوات أصول وتأتي على وزن (فعلعل)، وعند التصغير تُصبح (صمّيح) على وزن (فُعَيْل). على النحو الآتي:

Sa/maḥ/ma/ḥu ← Su/may/ḥu

٩- المضارع المبدوء بالتاء إذا كان ثانيه تاء يجوز الاختصار فيه على إحدى التائين نحو تتعلّم وتتكلّم تخفيفاً ^٣. وعليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّابِرُوا بِأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ ^٤ وأصلها (تتنابزوا) على النحو الآتي:

ta /naa/ba/zuu ← ta/ta/naa/ba/zuu

^١ صمّح: الرجل القوي الغليظ، ورأس صمّح أي أصلع ذو جبهة عالية. انظر: ابن السراج: الأصول في النحو، المصدر السابق، ٢١٣/٣.

^٢ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ٥٣.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ص ٤٣.

^٤ سورة الحجرات: آية ١١.

٢- المطلب الثاني: تطبيقات على علة الحذف للالتقاء الساكنين في شواهد الأشباه والنظائر

١- إذا التقى ساكنان فإن اللغة العربيّة تسعى للتخلص من هذا الالتقاء بحذف أحدهما، نحو قوله تعالى: ﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَطْلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾^١ وقوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ تُكْرِهُونَ ﴾^٢. على النحو الآتي:^٣

yam/ħul/laa/hu ← yam/ħuu/?il/laa/hu

yad/3ud/daa/3i ← yad/3uu/?il/daa/3i

٢- استخدم السيوطي مُصطلح (هجوم الحركات على الحركات) لبيان تغلب إحدى الحركات على الأخرى وحذفها لها عند الالتقاء ، كما في (يغزون) أصلها (يغزؤون) الواو الأصلية من الفعل (غزا - يغزوا) واواو التي هي ضمير الجماعة، فحذفت الواو الأولى لسكونها وسكون واو الضمير^٤. على النحو الآتي:

yaʕ/zuun ← yaʕ/zuu/uun

٣- قولهم بعث وقلت فهذه معاملة الأصل الأقرب لأن أصلهما بيع وقول بفتح العين وعند التقاء الساكنين حذفت العين^٥. على النحو الآتي:

bi3/tu ← bii3/tu

qul/tu ← quul/tu

٤- جمع أخو وأبو، الأصل: أخون وأبوون كراهة توالي الأمثال، ولما لم يكن هناك توالي أمثال في المثني لم يتم الحذف فنقول: أبوان وأخوان^٦. على النحو الآتي:

?a/xuun ← ?a/xuu/uun ← ?a/xuu

?a/buun ← ?a/buu/uun ← ?a/buu

^١ سورة الشورى: آية ٢٤.

^٢ سورة القمر: آية ٦.

^٣ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق ، ص ٢٠١-٢٠٢.

^٤ انظر: المصدر نفسه ، ص ٢٠٢.

^٥ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق ، ص ٣٥٧.

^٦ انظر: المصدر نفسه ، ص ٢٥-٢٦.

٥- ذو بمعنى صاحب أصلها ذوو بوزن فعل فتمّ حذف إحدى الواوين.^١ على النحو الآتي:

đuu ← đuuuu

٦- الوقوف على المقصور المُنَوَّن، نحو: رأيت عصا، فالتقدير على الوقوف بألفين لام الكلمة والألف التي هي بدل من التنوين فحذفت إحدى الألفين. على النحو الآتي:

3a/ʒan ← 3a/ʒaa/aa

٧- إذا لحقت تاء التأنيث الفعل المُعتَلّ اللّام حذفت اللّام لالتقاء الساكنين نحو رمت^٣. ولعلّ الكتابة الصّوتية لهذه البنية اللّغويّة قادرة على بيان الاجتزاء الذي حدث للام الكلمة من فتحة طويلة (aa) إلى فتحة قصيرة (a)، فما حدث لها ليس حذفًا كاملاً بل اجتزاء، على النحو الآتي:

ra/mat ← ra/maat

^١ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ٤٥.

^٢ ʒ : صوت الصاد (الشرطة في وسط ʒ تشير إلى التفخيم).

^٣ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ٣٠٨.

٣- المطلب الثالث: تطبيقات على علة الحذف لكثرة الاستعمال في شواهد الأشباه والنظائر

١- الأصل في نرى نرأى، وفي يرى يرأى، وفي ترى ترأى حذفتم الهمزة تخفيفاً لكثرة الاستعمال^١. ذلك أن أصل الفعل (رأى) وبدخول حرف المضارع عليه يصبح (نرأى)، وقد حذفتم عين الكلمة تخفيفاً على النحو الآتي:

na/raa ← nar/?aa

٢- الترخيم سلوك صوتي يأتي للتسهيل ويكون للمنادى، فإذا انتهى المنادى بالتاء المربوطة نحو: ثبة وعضة، فإنها تبدل هاء عند الوقف ومن ثم يُستساغ حذفها نحو: يا ثبُ ويا عضُ^٢. وقد أخبر السيوطي أن علة الحذف في الترخيم كثرة الاستعمال^٣. وقد أخبر ابن جني أن المحذوف في (ثبة) اللام دون الفاء والعين، واستدل على ذلك أن الثبة: الجماعة من الناس وغيرهم^٤. كما بين ابن جني قاعدة ترخيم الاسم الثلاثي، فإذا كان الاسم على ثلاثة أحرف لم يجز أن ترخمه لأنه أقل الأصول، فلم يحتمل الحذف لئلا يلحقه الإجحاف به فإن كان الثالث هاء التأنيث جاز ترخيمه تقول في ترخيم ثبة يا ثب أقبل ومن قال يا حار قال يا ثب^٥.

tu/bu ← tu/bah ← tu/ba/tu

٣- حذف ألف الوصل في (ابن) لكثرة مجيئها صفة على ما قبلها من الأعلام ولكثرة استعمالها ولمجيئها مضافة فاستجازوا الحذف للتخفيف ولم يستجيزوا في غير ذلك، وعلة الحذف عدم الفصل بين الصفة والموصوف. مثل: هذا زيد بن عمرو^٦. على النحو الآتي:

zay/dub/nu ← zay/du/?ib/nu

^١ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر، ص ٢٧٩.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ١٦١.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ص ٣٣٤.

^٤ انظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب، المصدر السابق، ٢/ ٢٤٨.

^٥ انظر: ابن جني: اللمع في العربية، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، ص ١١٧.

^٦ ء: صوت التاء.

^٧ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ١٦.

المبحث السابع: علة أمن اللبس الصوتي

إنّ اللبس بالكلام يحول دون تحقيق الفائدة منه، إذا فإنّ علة أمن اللبس ضرورية لإتمام الفائدة، وابن مالك يقول: "وإن بشكل خيف لبس يُجتنب"^١، والنّاظر في مُصنّفات اللّغة العربيّة يجد عددًا من الدّراسات تؤدّن بأنّ خُروجًا جاز أن يُمارس على موضع مُعيّن لعلّة ما. كما في زيادة الهاء في جمع المؤنث السالم لكلمة (أم) للتفريق بين أمّهات النّاس وأمّات البهائم، وكما في كسر لام الجرّ مع الاسم المُظهر وأصلها الفتح، للتمييز بينها وبين لام الابتداء^٢، وكما في تحريك نون المُثني بالكسر، ونون جمع المُذكر السالم بالفتح، لأمن اللبس في حالة النّصب والجرّ، كما في: سلّمت على المُعلّمين، وسلّمت على المُعلّمين.

١- المطلب الأوّل: مفهوم علة أمن اللبس الصوتي

لعلّ إطلاقة على المعنيين اللّغويين للفعلين المجردين: (أمن- لبس) كافية لإعطاء فكرة واضحة على دلالة المُصطلح في الدّرس اللّغوي. فاللبس بالضمّ: مصدر لقولك: لبست الثّوب، واللبس بالفتح، مصدر لقولك: لبست عليه الأمر إذا اختلط^٣. وما يعني الدّراسة هو اللبس بالفتح الذي يعني تشاكل الشّيء المقصود بشيء غير مقصود، لخلل في المرسل أو المرسل إليه أو الرّسالة. والأمن ضدّ الخوف وهو التّأي عن الخطر في كلّ شيء. وعليه فإنّ مفهوم علة أمن اللبس تعني: غموضًا في اللّغة أدّى إلى صُعوبة في فهم المقصود، سمح للمُتكلّم بالخروج عن مقاييس اللّغة العربيّة المألوفة للتخلّص من الغموض اللّغوي.

لذا فإنّ علة أمن اللبس تعصم اللّغة العربيّة عن الشّاذ، وقد أولى علماء اللّغة العربيّة علة أمن اللبس اهتمامًا كافيًا لدرء مخاطره، فالجاحظ تحدّث عن ضرورة أمن اللبس وخطورته في البيان والتّبيين، وفي الحيوان، وابن السّكيت في إصلاح المنطق، وتهذيب المنطق، وابن جني في الخصائص، وعبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة.

كما أولى المُعاصرون علة أمن اللبس اهتمامًا ملموسًا، تجده في مُصنّفاتهم، نحو دراسات في علم اللّغة لكمال بشر، واللّغة بين المعيارية والوصفية لتمام حسّان، وأمن اللبس ووسائل الوصول إليه في اللّغة العربيّة لتمام حسّان أيضًا، ودلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس، والعربيّة والأمن اللّغويّ لزهير غازي زاهد، ومواضع اللبس في العربيّة وأمن لبسها لعبد الفتاح الحمور، وعلة أمن اللبس في اللّغة العربيّة لمجيد الرّاملي.

يقول تمام حسان: "إنّ اللّغة العربيّة - وكلّ لغة أخرى في الوجود- تنظر إلى أمن اللبس باعتباره غاية لا يمكن التّفريط فيها؛ لأنّ اللّغة المُلبسة لا تصلح واسطة للإفهام والفهم، وقد خُلقت اللّغات أساسًا للإفهام والفهم، وإن أعطاهما التّشاطر الإنسانيّ استعمالات أخرى فنيّة ونفسية"^٤.

^١ ابن مالك: ألفية ابن مالك، دار التعاون، ص ٢٦.

^٢ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ٣٢١.

^٣ انظر: ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ٥/ ٣٩٨٦.

^٤ عمر، تمام حسان: اللّغة العربيّة معناها ومبناها، المرجع السابق، ص ٢٣٣.

كما وصفه تمام حسّان بأنّه: الغاية القُصوى للاستعمال اللّغويّ، فإنّه يُمكن القول: إنّ كلّ نظام لغويّ يبنّي أساساً على مجموعة من القيم الخلافيّة التي بدونها لا يكون اللّبس مأموناً ولا الكلام مفهوماً^١.

حتى أنّ ابن هشام جعل أمن اللّبس من ملّح الكلام، فقال: "من ملّح الكلام تقارض اللّفظين في الكلام"^٢ وعند ذلك يجوز التّنابؤ بين الصّوائت: (خرق الثوب المسمار) و(كسر الزجاج الحجر) بشرط أن لا يكون الهدف الخروج عن قواعد اللّغة العربيّة.

وكما في تاء المؤنثة التي تلحق الاسم لتمييز الاسم المؤنث عن المُذكّر، كما في: (عالم - عالمة) لكن هناك كلمات لا داعٍ للالتباس بينها فلا تلحقها تاء التانيث، كما في: (حائض، مرضع، عاقر، كاعب) كونها لوازم للمرأة^٣.

وقد دخلت علّة أمن اللّبس في توجيه عدد من القراءات القرآنيّة، نحو قراءة: (فتلقى آدم من ربه كلمات)^٤ بنصب الفاعل لسد المعنى اللّبس (أمن اللّبس).

٢-المطلب الآخر: تطبيقات علّة أمن اللّبس الصّوتيّ في شواهد الأشباه

والنظائر

عقد السيوطي في الأشباه والنظائر فصلاً بعنوان: (اللّبس محذور) كان من تطبيقاته ما

يأتي:

١- بين السيوطي علّة كون الحركات الإعرابيّة على أواخر الكلم وليس في بدايتها أو وسطها؛ ليكون أوضح في السّمع ولا يختلط مع الحركات الأصول ولئلاّ تجتمع حركتان لصوت واحد^٥.

٢- علّة الوقف على التّاء المربوطة في مثل: (طلحة، حمزة، قائمة) بالهاء؛ هي علّة أمن اللّبس لتمييز تانيث الاسم وتانيث الفعل^٦. ولا علاقة لعلّة الإبدال بين صوتيّ التّاء والهاء؛ لانعدام التّقارب المخرجيّ بينهما.

أما عن الشّاهد المذكور: (قائمة)، فيبدو أنّ أصله: (قائمة)، الذي يوقف عليه بالهاء (قامه). لئلاّ يلتبس الاسم بالفعل: (قامت). على النحو الآتي:

- qaa/mat (قامت) - (فعل).
- qaa/mat (قائمة) - (اسم)، الوقف بالتّاء. (لبس) X
- qaa/mah (قامه) - (اسم)، الوقف بالهاء. (أمن اللّبس) √

^١ انظر: حسّان، تمام: اللغة العربيّة معناها ومبناها، المرجع السابق، ص ٣٤.

^٢ ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمدالله، دار الفكر، ط ٦، دمشق، ١٩٨٥م، ص ٩١٥.

^٣ انظر: السيوطي، جلال الدين: المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، المصدر السابق، ١٩٢/٢. انظر: عبد التّواب، رمضان: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللّغوي، المرجع السابق، ٢٤٦.

^٤ عمر، أحمد مختار - عيد العال سالم مكرم: معجم القراءات القرآنيّة، المرجع السابق، ٤٨/١. سورة البقرة: ٣٧.

^٥ انظر: المصدر نفسه، ص ٩٧.

^٦ انظر: المصدر نفسه، ص ٣٢١.

٤- بيّن السيوطي أنّ علّة اختصاص التحويين للتّنوين بهذا اللقب؛ وهو نون صحيحة ساكنة؛ للتمييز بينه وبين النّون الرّائدة المتحركة التي تكون في التثنية والجمع^١.

٥- علّة وجوب إبقاء الياء والواو في النّسب في مثل: شديدة وضرورة، فيقال: شديديّ وضروريّ؛ لأمن اللّبس حتى لا تقع البنية اللّغويّة في إشكاليّة توالي الأمثال^٢.

٦- أنا (ضمير المتكلم المفرد المنفصل)، أصله: (أن) بالسّكون، فُتحت النّون للتمييز بينها وبين الحرف: (أن)، ومن ثمّ مدّ الفتح ليصير ألفاً؛ حتى لا تسقط الحركة في الوقف^٣. مع إخبار السيوطي أنّ الوقف عارض لا اعتبار به وإنّما الاعتبار بحال الوصل^٤.

٧- حرف العطف المفيد الترتيب والترّاحي (ثمّ)، بُني على الفتح؛ حيث لو حرّك بالكسر على أصل التقاء الساكنين، لانضاف ثقل الكسر إلى ثقل التّضعيف^٥. فكان التّحريك بالفتح لعلّة أمن اللّبس المتمثلة بالفرار من الثقل الذي يتنافى وسنّة اللّغة العربيّة بالنّحو إلى السّهولة والتيسير، وتحقيق الاقتصاد في الجهد العضليّ.

٨- وجوب إظهار أن بعد لام كي إذا دخلت على (لا) نحو قوله تعالى: ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾^٦، دخلت (أن) بين لام (كي) ولام (لا) النافية؛ لأمن اللّبس حتى لا تقع البنية اللّغويّة في إشكاليّة توالي الأمثال. وإدغام النّون في (لا) النافية؛ لتقارب مخرجيهما^٧.

^١ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ٣٢١.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ص ٢٦.

^٣ انظر: المصدر نفسه، ص ٣٢١.

^٤ انظر: المصدر نفسه، ص ٨٦.

^٥ انظر: المصدر نفسه، ص ٣٣٣.

^٦ سورة الحديد: آية ٢٩.

^٧ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ٢٦.

المبحث الثامن: علة القلب المكاني

١- المطلب الأول: مفهوم علة القلب المكاني

يُعرف القلب المكاني في اصطلاح اللغويين بأنه: قيام حرف مكان حرف في الكلمة الواحدة بالتقديم والتأخير، وهو سماعي؛ يُحفظ ولا يُقاس عليه. ولم يكن القلب المكاني محلّ اتفاق عند العلماء؛ فقد اختلفوا فيه، وتفاوتت أدلتهم في معرفة الأصل من المقلوب، ولا تكاد تخرج آراؤهم في القلب عن ثلاثة: قبول القلب بشكلٍ مطلق، إنكار القلب، قبوله بشكلٍ مُقيّد أي بوجود الدليل^١.

والقلب المكاني يُعنى بتبدل المواقع الكلامية، ويكون بين أصوات المفردة الواحدة، وبين مفردات مختلفة من الكلام اللغوي. وذلك كما أخبر صاحب الصاحب في فقه اللغة حيث قال: "من سنن العرب القلب. وذلك يكون في الكلمة، ويكون في القصة"^٢.

وقد جاءت في القرآن الكريم أدلة على هذه الظاهرة، ذلك كما أورد ابن فارس حيث قال: "وقلب الأكلام من سنن العرب المأثورة وتصاريف لغاتها المشهورة، ومنه في القرآن: ﴿إِنَّ قُرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَعَاتَيْنَهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾^٣ لأنّ تقديره: مَا إِنَّ الْعُصْبَةَ تَنُوءَ بِمَفَاتِحِهِ، أي تنهض بها على تتأقل^٤. أي أنّ العُصبة هم من يستنقلون حمل مفاتيح الكنوز لكثرتها وثقلها، لا العكس، وهذا من المقلوب المجازي المعني بتبدل المواقع الكلامية بين المفردات اللغوية.

أما القلب المكاني الذي يكون بين الأصوات اللغوية فقد عرّفه بأنه: "أخذ كلمة من كلمة مع تناسبها في المعنى واتفاقها في الحروف الأصلية دون ترتيبها، مثل: حمد ومدح. وأيس وينس، والحلم والحمل، ودهده وهدد"^٥.

وكما في (معلقة) على وزن (معلقة)، اسم آلة مقلوب، أصله (ملعقة) على وزن (مفعلة) كون المقصود لعق الطعام لا علوقه. وكما في (مطربان) آلة حفظ الطعام، على وزن (مفعلان)، أصله (مطربان) على وزن (مفعلان)، كون الطعام فيه يتعرض للرطوبة من (رطب) وليس للطرب من (رطب) وفي كلا الحالتين تطوّر سماعي قام طلباً للسهولة والتيسير في النطق.

^١ انظر: الصاعدي، عبد الرزاق بن فراج: تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الممطرة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٢م، ج٢، ص٦٤٥.

^٢ ابن فارس: الصاحب في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، الناشر: محمد علي بيضون ط١٩٩٧م، ص١٥٣.

^٣ القصص: ٧٦.

^٤ انظر: الحريري، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان: درة الغواص في أوهام الخواص، تحقيق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص١١.

^٥ الجياني، ابن مالك الطائي: من ذخائر ابن مالك في اللغة مسألة من كلام الإمام ابن مالك في الاشتقاق، تحقيق: محمد المهدي عبد الحي عمار، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة التاسعة والعشرون. العدد السابع بعد المائة، ١٩٩٨-١٩٩٩م، ص٣١٦.

٢- المطلب الآخر: تطبيقات علة القلب المكاني في شواهد الأشباه والنظائر

انحصرت علة القلب المكاني في شواهد الأشباه والنظائر في جُزئية بسيطة، تُؤكّد قلة اعتناء السيوطي بالدّرس الصّوتيّ بشكل مُتخصص، على النحو الآتي:

يأتي القلب المكاني في الكلمة، كما في: رعملي ولعمري^١، أهل الحجاز يقولون: لعمري، وأهل تميم يقولون: رعملي^٢. وقد علّل ناظر الجيش (ت ٧٧٨هـ) القلب المكانيّ في هذا الشاهد بقوله: "يقولون في مقلوب لعمري: رعملي، وذلك أنّ لام الابتداء لمّا كثر استعمالها مع عمرو جعلوها معه كالشيء الواحد، فلمّا قلبوا صيروا اللّام كأنّها من حروف عمرو"^٣.

ومما يلفت الانتباه بقاء شكل الوزن الصرفي للكلمتين على حاله في الأصل والقلب، حيث إنّ (لعمري) على وزن (لفعلي)، ومع دخول القلب المكانيّ حافظ الوزن الصّرفيّ على شكله، فكان وزن (رعملي) على (لفعلي)، على اختلاف نوع اللّام. ومنه أيضًا: تحريف الفعل كقولهم: امضحلّ في اضمحلّ واكرهفّ في اكفهزّ^٤.

وكما عرف السيوطي القلب المكانيّ الذي يكون بتبادل الصّوامت لمواقعها في البنية اللّغويّة، فقد عرف القلب المكانيّ الذي يسند إلى المسائل التّحويليّة، الذي يدخل على الجملة كاملة، وهي معرفة منقولة عن سابقه أيضًا، نحو: قول العرب: (أدخلت القلنسوة في رأسي)، والأصل أنّ الرأس هو الذي يدخل في القلنسوة، وشبيه ذلك: (أدخلت الخاتم في أصبعي)، والأصبع هو الذي يدخل في الخاتم، وطينت بالفدن السّياعا، والفدن هو القصر والسّياع الطين^٥.

ويعزو السيوطي في موطن غير الموطن كون مثل هذه الظّاهرة يعود إلى الضّرورة الشعريّة، على أنّ المفهوم لديه له نظرة خاصّة، حيث قال: ليس معنى الضّرورة في الشّعْر الإلجاء إلى الشّيء، وإنما أنّ ذلك من التّراكيب الواقعة في الشّعْر خاصّة دون الكلام وإلا فما من لفظ إلا ويمكن للشّاعر أن يغيره^٦. ومن شواهد القلب المكانيّ الشعريّة التي أوردها السيوطي، قلب روبة عندما قال^٧:

ومهمه مُعْبِرَةٌ أَرْجَاؤُهُ كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ

أي كأنّ لون سمانه لغبرته لون أرضه، فعكس التّشبيه مُبالغة وحذف المُضَاف. وعليه قول حسان رضي الله عنه الذي نصب المزاج والأصل رفعه، في قوله^٨:

كَأَنَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسِ يَكُونُ مِزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءُ

^١ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ١١٦.

^٢ انظر: المصدر نفسه، ٢/٢٤٠.

^٣ ناظر الجيش، محمد بن يوسف: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، تحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام؛ ط١، القاهرة، ١٤٢٨هـ، ٧/٣٥٥٠.

^٤ انظر: السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، المصدر السابق، ص ١١٣.

^٥ انظر: المصدر نفسه، ص ٣٢٧.

^٦ انظر: المصدر نفسه ص ٢٦٨.

^٧ انظر: المصدر نفسه، ص ٣٢٧. بحر الرجز

^٨ انظر: المصدر نفسه، ص ٣٢٧/ سيبويه: الكتاب، المصدر السابق، ١/٤٩. البحر الوافر

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، على النحو الآتي:

١- بيان اتجاه السيوطي في التأليف الذي يوسم بالاتجاه الموسوعي، حيث يستطرد في كثير من الموضوعات معتنياً بالجمع. مما يدل على سعة علمه ومقدار اطلاعه وصبره على التدوين والتنسيق. وقد كان الدافع لهذا الاتجاه الموسوعي هو الإحساس بالمسؤولية تجاه الثقافة العربية والإسلامية ولا سيما بعد الغزو المغولي المدمر وما خلفه من تراجع حضاري، والاضطرابات السياسية في البيئة المصرية آنذاك. وكان مما ساعده على الاعتناء بالتأليف أكثر هو ميله إلى الانعزال في حياته الذي استمدّه من صوفيته.

٢- غلبة الطابع الثقلي في الأشباه والنظائر كانت عاملاً في اعتماد السيوطي في فكره وتعليه على فكر وتعليل غيره. مما كان سبباً في إقامة الباحثة درس العلة الصوتية في كتاب الأشباه والنظائر على الشواهد اللغوية التي رأت بها الباحثة علة صوتية.

٣- يُشكّل الدرس الصوتي العربي الجانب التطبيقي للغة العربية التي يعتمد عليها المرء في عملية التواصل الإنساني. فيدرس الأصوات الإنسانية وآلية نطقها من حيث عددها ومخارجها وصفاتها وتفسير تطوراتها الصوتية وكتابتها. وما الكتابة الصوتية إلا وسيلة لتمثيل الأصوات اللغوية، وحفظ شكلها مع ما تتعرض له من تطورات صوتية على مرّ الزمان، واهتمام الدرس الصوتي بشكل عام مُنصبّاً على النطق والمشافهة بشكل خاص.

٤- صفات أصوات اللغة العربية هي المسؤولة في تمييز صوت عن غيره، ولا سيما المشتركة في المخرج نفسه، وتكون إما مُتضادة أو غير مُتضادة. أما الصفات المُتضادة فهي الصفات التي لها مُقابل صوتي، بحيث لو سلبنا أحد الأصوات اللغوية المُشتركة في المخرج صفة من صفاته، انقلب إلى صوت لغويّ آخر، وأما الصفات غير المُتضادة فهي الصفات التي ليس لها مُقابل صوتي، فسلب الصفة منها لا يَنتج صوتاً آخر وإنما يؤدي إلى خلل بالصوت.

٥- التعليل الصوتي سنة لطبيعة الدرس الصوتي، وفطرة تتطلبها عملية البحث العلمي إزاء كلّ ما يعترض الدارس من قضايا صوتية؛ من أجل إيجاد سبب مُسوِّغ للقواعد التي يقوم عليها الدرس الصوتي وإحكامها.

٦- اتفاق المُتقدِّمين وعُلماء التجويد والمُحدثين على منطق التعليل الصوتي، مع اختلاف في حدوده، بين من يقتصر على البنية السطحية ومن يتناول البنية العميقة.

٧- استطاعت الدراسة الوقوف عند عدد من العلل الصوتية المُستقاة من شواهد كتاب الأشباه والنظائر في النحو وتحليلها، نحو علة المُماثلة وعلة المُخالفة وعلة الإبدال وعلة الحذف وعلة أمن اللبس وعلة القلب المكاني.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- ١- ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطنجي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.
- ٢- الأزهري، أبو منصور: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠١م.
- ٣- الأستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب (المتوفى: ٦٨٦هـ) تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م.
- ٤- استثنائية، سمير شريف: اللسانيات (المجال والوظيفة والمنهج)، عالم الكتب الحديث، ط٢، عمان/ إربد، ٢٠٠٨م.
- ٥- الأشموني، أبو الحسن: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٨م.
- ٦- الأنباري، أبو البركات: الإنصاف في مسائل الخلاف، المكتبة العصرية، ط١، ٢٠٠٣م.
- ٧- أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، نهضة مصر، مصر.
- أنيس، إبراهيم: من أسرار اللغة، مكتبة أنجلو المصرية، مطبعة البيان العلمي ط ٢.
- ٨- أيوب، عبد الرحمن: أصوات اللغة، دار العلوم، ط٢، القاهرة، ١٩٨٦م.
- ٩- برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، ترجمة: رمضان عبد التواب: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م.
- ١٠- بروكلمان، كارل: فقه اللغات السامية، ترجمة: رمضان عبد التواب، جامعة الرياض، السعودية، ١٩٧٧م.
- ١١- بشر، كمال: دراسات في علم اللغة، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- بشر، كمال: علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ١٣- التفتازاني، سعد الدين: مختصر المعاني، دار الفكر، ط١، ١٤١١هـ.
- ١٤- التهانوي، محمد بن علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان، ط١، بيروت، ١٩٩٦م.
- ١٥- ثعلب، أبو العباس: مجالس ثعلب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، ط٢، ٢٠٠٨م.

- ١٦- ابن الجزري، محمد: التمهيد في علم التجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ٢٠٠١م.
- ١٧- الجمحي، ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.
- ١٨- ابن جني: الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، مصر.
- ابن جني: سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هندراوي، دار القلم، ط١، القاهرة، ١٩٨٥م.
- ابن جني: اللّمع في العربية، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت.
- ابن جني: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٩م.
- ١٩- الجبائي، ابن مالك الطائي: من ذخائر ابن مالك في اللغة مسألة من كلام الإمام ابن مالك في الاشتقاق، تحقيق: محمد المهدي عبد الحي عمار، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة التاسعة والعشرون. العدد السابع بعد المائة، ١٩٩٨م.
- ٢٠- ابن الحاجب: الشافية في علم التصريف، تحقيق: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية، ط١، مكة المكرمة، ١٩٩٥م.
- ٢١- الحريري، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان: درة الغواص في أوهام الخواص، تحقيق: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- ٢٢- حسّان، تمام: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د.ط)، ١٩٩٠م.
- ٢٣- الحساني، عادل نذير: التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث- قراءة في كتاب سيوييه، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، ط٢، العراق، ٢٠٠٩م.
- ٢٤- حسنين، صلاح: المدخل في علم الأصوات المقارن، مكتبة الآداب، ٢٠٠٥م.
- ٢٥- الحمد، غانم قدوري: شرح المقدمة الجزرية، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، جدة، ط١، ٢٠٠٨م.
- الحمد، غانم قدوري: المدخل إلى علم أصوات العربيّة، دار عمار، ط١، عمان، ٢٠٠٤م.
- ٢٦- حمودة، طاهر سليمان: جلال الدين السيوطي عصره وحياته وآثاره وجهوده في الدرس اللغوي، المكتب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٨٩م.
- ٢٧- الخطابي، أبو سليمان: غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م.
- ٢٨- الخولي، محمد علي: الأصوات اللغوية، مكتبة الخانجي، ط١، الرياض، ١٩٨٧م.

- ٢٩- الداني: عثمان بن سعيد، التحديد في الإتقان والتجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، ط٢، ٢٠١٠م.
- ٣٠- ابن درستويه، عبدالله بن جعفر: تصحيح الفصح وشرحه، تحقيق: محمد بدوي المختون، القاهرة، ١٩٩٨م.
- ٣١- ابن دريد، أبو بكر: جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٣٢- الزبيدي: الواضح: تحقيق: عبد الكريم خليفة، دار جليس الزمان، ط٢، الأردن، ٢٠١١م.
- ٣٣- الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، تحقيق: محمد السيد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م.
- الزجاجي: الجُمَل في النحو، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة- دار الأمل، ط١، ١٩٨٤م.
- ٣٤- الزمخشري: شرح المفصل، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
- الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي بو ملح، ط١، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٣م.
- ٣٥- ابن السراج: الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت.
- ٣٦- السعران، محمود: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت.
- ٣٧- سيبويه: الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٩٨٨م.
- ٣٨- السيوطي، جلال الدين: الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السيوطي، جلال الدين: الاقتراح في أصول النحو، تحقيق: عبد الحكيم عطية، دار البيروتية، ط٢، دمشق، ٢٠٠٦م.
- السيوطي، جلال الدين: المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٨م.
- السيوطي، جلال الدين: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، المكتبة التوقيفية، مصر.
- ٣٩- الشايب، فوزي حسن: محاضرات في اللسانيات، وزارة الثقافة، ط١، عمّان، ١٩٩٩م.
- ٤٠- شكري، أحمد خالد وآخرون: المنير في أحكام التجويد، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط١٢، عمان، ٢٠٠٨م.

- ٤١- الصاعدي، عبد الرزاق بن فراج: تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملطة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٢م.
- ٤٢- الصالح، صبحي: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٦٠م.
- ٤٣- الصيغ، عبد العزيز: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٢م.
- ٤٤- العاني، سلمان حسن: التّشكيل الصّوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، النادي الأدبي الثقافي، ط١، جدّة، ١٩٨٣م.
- ٤٥- عبد التّواب، رمضان: بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٩٩٥م.
- عبد التّواب، رمضان: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٩٩٧م.
- عبد التّواب، رمضان: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، ط٣، القاهرة، ١٩٩٧م.
- ٤٦- عبد الله، أحمد محمد: ظاهرة التقارض في النحو العربي، مجلة الجامعة الإسلامية، لمدينة المنورة، العدد الثامن والخمسين.
- ٤٧- عبيدات، محمود مبارك: هاء السكت ودورها في تصحيح البنية المقطعية للكلمة العربية، مجلة الجامعة الإسلامية، غزّة المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، ٢٠١٠م.
- ٤٨- ابن عصفور: المقرّب ومعه مثل المقرّب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٨م.
- ٤٩- عطية، خليل إبراهيم: في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٣م.
- ٥٠- عكاشة، محمود: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، ط٢، القاهرة، ٢٠١١م.
- ٥١- عمر، أحمد مختار: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧م.
- عمر، أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م.
- عمر، أحمد مختار- مكرم، عبد العال سالم: معجم القراءات القرآنية، مطبوعات جامعة الكويت، ط٢، ١٩٨٨م.
- ٥٢- عمر، تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط٥، ٢٠٠٦م.
- ٥٣- ابن فارس: الصحابي في فقه اللغة، منشورات محمد علي بيضون، ط١، ١٩٩٧م.
- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

- ٥٤- أبو الفداء، عماد الدين: الكناش في فني النحو والصرف، تحقيق: رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.
- ٥٥- الفراهيدي: العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- ٥٦- القادوسي، عبد الرزاق: أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية، تاج العروس أنموذجاً، جامعة حلوان، ٢٠١٠م.
- ٥٧- القرطبي، عبد الوهاب بن محمد: الموضح في التجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، ط١، الأردن، ٢٠٠٠م.
- ٥٨- قشاش، أحمد بن سعيد: الإبدال في لغات الأزدي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ٢٠٠٢م.
- ٥٩- القيسي، أبو علي: إيضاح شواهد الإيضاح، تحقيق: محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت.
- ٦٠- القيسي، مكي بن أبي طالب: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار عمار، ط٦، الأردن، ٢٠١١م.
- ٦١- ماريوباي: أسس علم اللّغة، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط٨، ١٩٩٨م.
- ٦٢- مالبرج، برتيل: علم الأصوات، ترجمة: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٤م.
- ٦٣- ابن مالك: ألفية ابن مالك، دار التعاون.
- ٦٤- المبرد: المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت.
- ٦٥- الملوح، قيس: ديوان مجنون ليلى، رواية: أبي بكر الوالبي، دراسة وتعليق: يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٩م.
- ٦٦- ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.
- ٦٧- ناظر الجيش، محمد بن يوسف: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، تحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام، ط١، القاهرة، ١٤٢٨هـ.
- ٦٨- النجار، محمد عبد العزيز: ضياء السالك إلى أوضح المسالك، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م.
- ٦٩- النّحاس، أبو جعفر: إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م.

- ٧٠- النسائي، أبو عبد الرحمن: السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ٢٠٠١م.
- ٧١- النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، جامعة القدس المفتوحة، ط١، عمان، ١٩٩٦م.
- ٧٢- النويري، شهاب الدين: نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، ط١، القاهرة.
- ٧٣- النيسابوي، أبو بكر: المبسوط في القراءات العشر، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨١م.
- ٧٤- ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: مازن المبارك- محمد علي حمدالله، دار الفكر، ط٦، دمشق، ١٩٨٥م.
- ٧٥- ابن يعيش: شرح المفصل، تقديم: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠١م.